الحكايات الشعبية الروسية

ترجمة
عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

1037

المشروع القومى للترجمة

الحكايات الشعبية الروسية

المجلس الأعلى للثقافة
إشراف: **جابر عصفور**

- العدد: ١٠٣٧
- الحكايات الشعبية الروسية
- عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٦

هذه ترجمة

مختارات من الحكايات الشعبية الروسية

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 7352396 **Fax**: 7358084

المشروع القومى للترجمة

الحكايات الشعبية الروسية

اختيار وترجمة: عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

٢٠٠٦

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الحكايات الشعبية الروسية / وترجمة عبد الرحمن عبدالرحمن الخميسى
ط ١ – القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٦
٤١٨ ص ، ٢٤ سم
١ – الأدب الروسى
(أ) الخميسى ، عبد الرحمن عبد الرحمن (مترجم)
(ب) العنوان
٨٩١,٧

رقم الإيداع ١٩٥١٨ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولى : I.S.B.N - 977 -437 -051 -1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

فهرست الحكايات

مقدمة المترجم 9
الأرانب والضفادع 11
الأرنب المتفاخر 12
الإوز الصياد 15
البجعة ومالك الحزين 20
الثعلب الماكر والذئب العجوز 23
الثعلب كاهن الاعتراف 28
الثعلب والأرنب 30
الثعلب والبجعة 36
الثعلب والدب 40
الثعلب والزلعة 44
الثعلب والسرطان 45
الثعلب والشحرور 47
الثعلب والعنزة 53
الثعلب والكروان 55
الثعلبة والقط 57
الخروف والثعلب والذئب 63
الدب ذو الساق الخشبية 65

الدب والكلب 68
الرجل والدب 73
الغراب والسرطان 76
القط والعنزة والخروف 77
جحر الفأر 82
حبات الفول 84
عروس الثلج 88
كوزما الثرى 92
عندما تعلَّم الثعلب الطيران 102
الصقيع الرحيم 104
ماشا والدب 111
مشتى الحيوانات..... 117
اذهب إلى حيث لا أدرى 123
الابنة وزوجة الأب..... 153
الأسد والسمكة والرجل 157
الأميرة الضفدعة 160
الأميرة ماريا 174
البطة العوراء 194
البطة البيضاء 197
التفاح السحرى وماء الحياة 204
فاسيليا الحكيمة وملك البحار 229
العجوز والبجعة 242

العجوز والطائر 250
العجوز والفأس 255
القط فاسكا 262
القمر والهلال والغراب 265
المرض المزعوم 269
ألينوشكا وإيفانوشكا 277
إيفان الأحمق وإيلينا الحكيمة 283
إيفان الأحمق 301
إيفان والذئب الرمادى 312
ريشة الصقر 326
شجرة الجوز 340
عقلة الإصبع 345
فأر الحقل 350
ماشا السوداء 352
هافروشكا 356
ولد من الطين 363
الجبل الزجاجى 366
الخاتم السحرى 373
القميص السحرى 394
إيفانوشكا ابن الفلاح 403

مقدمة المترجم

يقول الكاتب الروسى مكسيم جوركى عن الأساطير والحكايات الشعبية: "إن الحكايات الشعبية تلقى لنا الضـــوء على حياة أخرى، يحلم المرء فيها بعالم أفضل، تسوده رياح الحرية والعدالة.." .

إن تاريخ الشعوب على الأرض ما هو فى حقيقة الأمر إلا تاريخ طويل من الظلم والقهر والعبودية. وكان الظلم والاستبداد عبر التاريخ يأخذان أشكالاً مختلفة من الاضطهاد الذى عانته هذه الشعوب؛ لذلك فإن ظهور الحكايات الشعبية التى أبدعتها الشعوب يعد من الأحلام المشروعة لبسطاء الناس وفقرائهم، فى مواجهة ظلم الحكام والملوك ومالكى الثروة؛ لذلك سوف نلمس دائمًا فى هذه الحكايات انحيازها الدائم للفقراء والبسطاء من الشعب، وتعاطفها مع أمانيهم ومآسيهم. وهى تمثل جزءًا رئيسيا من الضمير الإنسانى، عندما يتغنى بالفضائل والخير والسعادة. والحكايات الشعبية من أرفع الفنون التى أبدعتها الشعوب.

كما أن الحكايات الشعبية الروسية التى عاشت عبر مئات السنين تعد بمثابة موسوعة اجتماعية شاملة. فيمكننا من خلالها أن نرى أنماط البشر المتنوعة، من الخبيث والكاذب والكسول واللص والأحمق، إلى التاجر والمنافق ...إلخ ، كما يمكننا التعرف – من خلالها – على الكثير من مفردات الحياة الروسية، وعلى عادات الشعوب فى تلك المناطق، وأيضًا سوف نطوف فى أرجاء الطبيعة الروسية المتفردة، بين الغابات والثلوج التى تميز تلك المناطق الباردة.

فى الحكايات الشعبية الروسية كثيرًا ما نلمس ارتباط الفرد بوطنه الأم، وحنينه الدائم للعودة إليه؛ فالأبطال كلهم يتوقون للرجوع إلى بيوتهم وقراهم، ومهما نجحوا فى تحقيق أحلامهم فإن سعادتهم النهائية لا تكتمل إلا بالعودة للديار.

وفى كثير من الحكايات يسرد لنا الراوى كما لو أنه كان شاهدًا من شهود الحكاية؛ فيختتم الحكاية قائلاً: "وقد كنت من بين المدعوين للاحتفال؛ حيث أكلت وشربت من أطايب الطعام"، وذلك كى يمنح الأحداث الخيالية مزيدًا من المصداقية لدى القارئ.

ويمكننا أن نقرأ فى تلك الحكايات عن عــوالم زاخرة بالخيال الجامح، وفيها يمكننا أن نرتحل فى البلاد القابعة تحت الأرض، ونغوص إلى الممالك الواقعة فى قلب البحار، ونلمس بأيدينا النجوم المتلألئة فى أعالى السماء. وتفيض الحكايات بمختلف الأحداث والشخصيات؛ فنجد فيها من قصص الجبابرة والبطولات، إلى ملاحم الحب والعشق، وحكايات الغدر والشر. والحكايات الشعبية الروسية كثيرًا ما تصور لنا نماذج من الأبطال الأخيار، الذين يُقدمون على العطاء وفعل الخير، ودائمًا ما ينالون المقابل لأفعالهم الطيبة؛ فالخير هنا يقابل دائمًا بالثواب، أما الأشرار فينالون عقابهم مهما طال شرهم واشتد ظلمهم، والنهاية السعيدة هى التى تُطل برأسها فى آخر كل الحكايات؛ لتعبر بذلك عن حلم الشعوب بالسعادة المنشودة.

ويضم الكتاب نماذج متنوعة من الحكايات الشعبية فى الفلكلور الروسى. وفى القرن التاسع عشر تم جمع الكثير منها وتنقيحها من الشوائب على يد الناشر الشهير ألكسندر أفاناسيف، ومعه المعلم النابه قسطنطين أوشينسكى، وأيضًا الروائى العبقرى ذائع الصيت ليف تولستوى.

ونرجو أن يجد القارئ المتعة والطرافة بين صفحات هذه الحكايات، والتى سوف يُحلِّق معها على أجنحة من الخيال، فى عوالم سحرية رائعة ومثيرة.

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

الأرانب والضفادع

فى أحد الأيام تجمعت الأرانب معًا، وصارت تبكى حظها العاثر فى الحياة، وقالت:

ــ لقد أصبحت حياتنا قاسية، وصار الخطر والموت يحيطان بنا من كل جانب: من الناس، ومن الكلاب والنسور، ومن غيرها من الوحوش والضوارى. ومن الأفضل لنا أن نموت مرة واحدة بدلاً من الحياة المضنية فى فزع ورعب دائمين؛ فهيا بنا نلقى بأنفسنا فى ماء البركة.

وخرجت الأرانب إلى البركة ليُغرقوا أنفسهم فيها. وعندما سمعت الضفادع حديث الأرانب أصابها الخوف، وأخذت تقفز مذعورة فى الماء.

عندئذٍ صاح أحد الأرانب قائلاً:

ــ انتظروا أيها الرفاق، ولا تقفزوا فى الماء، فالضفادع قد غطست فى البركة خشية منا، ويبدو أن هناك من يعيش حياة أسوأ منا فى هذه الدنيا.

الأرنب المتفاخر

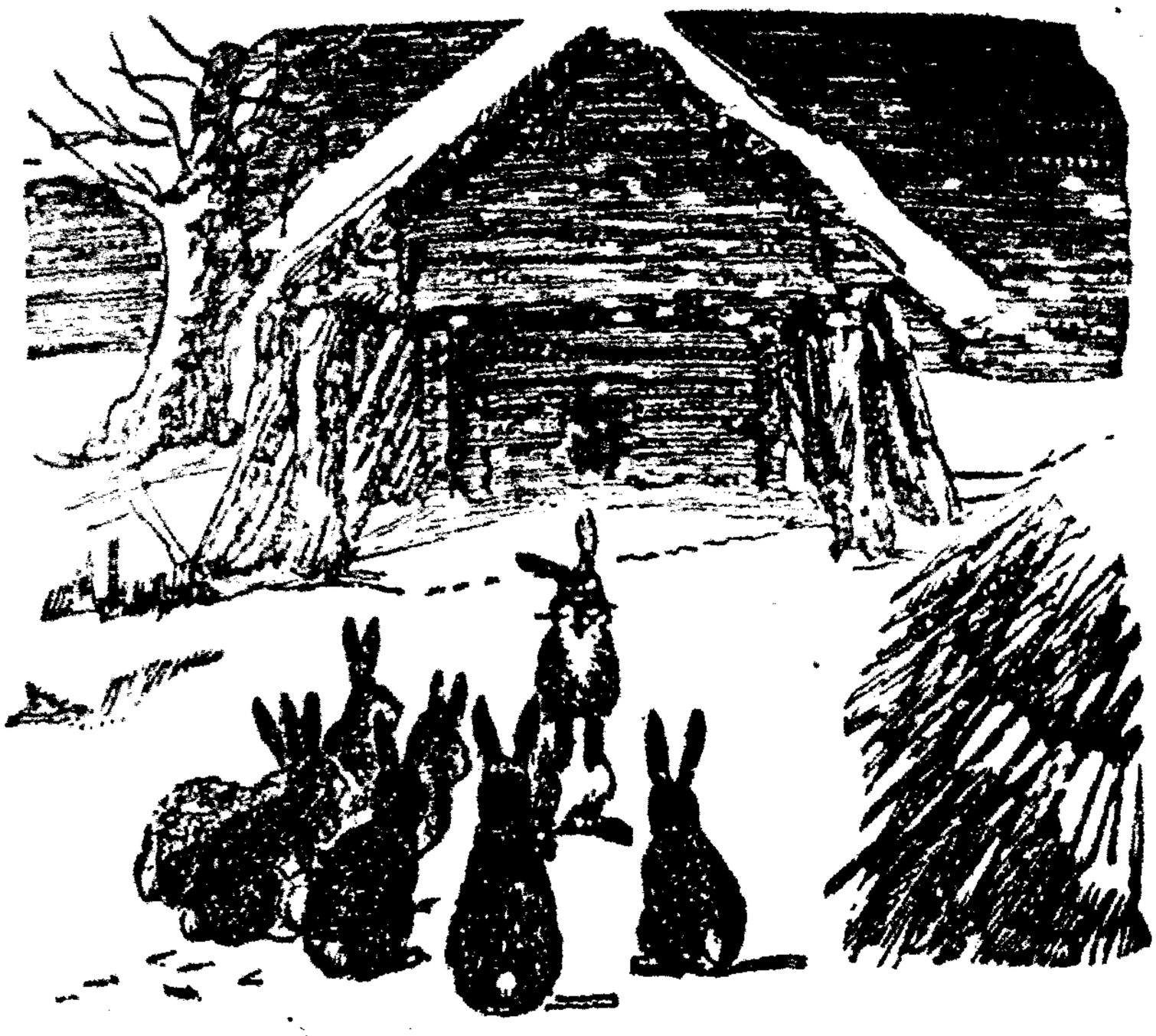

كان ياما كان، أرنب يعيش فى الغابة. كانت حياته فى الصيف طيبة ومريحة، وفى الشتاء قاسية وصعبة، وكان يتسلل إلى جرن الفلاح يسرق منه بعض الشوفان ليأكله.

وفى إحدى المرات ذهب الأرنب إلى أحـد الأجران فى طلب الطعام، فرأى هناك حشدًا من الأرانب تجمعت حول الجرن، فأخذ الأرنب يتباهى ويتفاخر أمام أقرانه الأرانب، وقال:

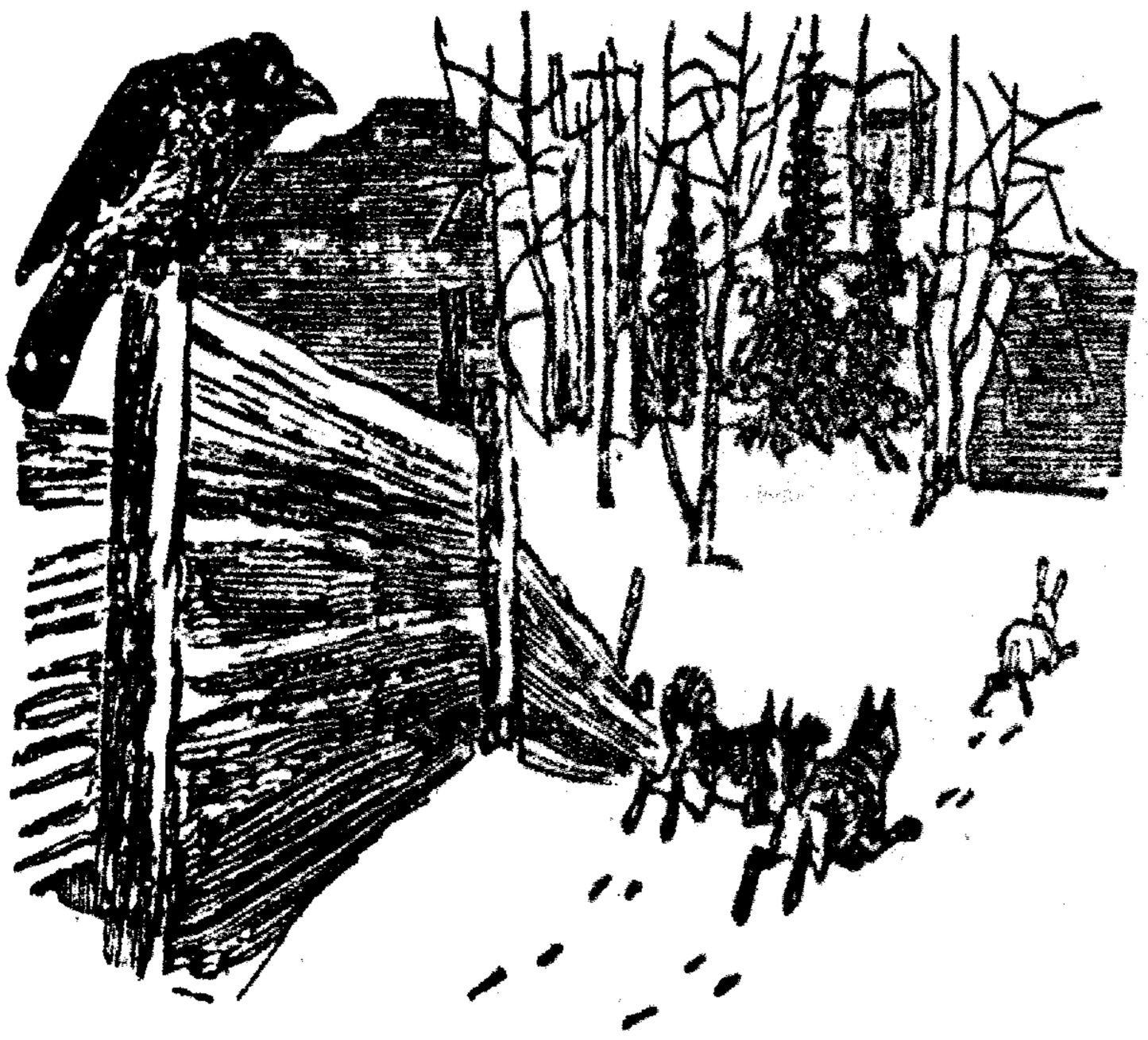

ـ على جانبى فمى شوارب طويلة، وليس مجرد شارب نحيل، ولدى مخالب قوية، وليس مجرد أظفار رقيقة، وبفمى أنياب حادة، وليست مجرد أسنان ضعيفة، وأنا لذلك لا أخشى أحدًا.

أخبرت الأرانب العم غراب بقول الأرنب وتفاخره بنفسه؛ فطار العم غراب يبحث عن الأرنب، حتى عثر عليه مختبئًا بين أحراش الذرة. خاف الأرنب من الغراب، وقال:

ــ سامحنى أيها العم غراب، فلن أتفاخر بنفسى بعد اليوم.

ــ وكيف كنت تتفاخر بنفسك؟

ــ كنت أقول: "على فمى شوارب طويلة، وليس مجرد شارب نحيل، ولدى مخالب قوية، وليس مجرد أظفار رقيقة، وبفمى أنياب حادة، وليست مجرد أسنان ضعيفة".

وغفر الغراب للأرنب الصغير تفاخره بنفسه ، وقال له:

ــ لا تعد إلى التفاخر والتباهى مرة أخرى.

وفى أحد الأيام جلس الغراب فوق السور، فهجمت عليه الكلاب، وأمسكت به، وانهالوا عليه عضًّا وضربًا، ورأى الأرنب ما جرى للغراب ففكر فى نفسه:

"كيف يمكننى أن أساعد الغراب فى هذه المحنة؟"

قفز الأرنب أمام الكلاب يستعرض نفسه، وما إن رأته الكلاب حتى تركوا الغراب، وانطلقوا خلف الأرنب يطاردونه، وطار الغراب وحط فوق السور. أما الأرنب فاستطاع الإفلات من الكلاب.

وبعد مرور وقت قليل، قابل الغراب الأرنب فقال له:

ــ يا لك من مقدام أيها الأرنب، لقد أصبحت بالفعل بطلاً جسورًا، وليس مجرد أرنب متفاخر.

الإوز الصياد

كان ياما كان، رجل يعيش مع زوجته، وكان لهم ابنة وابن صغير، وفى أحد الأيام قالت الأم لابنتها:

ــ ابنتى العزيزة، سوف نخرج إلى العمل، فاعتنى بأخيكِ، وانتبهى له حتى لا يصيبه سوء، وإذا أحسنتِ التصرف، فسوف نشترى لك منديلاً للرأس.

خرجت الأم والأب من البيت، أما الابنة فنسيت كلام الأم، وأجلست أخاها في الفناء على العشب أسفل النافذة، وركضت إلى الشارع تلعب وتمرح.

حلّق في السماء سرب من الإوز الصياد؛ فخطفوا الولد الصغير، ووضعوه على أجنحتهم طائرين به في الفضاء.

وعندما عادت الفتاة، أخذت تنظر هنا وهناك، وتبحث عن أخيها الصغير دون جدوى، فصارت تبكي وتولول من الحزن.

ومضت تصرخ وتنادي عليه، والدموع تنهال غزيرة من عينيها، وأخذت تفكر في حال أمها وأبيها عندما يعودان إلى البيت ولا يجدان الصغير.

ركضت الفتاة إلى الحقل المكشوف، ولمحت بعينيها سرب الإوز يُحلّق في الأفق طائرًا نحو الغابة البعيدة، وحزرت الابنة أن الإوز قد خطف أخاها وهرب به إلى الغابة. فقد كان هناك بعض الناس يرددون قديمًا مقولة حمقاء تقول: "إن الإوز يخطف الأطفال الصغار ليداعبهم ويلعب معهم".

أسرعت الفتاة للحاق بالإوز، وانطلقت تعدو في أثرهم وتركض، حتى رأت أمامها فرنًا.

ــ أخبرني أيها الفرن، إلى أين يطير سرب الإوز؟

رد الفرن قائلاً:

ــ إذا أكلتِ فطيرة الشوفان التي خبزتها، فسوف أطلعك على مكانها.

ــ لا لن آكلها، ففي بيتنا لا آكل الفطائر، ولو كانت حتى مخبوزة من القمح.

عندئذ لم يخبرها الفرن شيئًا. ومضت الفتاة تركض للأمام حتى شاهدت شجرة تفاح.

ــ أخبريني يا شجرة التفاح، إلى أين يطير سرب الإوز؟

أجابت الشجرة قائلة:

ــ عندما تأكلين تفاحة من ثماري، فسوف أخبرك بمكانه.

ـ لا لن آكلها، ففى بيتنا لا آكل الثمار.

عندئذ لم تخبرها الشجرة شيئًا. ومضت الفتاة إلى الأمام، حتى رأت نهرًا من الحليب يحفه شاطئ من عصير الفواكه.

أخبرنى يا نهر الحليب، ويا شاطئ العصير، إلى أين يطير سرب الإوز؟

ـ عندما تشربين من الحليب والعصير، فسوف نخبرك.

ـ لا لن أشرب شيئًا، ففى بيتنا لا أشرب اللبن ولا العصير.

وظلت الفتاة تهيم طويلاً على وجهها فى الحقول والغابات، وبدأ النهار يولى، وأوشك الليل على الهبوط، ولم يعد بوسعها أن تفعل شيئًا سوى العودة إلى البيت. وفجأة شاهدت كوخًا يرتفع عن الأرض على قائم واحد، وليس له سوى نافذة واحدة.

نظرت الفتاة عبر النافذة، فرأت الساحرة الشريرة "بابا إيجا" جالسة تغزل خيوط الكتان، وشاهدت أخاها الصغير يتربع على المقعد، وهو يلعب بتفاحة فضية.

دلفت الفتاة إلى داخل الكوخ، وقالت:

ـ مرحبًا أيتها الجدة.

ـ مرحبًا أيتها الفتاة، ماذا جاء بك إلى هنا؟

ـ لقد سرت طويلاً بين الأحراش والمستنقعات، حتى ابتلت ملابسى وأصابنى الإنهاك، وقد جئت عندك ألتمس بعض الدفء.

ـ اجلسى واغزلى لى بعض الخيط.

وأعطت "بابا إيجا" المغزل إلى الفتاة، ثم تركتها وخرجت من الحجرة. وما إن شرعت الفتاة فى غزل الخيط، حتى خرج فأر من أحد الشقوق، وصاح:

ـ أيتها الفتاة الصغيرة، أعطنى بعض العصيدة آكلها، وفى المقابل أخبرك بما لا تعلمينه.

أعطت الفتاة بعض العصيدة إلى الفأر الذى أكلها، وقال:

ـ لقد خرجت "بابا إيجا" لملء حوض الاستحمام، وذلك كى تقوم بغسلك وتنظيفك فيه، ثم تضعك بعد ذلك داخل الفرن، وتقوم بتحميرك والتهامك، ولا تترك بعد ذلك سوى عظامك.

تسمَّرت الفتاة من الخوف فى مكانها، وانهمرت دموعها وهى تبكى، فصاح بها الفأر:

ـ هيا أسرعى بالفرار مع شقيقك من هنا، وسوف أجلس بدلاً منك أمام المغزل، وأغزل الخيط.

حملت الفتاة أخاها، وفرت هاربة من المكان. أما "بابا إيجا" فوقفت بجوار النافذة تسأل:

ـ هل مازلت تغزلين الخيط أيتها الفتاة؟

أجاب الفأر قائلاً:

ـ نعم، مازلت أغزله أيتها الجدة.

ملأت "بابا إيجا" حوض الاستحمام بالماء، ثم ذهبت لإحضار الفتاة، ونظرت فى الحجرة، فلم تجد بها أثرًا لأحد، عندئذ صرخت الساحرة تنادى بصوت عالٍ:

ـ أيها الإوز الصياد، هيا سريعًا حلقوا فى السماء، وأدركوا الفتاة التى هربت مع أخيها.

ظلت الفتاة تركض مع شقيقها، حتى وصلا إلى نهر الحليب، ونظرت الفتاة فشاهدت سرب الإوز يحلق من فوقها.

ـ أخفِنى عن عيونهم أيها الأب النهر.

ـ عليكِ إذن أن تشربى من حليبى.

شربت الفتاة من حليب النهر وشكرته. حينئذٍ أخفاها النهر مع شقيقها تحت شاطئ العصير.

وطار سرب الإوز الصياد فوق نهر الحليب، دون أن يرى الفتاة.

وقامت الفتاة مع أخيها يواصلان الهرب، ودار سرب الإوز فى السماء دورة، وأصبح فى مواجهتهم، وأوشك الإوز أن يبصرهم، فما العمل؟ يا لها من محنة قاسية، وفى هذه اللحظة ظهرت أمام الفتاة شجرة التفاح.

ــ أخفينى عن عيونهم أيتها الأم الشجرة.

ــ عليك إذن أن تأكلى تفاحة من ثمارى.

أكلت الفتاة تفاحة من الشجرة، حينئذ أخفتها الشجرة مع شقيقها بين أغصانها، وغطتها بأوراقها.

وطار سرب الإوز الصياد من فوق الشجرة، دون أن يرى الفتاة.

ومضت الفتاة تركض ثانية، وظلت تجرى وتجرى حتى لم يبقَ سوى القليل إلى البيت، وهنا شاهدها الإوز الصياد، فأخذ يزعق ويخفق بأجنحته الكبيرة، وطاروا صوبها كى ينتزعوا شقيقها من يديها.

أسرعت الفتاة إلى الفرن، وقالت:

ــ أيها الفرن العزيز، أخفنِى عن عيون الإوز الصياد.

ــ عليكِ فى الأول أن تأكلى فطيرة الشوفان التى خبزتها.

التهمت الفتاة على الفور فطيرة الشوفان، ثم أسرعت إلى داخل الفرن مع أخيها، واختبأت بداخله.

وحلّق الإوز فوق الفرن وهو يصرخ ويصيح، ولم يعثروا على الفتاة. فعادوا أدراجهم إلى الساحرة "بابا إيجا".

شكرت الفتاة الفرن على صنيعه، ومضت مع شقيقها إلى البيت حتى وصلا إليه.

وهنا عادت الأم والأب إلى البيت.

البجعة ومالك الحزين

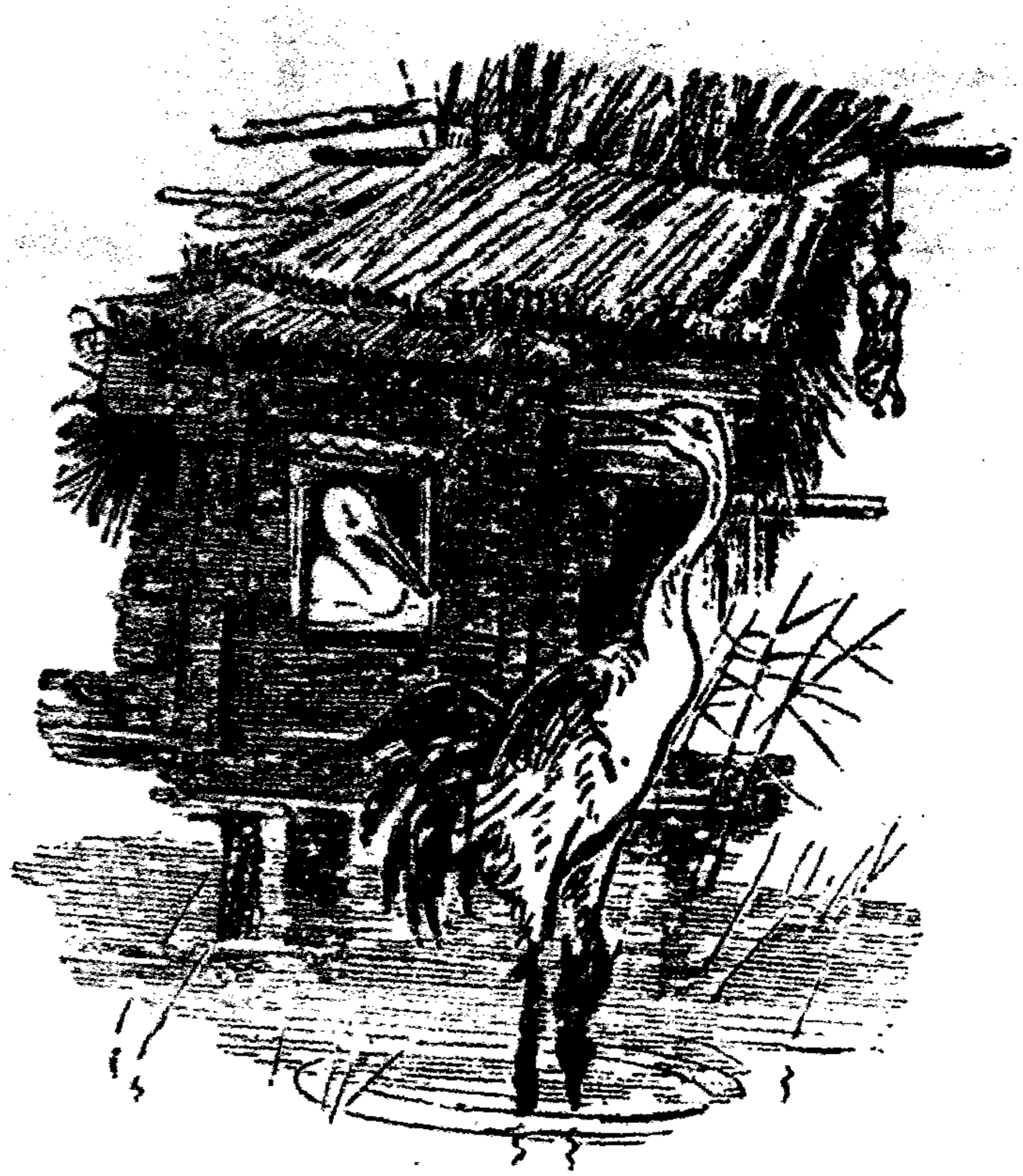

كان يا ما كان، بجعة تعيش فى بيت أقامته على طرف البركة، وعلى الطرف الآخر كان يعيش مالك الحزين، وعندما شعرت البجعة بالوحدة والملل فى العيش بمفردها، قررت الزواج.

ـــ فلأذهب إلى مالك الحزين، وأطلب منه أن يتزوجنى.

وذهبت البجعة إلى بيت مالك الحزين، وطرقت الباب: توك توك.

ـــ هل مالك الحزين بالبيت؟

ـــ نعم أنا بالبيت.

ـــ هل تأخذنى زوجة لك؟

ـــ كلا أيتها البجعة، لن أتزوج منك، فإن ساقيك طويلتان، وثوبك قصير، ولن يمكنك إطعامى، فاغربى عن وجهى من هنا أيتها النحيفة.

خرجت البجعة حزينة إلى بيتها مثل الحساء البارد، وبعد ذلك جلس مالك الحزين يفكر فى نفسه: "ولماذا أعيش وحيدًا؟ أليس من الأفضل لى أن أتزوج بالبجعة".

ذهب مالك الحزين إلى البجعة، وصاح:

ـــ أريدك زوجة لى أيتها البجعة.

ـــ وأنا لا أريدك زوجًا لى يا مالك الحزين؛ فاغرب عن وجهى سريعًا من هنا.

بكى مالك الحزين من الخجل، وعاد أدراجه إلى بيته يجر أذيال الخيبة.

ثم جلست البجعة تفكر قائلة:

"يا لى من حمقاء، ألم يكن من الأفضل لى أن أقبل عرضه بالزواج بدلاً من العيش وحيدة؟ فلأذهب إليه الآن وأمنحه موافقتى على الزواج".

وذهبت البجعة مرة ثانية إلى مالك الحزين، وقالت:

ـــ لقد غيرت رأيى يا مالك الحزين، وقبلت الزواج منك.

ـــ وأنا أرفض الزواج بكِ يا نحيلة الجسم.

عادت البجعة إلى بيتها، وجلس مالك الحزين يفكر:

"لماذا تهورت ورفضت الزواج من البجعة؟ إن الحياة وحيدًا تبعث على الكآبة والضجر؛ فلأذهب إليها وأتزوجها".

وخرج مالك الحزين يطلب الزواج من البجعة، لكنها رفضت الزواج منه. ومنذ ذلك الحين وحتى وقتنا هذا، مازال كل من الاثنين يذهب إلى الآخر ويطلب منه الزواج بلا جدوى.

الثعلب الماكر والذئب العجوز

كان هناك رجل عجوز يعيش مع زوجته· قال العجوز للزوجة:

ــ هيا يا زوجتى اخبزى لنا الفطائر، وأنا سوف أجهز الزلاجة، وأخرج لصيد السمك·

واصطاد الرجل قدرًا كبيرًا من الأسماك. فحمـــله على الزلاجة [1] ، وانطلق عائدًا إلى البيت.

وفي أثناء عودته إلى البيت، رأى على الطريق ثعلبًا راقدًا على ظهره، فنزل الرجل من على الزلاجة واقترب من الثعلب يتفحصه وإذا به يرقد كالميت بلا حراك.

قال الرجل: إن هذا الثعلب سوف يصبح هدية رائعة لزوجتى.

ثم حمل الرجل الثعلب، ووضعه فوق الزلاجة، وجلس فى مقدمتها يواصل طريقه، فغافل الثعلب الرجل، وصار يلقى بالسمك على الطريق واحدة بعد الأخرى، وسمكة تليها سمكة، حتى رماه كله من العربة، وفر هو الآخر هاربًا دون أن يلاحظه الرجل.

هتف الرجل لزوجته: انظرى أيتها العجوز إلى الفراء الذى جلبته لك لتصنعى منه معطفًا.

ــ أين هذا الفراء؟

ــ هناك على الزلاجة ومعه السمك.

ذهبت الزوجة إلى الزلاجة، وأخذت تتفحصها بعينيها فلم ترَ فراء ولا سمكًا؛ فصارت تسب الزوج قائلة:

ــ يا لك من مخادع لئيم، لماذا تكذب علىّ؟

وهنا أدرك الزوج أن الثعلب لم يكن ميتًا، بل تظاهر بالموت ليخدعه، فتملك الكرب منه وتكدر، لكن لم يعد بوسعه أن يفعل شيئًا.

أما الثعلب فقد جمع السمك الذى رماه من على الطريق، وجلس يأكل منه. واقترب منه الذئب العجوز يقول:

(١) الزلاجة هى عربة تجرها الخيول على الجليد، وتسير على زلاجتين، وهى تستخدم فى روسيا التى يتسم مناخها بالبرد الشديد وتراكم الثلوج فى الشتاء. (المترجم)

ـــ مرحبًا أيها الأخ.

ـــ مرحبًا أيها الأخ.

ـــ أعطنى بعضًا من السمك آكله.

ـــ اصطده بنفسك كى تأكل.

ـــ لكننى لا أجيد الصيد.

ـــ عيب عليك أنت الذئب أن تقول هذا الكلام، فأنا الثعلب استطعت صيده بسهولة. ما عليك سوى الذهاب إلى النهر، ووضع ذيلك فى الماء، ثم تجلس مرددًا هذه الكلمات: "اخرجى لى أيتها الأسماك من صغيرك إلى كبيرك، اخرجى لى أيتها الأسماك من صغيرك إلى كبيرك". عندئذ، سوف تتجمع الأسماك، وتتعلق بذيلك من تلقاء نفسها، كما عليك أيضًا التوغل بعيدًا عن الشاطئ حتى تنجح فى الصيد.

أسرع الذئب إلى النهر حيث وضع ذيله فى الماء، ومضى يردد قائلاً:

ـــ اخرجى لى أيتها الأسماك من صغيرك إلى كبيرك.

اخرجى لى أيتها الأسماك من صغيرك إلى كبيرك.

وفى إثره ظهر الثعلب، وسار بجانبه يصيح:

ـــ صح عاليًا بصوت جلى، فالنجوم ترصع السماء.

تجمد يا ذيل الذئب تجمد.

ـــ ما هذا الذى تقوله أيها الأخ الثعلب؟

ـــ إننى أساعدك بهذه الكلمات.

وما فتئ الثعلب الماكر يردد:

ـــ تجمد يا ذيل الذئب تجمد.

ظل الذئب طويلاً طويلاً فى جلسته على هذا الحال، ومكث طوال الليل لا يبارح مكانه من على الشاطئ، حتى تجمد ذيله، وعندما حاول أن يحرك ذيله لم يستطع، ففكر فى نفسه قائلاً:

"لا بد أن هناك كمية كبيرة من الأسماك قد تعلقت بذيلى؛ لذا لا يمكننى تحريكه".

ولما حضرت النساء لملء الماء من النهر، شاهدن الذئب فهتفن:

ـــ الذئب الذئب، هيا نضربه، هيا نضربه.

هرعت النساء إليه، وانهلن عليه بالضرب والرفسات، فمنهن من صارت تضربه بالنبوت، وأخرى بالدلو الذى تحمله، وثالثة بقدميها، وانهالت كل منهن عليه

بما وقعت عليه يديها، واندفع الذئب بكل قوته يركض هاربًا من على الشاطئ بعد أن انقطع ذيله، وانطلق يعوى من الألم هاربًا من المكان لا يلوى على شيء.

أخذ الذئب يفكر فى نفسه: "حسنًا أيها الأخ، سوف أريك ما لم تره فى حياتك من قبل".

وبينما سار الذئب يلملم حطام جسده المنهك من الضرب، كان الثعلب يبحث عن فرصة أخرى لسرقة الطعام، فدخل متسللاً إلى إحدى الضياع حيث كانت النساء تخبزن الفطائر، ودس رأسه فى برميل العجين الذى كسى وجهه، ثم فر هاربًا، وفجأة شاهد الذئب يسير فى مواجهته.

ــ أهذه إذن هى طريقة الصيد التى علمتنى إياها؟ لقد أشبعتنى النساء ضربًا بسببها.

قال الثعلب: لقد أسالوا دمك فقط أيها الأخ الذئب، أما أنا فأتألم أكثر منك بكثير، وذلك بعد أن جعلوا مخى يخرج من رأسى كما ترى، حتى صرت أسير بالكاد وأنا أجرجر قدمى.

قال الذئب ناظرًا إلى وجه الثعلب:

ــ حقًا، إننى أرى حالك البائس أيها الأخ الثعلب. لا تتعب نفسك وتحاول السير، بل اجلس فوق ظهرى وأنا أحملك أينما تريد.

قفز الثعلب على ظهر الذئب الذى انطلق به على الطريق.

وجلس الثعلب على ظهر الذئب يردد بصوت هامس:

ــ ضرب البليد لا يفيد.

ضرب البليد لا يفيد.

ــ ماذا تقول أيها الأخ الثعلب؟

ــ إننى أقول يا صديقى: " ضرب البليد لا يفيد".

ــ نعم، نعم، أحسنت أيها الأخ.

الثعلب كاهن الاعتراف

فى أحد الأيام الخريفية، سار الثعلب هائمًا على وجهه فى الغابة والجوع ينهش أمعاءه، وعند الفجر تسلل الثعلب إلى القرية ودخل فناء أحد البيوت.

وما إن تأهب لخطف إحدى الدجاجات، حتى حان وقت صياح الديك، وأخذ الديك فجأة يخفق بجناحيه، ويرفس الأرض بحوافره، ثم ما لبث أن صاح بأعلى صوته، ولم يشعر الثعلب بنفسه إلا وهو طائر فى الهواء إثر رفسة هائلة من العجوز رب البيت، ورقد ثلاثة أسابيع وهو يهلوس من الحمى والمرض.

وفى أحد الأيام خطر للديك أن يخرج إلى الغابة ليتفقد الأحوال بها، وكان الثعلب منذ زمن يترقب ظهوره، ويتحين الفرصة للإيقاع به والانتقام منه، فكان يختبئ خلف الأشجار وهو يفكر: "عاجلاً أم آجلاً سوف يظهر الديك".

وشاهد الديك شجرة يابسة، فقفز نحوها وجلس أعلاها.

وظل الثعلب جالسًا بالقرب من الشجرة حتى أدركه الملل، فصار يفكر ويفكر، وقال فى نفسه: "سوف أجعله ينزل إلىّ".

اقترب الثعلب من الشجرة وألقى بالتحية:

ــ مرحبًا أيها الديك العزيز.

فكر الديك: "ما الذى أتى بهذا الماكر؟".

ظل الثعلب يواصل مكره، وقال:

ـــ إننى لا أريد لك سوى الخير أيها الديك العزيز، وأرجو أن أضعك على طريق الهداية والصواب، فإنك لم تذهب للاعتراف فى حياتك أبدًا، فانزل إلىَّ كى أستمع إلى اعترافك، وأزيل عن كاهلك الذنوب والخطايا.

أخذ الديك يهبط من على الشجرة إلى الأسفل، حتى وقع فى براثن الثعلب. فقبض الثعلب عليه بين مخالبه، وقال:

ـــ والآن حان وقت الحساب أيها الديك، وسوف تنال جزاءك لما جرى لى بسببك. أتذكر عندما جئت إلى بيتك فى ليلة خريفية ساعيًا لاقتناص إحدى الدجاجات؟ لم أعرف وقتها طعمًا للزاد لثلاثة أيام مضت، وصرت أنت حينذاك تخفق بجناحيك، وتنبش الأرض بمخالبك حتى أوقعت بى شر وقعة.

قال الديك:

ـــ آخ أيها الثعلب، إن حديثك لرائع حقا، وأحب أن أخبرك أيها الأمير الحكيم، أن الكاهن الأعظم سوف يقيم وليمة ضخمة، وسوف أطلب منه أن يعينك خبازًا للخبز المقدس، وبهذه الطريقة سوف يصبح لدينا معًا الكثير من الخبز المقدس الطرى والحلوى، وتنهال علينا عبارت الإطراء والثناء.

فأفلت الثعلب الديك من براثنه، وركض الديك كالسهم عائدًا إلى بيته.

الثعلب والأرنب

كان ياما كان، ثعلب وأرنب يعيشان فى الغابة. كان للثعلب جحر من الثلج، وكان للأرنب جحر من الأغصان والألياف.

ولما جاء فصل الخريف الأحمر بحرارته، ذاب جحر الثعلب الثلجى. أما جحر الأرنب الليفى فبقى سليمًا على حاله.

ذهب الثعلب إلى الأرنب، وطلب منه استضافته ليبيت فى جحره، وبعد ذلك طرد الثعلب الأرنب من الجحر، واستولى عليه لنفسه، فسار الأرنب على الطريق يبكى حظه العاثر، وإذا بالكلب يقابله.

ــ هوهو، ماذا يبكيك أيها الأرنب؟

ــ وكيف لا أبكى وقد كان لدى جحر من الليف، وكان للثعلب جحر من الثلج، ثم طلب منى أن يبيت عندى، وبعد ذلك طردنى من جحرى، واستولى عليه.

ــ لا تبكِ أيها الأرنب، فسوف أساعدك للخروج من محنتك.

وذهب الاثنان إلى جحر الأرنب، ونبح الكلب بصوت عالٍ:

ــ هوهوهو، هيا أيها الثعلب اخرج من الجحر.

رد الثعلب من الجحر قائلاً:

ــ لو خرجت فسوف أثب عليكما، وأمزقكما أشلاء، فتتطاير أجسادكما إلى أجزاء متناثرة فى شتى الأنحاء.

خاف الكلب من تهديد الثعلب وفر هاربًا.

وسار الأرنب يبكى ثانية على الطريق، وإذا بالدب يقابله، وقال له:

ــ ماذا يبكيك أيها الأرنب؟

ــ وكيف لا أبكى وقد كان عندى جحر من الليف، وكان للثعلب جحر من الثلج، ثم طلب منى أن يبيت عندى، وبعد ذلك طردنى من جحرى.

ــ لا تبكِ أيها الأرنب، فسوف أساعدك للخروج من محنتك.

ــ لن تستطيع مساعدتى؛ فقد حاول الكلب من قبلك أن يطرد الثعلب فلم ينجح، وأنت أيضًا لن تنجح مثله.

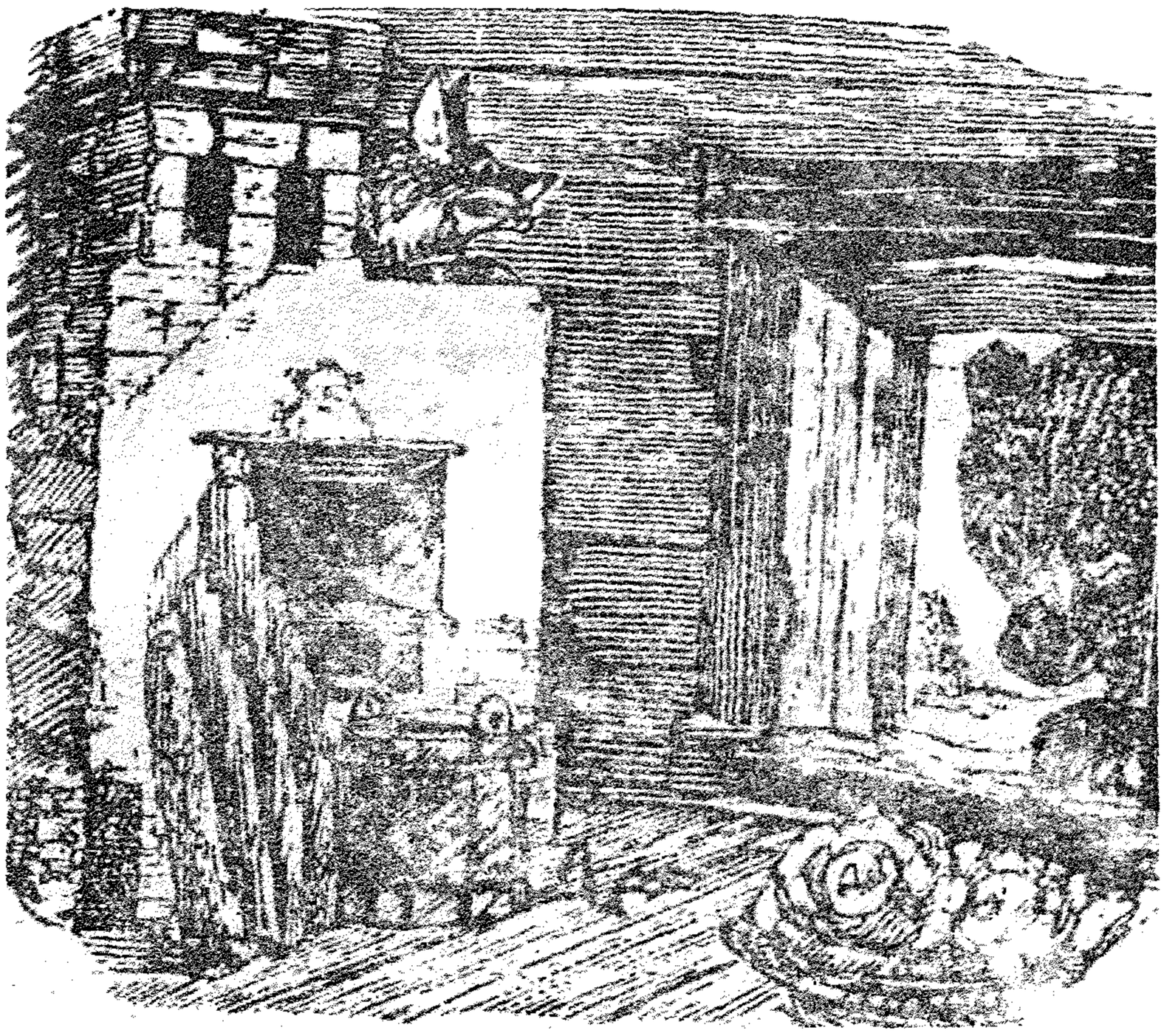

ــ كلا سوف أطرده.

وذهب الاثنان إلى الجحر، وهتف الدب بصوت جهورى يقول:

ــ هيا اترك الجحر أيها الثعلب.

لكن الثعلب صاح من الداخل قائلاً:

ــ لو خرجت فسوف أثب عليكما، وأمزقكما أشلاء، فيتطاير أجسادكما إلى أجزاء متناثرة فى شتى الأنحاء.

تملك الخوف من الدب، ففر هاربًا.

وسار الأرنب مرة أخرى، فقابله الثور وسأله:

ــ ماذا يبكيك أيها الأرنب؟

ــ وكيف لا أبكى وقد كان عندى جحر من الليف، وكان للثعلب جحر من الثلج، ثم طلب منى أن يبيت عندى، وبعد ذلك طردنى من جحرى.

ــ لا تبكِ أيها الأرنب، فسوف أساعدك للخروج من محنتك.

ــ لن تستطيع مساعدتى، فقد حاول الكلب من قبلك أن يطرد الثعلب فلم ينجح، ثم حاول الدب فلم يقدر، وأنت أيضًا لن تنجح مثلهما.

ــ كلا سوف أطرده.

وذهب الاثنان إلى الجحر. وهتف الثور بصوت كالرعد:

ــ هيا اترك الجحر أيها الثعلب على الفور.

لكن الثعلب صاح من الداخل يقول:

ــ لو خرجت فسوف أثب عليكما وأمزقكما أشلاء، فيتطاير أجسادكما إلى أجزاء متناثرة فى شتى الأنحاء.

ارتعد الثور من الخوف، وفر هاربًا.

وسار الأرنب مرة أخرى وهو يبكى أشد من ذى قبل، فقابله الديك ذو العرف وسأله:

ــ ماذا يبكيك أيها الأرنب؟

ـ وكيف لا أبكى وقد كان عندى جحر من الليف، وكان للثعلب جحر من الثلج، ثم طلب منى أن يبيت عندى، وبعد ذلك طردنى من جحرى.

ـ لا تبكِ أيها الأرنب، فسوف أساعدك للخروج من محنتك.

ـ لن تستطيع مساعدتى، فقد حاول الكلب من قبلك أن يطرد الثعلب فلم ينجح، ثم حاول الدب فلم يقدر، وأتى الثور من بعده فلم يستطع طرد الثعلب. وأنت أيضًا أيها الديك لن تنجح مثلهم.

ـ كلا سوف أطرده.

وذهب الاثنان إلى الجحر. فأخذ الديك ينبش الأرض بمخالبه، وينفش ريش جناحيه قائلاً:

ـ كوكاريكو، أسير على قدمى..

أحمل المنجل على كتفى..

وأجز به رقبة المعتدى..

هيا اغرب عن هنا من وجهى..

ولا تعد ثانية أيها الثعلب الشقى..

سمع الثعلب ما قاله الديك فخاف، وقال:

ـ ها أنا أضع حذائى.

لكن الديك صاح ثانية يقول:

ـ كوكاريكو، أسير على قدمى..

أحمل المنجل على كتفى..

وأجز به رقبة المعتدى..

هيا اغرب عن هنا من وجهى..

ولا تعد ثانية أيها الثعلب الشقى..

فقال الثعلب:

ــ ها أنا أرتدى ملابسى.

فكرر الديك للمرة الثالثة:

ــ كوكاريكو، أسير على قدمى..

أحمل المنجل على كتفى..

وأجز به رقبة المعتدى..

هيا اغرب عن هنا من وجهى..

ولا تعد ثانية أيها الثعلب الشقى..

وخرج الثعلب من الجحر وركض هاربًا، وركض الديك فى أثره ينهال عليه نقرًا.

ثم عاش الاثنان معًا بسلام ــ الأرنب والديك ــ فى الجحر الليفى الدافئ.

الثعلب والبجعة

يُحكى أن ثعلبًا عاش مع بجعة فى صداقة ووئام.

وفى أحد الأيام، قرر الثعلب أن يدعو البجعة لزيارته فى البيت، فذهب إليها، وقال:

ــ تعالى إلى بيتى يا ابنتى، فإننى أدعوكِ إلى مأدبة فاخرة للطعام.

ذهبت البجعة إلى الوليمة المقامة، وهى تمنى نفسها بالطعام الطيب، فقدم الثعلب إليها طبقًا به حساء من القمح المجروش، وقال لها:

ــ تناولى ما شئت من الطعام بالهناء والشفاء يا ابنتى العزيزة.

فنقرت البجعة بمنقارها الطويل فى طبق الحساء، توك توك، لكنها لم تستطع أن تلتقط منه شيئًا بمنقارها.

أما الثعلب فأخرج لسانه الطويل، وصار يلعق به الحساء فى نهم حتى آخر قطرة منه، ثم قال بعد ذلك:

ــ لا تؤاخذينى يا ابنتى، فليس لدى شىء آخر أقدمه لك.

ردت البجعة:

ــ شكرًا لك على أية حال أيها الصديق. أنا أيضًا أريد منك أن تزورنى فى بيتى، كى أرد لك دعوتك.

وفى اليوم التالى ذهب الثعلب إلى بيت البجعة ملبيًا دعوتها، فقدمت له حساء الخضروات فى إبريق ذى حلق ضيق طويل، ووضعته على مائدة الطعام قائلة:

ــ كُلْ ما شئت أيها الصديق بالهناء والشفاء. هيا كُلْ ولا تؤاخذنى، فليس لدى شىء آخر أقدمه لك.

أخذ الثعلب يدور حول الإبريق ويدور، وصار يلتف نحوه من أحد الجوانب تارة، ثم يقف من الجانب الآخر تارة أخرى، دون أن يستطيع حشر رأسه بداخله للحصول على الطعام.

أما البجعة فدست منقارها الطويل داخل عنق الإبريق والتهمت كل ما بداخله في يسر وسهولة، وقالت للثعلب:

ـــ لا تؤاخذنى أيها الصديق، فلا يوجد لدى طعام آخر أدعوك إليه.

تملك الحزن من الثعلب، وصار يفكر فيما يأكله طوال الأسبوع، وعاد إلى بيته بخفى حنين، فما فعله مع البجعة قد عاد إليه.

ومنذ ذلك الوقت انفرط عقد الصداقة بين الثعلب والبجعة إلى الأبد، ولم يدعُ أحد منهما الآخر ثانية إلى بيته.

الثعلب والدب

كان الدب يحتفظ بمخزون من العسل فى برميل، ووضع الدب البرميل فى سحارة عالية بضيعته.

ولما عرف الثعلب بهذا الأمر، صار يفكر فى الوسيلة التى يمكنه بها الوصول إلى العسل.

أسرع الثعلب إلى الدب ، وجلس أسفل شباكه يقول:

ـــ ألم تدر بالمصيبة التى حلّت بى يا عزيزى؟

ــ ماذا جرى لك أيها الأخ الثعلب؟

ــ لم يعد لدى حطب فى البيت كى أشعل به المدفأة؛ فهل تسمح لى بالمبيت عندك؟

ــ بالطبع أيها الأخ، تفضل.

رقد الاثنان للنوم بجوار المدفأة، وجلس الثعلب يهز ذيله وهو يفكر فى طريقة للوصول إلى العسل. أما الدب فراح فى النوم، عندئذ ضرب الثعلب الأرض بذيله ــ توك توك.

سأل الدب:

ــ من يدق الباب أيها الثعلب؟

ــ إنهم رفاقى جاءوا لمصاحبتى إلى احتفال بمولود جديد.

ــ إذن، فلتذهب معهم.

وخرج الثعلب متسللاً إلى السحارة، وشرع فى أكل العسل من البرميل حتى أتى على ربعه، ثم عاد إلى النوم مرة أخرى.

بعد ذلك سأل الدب قائلاً:

ــ ماذا سميتم المولود الجديد أيها الأخ الثعلب؟

ــ سميناه "الربع".

ــ إنه اسم جيد ولطيف.

فى اليوم التالى رقد الثعلب للنوم، وصار يدق بذيله ــ توك توك.

ــ أيها الدب، إن رفاقى ينادون علىَّ ثانية لحضور احتفال بمولودٍ جديد.

ــ إذن، فلتذهب معهم.

ومن جديد، تسلل الثعلب إلى السحارة، والتهم العسل من البرميل حتى أتى على نصفه، ثم عاد إلى مرقده وراح فى النوم.

ــ أخبرنى أيها الأخ الثعلب، ماذا سميتم المولود الجديد؟

ــ سميناه "النصف".

ــ يا له من اسم لطيف.

فى الليلة الثالثة أخذ الثعلب يدق بذيله ــ توك توك.

ــ إنهم ينادوننى مرة أخرى لحضور احتفال بمولود جديد آخر.

ــ لا تتأخر فى السهر أيها الأخ الثعلب، فإننى أريد أن أطهى اليوم بعض الفطائر الحلوة.

ــ حسنًا، سوف أعود سريعًا.

وتسلل الثعلب إلى السحارة، فأتى على كل ما بقى فى البرميل من العسل حتى آخر قطرة منه، ثم رجع إلى مرقده متظاهرًا بالنوم، وصحا الدب قائلاً:

ــ أخبرنى أيها الأخ الثعلب، ماذا سميتم المولود الجديد؟

ــ سميناه "الكل".

ــ إنه اسم جيد أفضل من بقية الأسماء. والآن هيا بنا نخبز الفطائر الحلوة.

وقام الدب بعجن الفطائر، ثم سأله الثعلب قائلاً:

ــ أين تحتفظ بالعسل الذى سوف نضعه على الفطائر؟

ــ إنه بالسحارة.

ثم تسلق الدب صاعدًا إلى السحارة، ورأى البرميل فارغًا تمامًا من العسل، فصرخ سائلاً:

ــ من الذى أكله؟ لا يوجد سواك أيها الثعلب، ولا أحد غيرك يمكنه التهامه.

ـ كلا أيها الدب العزيز، فإن عينىَّ لم تقعا عليه، بل إنك أنت الذى أكلته، والآن تلقى باللائمة علىَّ.

فكر الدب كثيرًا، ثم قال:

ـ لقد أتتنى فكرة جيدة لمعرفة السارق. هيا بنا نصعد إلى سقف البيت، ونرقد تحت أشعة الشمس، والفاعل هو من يسيل منه العسل بفعل حرارتها.

رقد الاثنان تحت أشعة الشمس، وراح الدب فى النوم، بينما ظل الثعلب متيقظًا، ونظر فرأى بعض العسل يسيل على بطنه، فنهض مسرعًا، وأخذ يمسحه ببطن الدب، ثم صاح يقول:

ـ ما هذا العسل الذى يسيل فوق بطنك يا صديقى الدب؟ أظن أننا قد عرفنا الآن من الذى أكل العسل.

عندئذٍ أسقط فى يد الدب، واضطر أن يعترف بفعلته!!

الثعلب والزلعة

خرجت الفلاحة إلى الحقل لحلب البقرة، ثم قامت بإخفاء الزلعة المملوءة باللبن خلف بعض الأشجار، فتسلل الثعلب إلى الزلعة، ومد بوزه داخلها، وأخذ يشرب اللبن حتى ارتوى، وعندما حان الوقت كى يعود إلى بيته شعر بالكارثة التى ألمت به؛ فقد انحشرت رأسه فى عنق الزلعة، ولم يستطع أن يخرجها.

أخذ الثعلب يحرك رأسه، ويقول:

ــ كفى مزاحًا أيتها الزلعة كفى. هيا أطلقى سراحى أيتها الزلعة اللطيفة. كفى لعبًا يا عزيزتى، فقد لهونا بما يكفى.

لكن الزلعة لم تتركه مهما قال أو فعل.

ثار الثعلب:

ــ سوف أريك أيتها الملعونة، ما دمت لا تتركيننى بالحسنى سأجعلك تغرقين فى الماء.

وركض الثعلب إلى النهر حيث أغرق الزلعة فى الماء، وغرق هو الآخر من خلفها.

الثعلب والسرطان

قال الثعلب للسرطان:

ـــ هيا بنا نتسابق فى الجرى.

ـــ حسنًا أيها الثعلب، هيا بنا.

وبدأ الاثنان يتسابقان.

أخذ الثعلب يركض، وتعلق السرطان بذيله.

وصل الثعلب إلى مكان النهاية فقفز السرطان من على ذيله إلى الأرض ، وقال:

ـــ إننى هنا فى الانتظار منذ وقت طويل أيها الثعلب.

الثعلب والشحرور

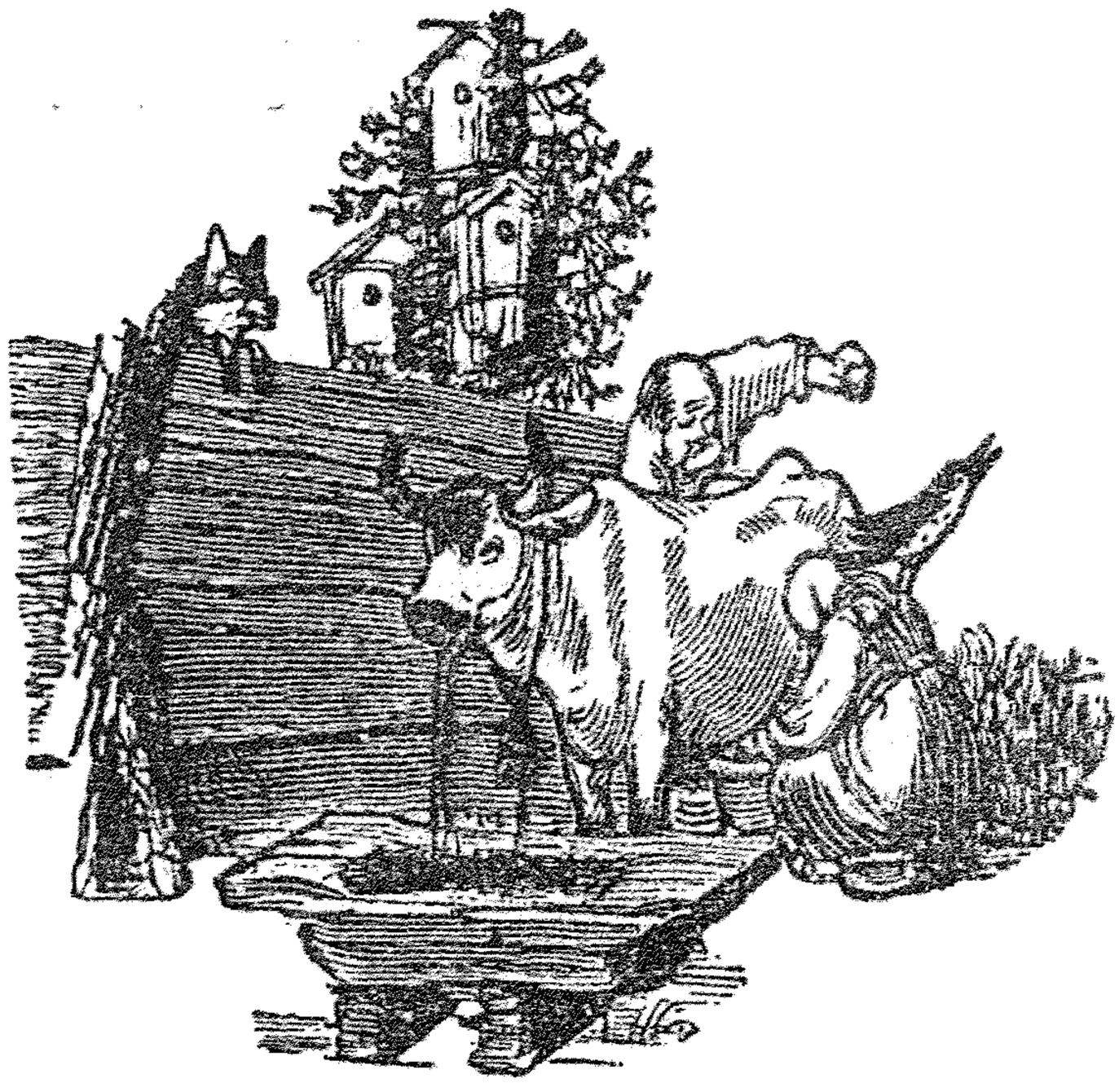

أقام الشحرور عُشًا له فوق الشجرة، ثم وضع البيض، وخرجت منه فراخ صغيرة، وعرف الثعلب بهذا الأمر فذهب مسرعًا إلى الشجرة، وأخذ يضربها بذيله ــ توك توك.

أطل الشحرور برأسه من العش، فقال له الثعلب:

ــ سوف أقتلع الشجرة بذيلى، وأقوم بالتهامك أيها الشحرور، ثم ألتهم صغارك من بعدك.

خاف الشحرور، وأخذ يتوسل ويرجو:

ــ أيها الثعلب العزيز، أرجــوك ألا تقتلع الشجرة، وارحم صــغارى المساكين، وفى المقابل سوف أطعمك من الفطائر و العسل.

ــ حسنًا، لو أنك أطعمتنى من الفطائر و العسل، فلن أقطع الشجرة.

ــ إذن، فلتذهب معى إلى الطريق الكبير.

وانطلق كل من الثعلب والشحرور إلى الطريق الكبير: الشحرور طائرًا، والثعلب راكضًا يتبعه.

وشاهد الشحرور امرأة عجوزًا تسير مع حفيدتها، وهما يحملان سبتًا مملوءًا بالفطائر وزلعة من العسل. فاختبأ الثعلب، وأخذ الشحرور يركض على الطريق، كما لو أنه لا يستطيع الطيران، فصار يرتفع فى الهواء تارة، وينزل على الأرض تارة أخرى.

هتفت الحفيدة لجدتها:

ــ هيا نمسك بهذا الطائر.

ــ وكيف يمكننا الإمساك به؟

ــ هذا أمر سهل، فيبدو عليه أن جناحه مكسور، ولا بد أن الطائر الجميل يتألم من ذلك.

عندئذٍ، وضعت العجوز والحفيدة الزلعة والسبت على الأرض، وركضا خلف الشحرور.

أخذ الشحرور يركض على الأرض، ومن خلفه العجوز والحفيدة يطاردانه، حتى ابتعدا عن الزلعة والسبت، وفى الحال، هجم الثعلب على الفطائر والعسل، وصار يأكل منهما حتى شبع، ثم أخذ معه ما بوسعه حمله، وفر هاربًا.

بعد ذلك طار الشحرور عائدًا إلى عشه.

ولم يمض زمن حتى جاء الثعلب إلى الشجرة، وأخذ يضربها بذيله: توك توك، وصاح يقول:

ــ سوف أقتلع الشجرة بذيلى، وأقوم بالتهامك أيها الشحرور، ثم ألتهم صغارك من بعدك.

خرج الشحرور من عشه وأخذ يتوسل راجيًا:

ــ أيها الثعلب العزيز، أرجوك ألا تقتلع الشجرة، وارحم صغارى المساكين، وفى المقابل سوف أسقيك من العصير اللذيذ حتى ترتوى.

ــ لنذهب سريعًا إذن، فقد أكلت الكثير من الحلوى والسمن حتى جفَّ حلقى، وأريد الشراب.

وانطلق ثانية كل من الثعلب والشحرور إلى الطريق الكبير: الشحرور طائرًا، والثعلب راكضًا يتبعه.

نظر الشحرور فشاهد رجلاً راكبًا حصانه، يسير حاملاً برميلاً من العصير، فاقترب منه الشحرور، وأخذ يحطُّ تارة على البرميل، وتارة أخرى على الحصان، حتى أغضب الرجل وأخرجه عن طوره، وأراد الرجل أن يقتله. وعندما وقف الشحرور على مسمار فى البرميل، رفع الرجل بلطته وهوى بها عليه، إلا أن الشحرور فرَّ طائرًا، وأصابت البلطة البرميل فثقبته، وركض الرجل يطارد الشحرور.

انسكب العصـــير من البرميل على الطريق، وشـــرب الثعلب منه حتى ارتوى، ثم سار فرحًا يشدو بأغنية.

جلس الشحرور في عشه بالشجرة، فاقترب الثعلب منها، وأخذ من جديد يضربها بذيله ــ توك توك.

ــ أيها الشحرور، أيها الشحرور، هل أطعمتنى؟

ــ نعم أطعمتك.

ــ هل سقيتنى؟

ــ نعم سقيتك.

ــ فلتُضحكنى إذن الآن، وإلا أقتلع الشجرة بذيلى، وأقوم بالتهامك، ثم ألتهم صغارك من بعدك.

قاد الشحرور الثعلب إلى القرية، ونظر فشاهد امرأة عجوزًا تحلب اللبن من البقرة، بينما مضى زوجها يحرث الأرض بجانبها، فحط الشحرور على كتف العجوز، وصاح زوجها قائلاً:

ــ لا تتحركى أيتها العجوز، فسوف أقتل هذا الشحرور.

وضرب الزوج بيده ضربة قوية على كتفها، لكنه لم يصب الشحرور الذى فرَّ طائرًا. أما المرأة العجوز فوقعت على الأرض من الضربة، وانسكب اللبن على وجهها.

نهضت العجوز من وقعتها وصارت تسب وتلعن زوجها.

وضحك الثعلب طويلاً على حماقة الزوج وتهوره.

وطار الشحرور عائدًا إلى عشه، وما إن همّ بإطعام صغاره، حتى جاء الثعلب وأخذ يضرب الشجرة بذيله ــ توك توك.

ـ أيها الشحرور، أيها الشحرور. هل أطعمتنى؟

ـ نعم أطعمتك.

ـ هل سقيتنى؟

ـ نعم سقيتك.

ـ هل أضحكتنى؟

ـ نعم أضحكتك.

ـ والآن أريدك أن تخيفنى.

ثار غضب الشحرور، وقال:

ـ أغمض عينيك واركض خلفى.

طار الشحرور وهو يزقزق، ومن خلفه يركض الثعلب مغمض العينين.

وقاد الشحرور الثعلب إلى مكان الصيادين مباشرة، ثم قال له:

ـ والآن يمكنك أن تخاف حتى الموت أيها الثعلب.

فتح الثعلب عينيه فرأى أمامه كلاب الصيد تنبح بجوار الصيادين، وما لبثت الكلاب أن هجمت عليه، وأخذت تطارده، واستطاع الثعلب بالكاد أن يهرب منهم ويصل إلى جحره، وبعد أن التقط أنفاسه المتقطعة مضى يسأل قائلاً:

ـ ماذا فعلتِ أيتها العينان؟

ـ لقد نظرت فى جميع الأنحاء حتى لا تأكل الكلاب الثعلب.

ـ ماذا فعلتِ أيتها الأذنان؟

ـ لقد سمعت نباح الكلاب حتى لا يلتهموا الثعلب.

ـ ماذا فعلتِ أيتها الأقدام؟

ـ لقد ركضنا حتى لا تمسك الكلاب بالثعلب.

ـــ وأنت أيها الذيل، ماذا فعلت؟

ـــ لقد كنت عالقا بين الأغصان والشقوق، حتى تسببت فى إعاقتك عن الركض والهرب.

غضب الثعلب وأخرج ذيله من الجحر قائلاً:

ـــ ها هو ذيلى أقدمه لكم أيتها الكلاب كى تلتهموه.

لكن الكلاب أمسكت بذيل الثعلب وجرته إلى خارج جحره، وأمسك به الصيادون.

الثعلب والعنزة

ركض الثعلب يطارد غرابًا حتى سقط فى البئر، وكان الماء قليلاً فى البئر، فلم يغرق الثعلب فيه، لكنه فى الوقت نفسه أيضًا لم يستطع أن يتسلقه ويخرج منه.

جلس الثعلب حزينًا مكروبًا.

وكانت العنزة الفطنة تروِّح عن نفسها، وتتريض بين الحشائش، تمسح الأرض بذقنها، وتدور هنا وهناك، ثم ذهبت إلى البئر، ونظرت فيه فشاهدت الثعلب. عندئذ سألته العنزة قائلة:

ــ ماذا تفعل هناك أيها الثعلب؟

رد الثعلب:

ــ إننى أجلس هنا للراحة يا عزيزتى، فالجو حار للغاية فوق الأرض؛ لذلك نزلت إلى البئر حيث البرودة المنعشة؛ والماء هنا بارد ووفير.

كان العطش قد حلَّ بالعنزة منذ وقت طويل؛ فسألت الثعلب:

ــ هل مذاق الماء طيب بالبئر؟

أجاب الثعلب:

ــ إنه ماء بارد رائق، رائع الطعم. هيا اقفزى إلى هنا؛ فالمكان يسعنا معًا.

وثبت العنزة إلى داخل البئر، وكادت أن تهرس الثعلب تحت حوافرها، فقال لها الثعلب فى سورة من غيظ:

ــ آخ أيتها الحمقاء ذات اللحية، ألا يمكنك القفز كما ينبغى؟ لقد أغرقتنى بالماء.

ثم قفز الثعلب فوق ظهر العنزة، ومنه وثب على قرنيها، حتى خرج من البئر، وكادت العنزة الفطنة أن تهلك فى البئر، حتى عثروا عليها بداخله، فجروها من قرنيها إلى الخارج.

الثعلب والكروان

جلس الكروان فوق الشجرة؛ فاقترب منه الثعلب يقول:

ــ مرحبًا أيها الكروان البديع، ما إن سمعت تغريدك الرائع، حتى جئت كى أكون بقربك، وأستمع إلى شدوك العذب.

قال الكروان:

ــ شكرًا جزيلاً على كلماتك الطيبة.

تصنَّع الثعلب الصمم، وقال:

ــ ماذا قلت؟ إننى لم أسمعك؛ فلو أنك هبطت على الأرض أيها الكروان العزيز، لتجولنا معًا فوق العشب وتبادلنا الحديث. أما لو بقيت على الشجرة فلن أسمع شيئًا مما تقول.

صاح الكروان مجيبًا:

ــ إنى أخشى السير فوق العشب، فمن الخطر علينا نحن الطيور أن نسير على الأرض.

قال الثعلب:

ــ أيكون السبب فى ذلك خوفك منى؟

رد الكروان:

ــ لست خائفًا منك بالتحديد، بل أخشى الضوارى المفترسة الأخرى.

فأجاب الثعلب:

ــ إنك مخطئ فى تصورك هذا يا عزيزى الكروان، فقد صدر قانون جديد، يقضى أن يسود السلام كل أرجاء الأرض، ويحظر على الوحوش القوية افتراس الضعفاء، فصارت الوحوش لا تقترب من بعضها البعض.

هتف الكروان:

ــ يا للخبر السار، فها هى كلاب الصيد تركض بالقرب منا وهى تنبح. لكنى أظن أنك لم تعد تخشاهم، وليس عليك الهروب منهم.

وما إن سمع الثعلب عن الكلاب، حتى انتصبت أذناه وتأهب للهروب.

قال الكروان:

ــ لماذا تهرب؟ إن الكلاب لن تؤذيك طبقًا للقانون الجديد.

أجاب الثعلب: ومن يدرى؟ فربما لم يعرفوا بالقانون بعد.

وفر الثعلب هاربًا.

الثعلبة والقط

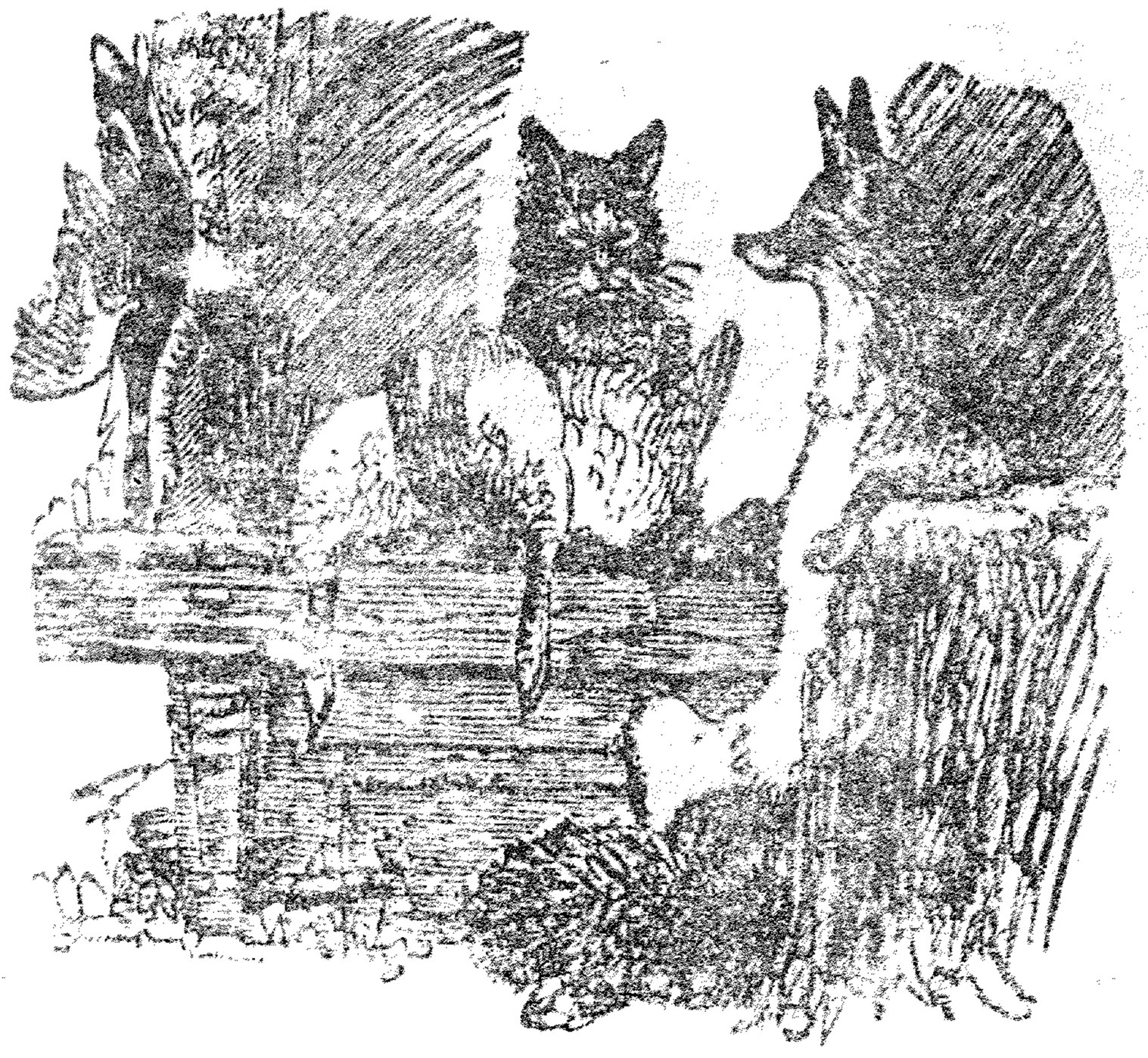

يُحكى أن رجلاً عاش فى إحدى القرى، وكان للرجل قط غاية فى الشقاوة والعفرتة، حتى فاض الكيل بالرجل، وفكر فى التخلص منه: فوضعه فى جوال، وحمله إلى الغابة، ثم أطلقه حتى يهيم فى أرجاء الغابة بلا عودة.

سار القط طويلاً حتى عثر على تجويف بإحدى الأشجار يصلح للسكنى، فتسلل إليه وسوَّى لنفسه مرقدًا، وصار يخرج إلى الغابة كلما ألمَّ به الجوع، فيصيد طيرًا أو فأرًا يأكله حتى يشبع، ثم يعود إلى سكنه بالشجرة. وأصبح يعيش وحيدًا في حزن وكرب.

وذات مرة خرج القط يتجول فصادف الثعلبة، وما إن شاهدته الثعلبة حتى تملكتها الدهشة وفكرت: "كم من الأعوام مرت علىَّ بالغابة، ولم أر مثل هذا الوحش من قبل".

انحنت الثعلبة باحترام أمام القط، وسألته:

ــ أخبرنى أيها الطيب الجسور، من أنت؟ وكيف جئت إلى هنا؟ وماذا يطلقون عليك؟

نفش القط فروته فى خيلاء ورد قائلاً:

ــ اسمى كاتوف إيفانوفيتش، وقد جئت مبعوثًا من غابات سيبيريا كى أصبح حاكمًا عليكم.

قالت الثعلبة: لا تؤاخذنى يا كاتوف إيفانوفيتش على جهلى بك؛ فلم أكن أعرفك ولا رأيتك من قبل، وأرجو أن تتفضل وتقبل دعوتى إلى بيتى.

وذهب القط إلى جحر الثعلبة، حيث رحبت به، وقدمت إليه أطايب الطعام والمأكولات، وصارت تمطره بمختلف الأسئلة:

ــ كاتوف إيفانوفيتش، هل أنت متزوج أو عزب؟

ــ عزب.

ــ وأنا عَزَبة أيضًا، فهل تأخذنى زوجة لك؟

وافق القط على الزواج منها، وأقاما وليمة احتفالاً بهذه المناسبة.

وفى اليوم التالى خرجت الثعلبة لصيد الطعام، وظل القط جالسًا فى البيت.

أخذت الثعلبة تركض وتطارد بطة حتى أوقعت بها فى النهاية، وسارت تحملها إلى البيت فاستوقفها الذئب، وقال:

ــ قفى أيتها الثعلبة، وأعطنى هذه البطة.

ــ كلا لن أعطيها لك.

ــ إذن، سوف أنتزعها منك بالقوة.

ــ لو فعلت هذا فسوف أخبر كاتوف إيفانوفيتش ليعاقبك بالموت.

ــ ومن يكون كاتوف إيفانوفيتش هذا؟

ــ ألم تسمع به من قبل؟ إن كاتوف إيفانوفيتش مبعوث من الغابات السيبيرية، وقد أتى حاكما علينا، وأنا الآن صـــرت زوجة للحاكم بعد أن كنت عَزَبة.

ــ إننى للأسف لم أسمع به من قبل يا زوجة الحاكم، فهل يمكننى رؤيته؟

ــ إن كاتوف إيفانوفيتش عصبى المزاج للغاية، ومن لا تعجبه هيئته يلتهمه على الفور. ومن الأفضل أن تعد له خروفا، وتقدمه إليه فى خشوع واحترام، مع فروض الولاء والطاعة، وعليك أن تضع الخروف فى مكان مكشوف، ثم تختفى عن الأنظار كى لا يراك الحاكم، وإلا فالعاقبة وخيمة.

انطلق الذئب يبحث عن خروف يصيده، ومضت الثعلبة إلى البيت.

سارت الثعلبة حتى قابلها الدب، فقال:

ــ توقفى أيتها الثعلبة، لمن تحملين هذه البطة؟ هيا أعطيها لى.

ــ كن مهذبًا أيها الدب وتكلم بأدب، وإياك أن تتجاوز حدودك معى، وإلا أخبرت عنك كاتوف إيفانوفيتش فتذوق الموت على يديه.

ــ ومن يكون كاتوف إيفانوفيتش الذى تتكلمين عنه؟

ــ إنه مبعوث من الغابات السيبيرية ليصبح حاكمًا علينا، وقد تزوجت من الحاكم كاتوف إيفانوفيتش، ولم أعد عَزَبة.

ــ ألا يمكننى إلقاء نظرة عليه أيتها السيدة الثعلبة؟

ــ إن كاتوف إيفانوفيتش عصبى المزاج للغاية، ومن لا تعجبه هيئته يلتهمه على الفور، فعليك أن تعد له ثورًا ليأكله، وأحضـــره إليه بكل احترام وخشوع مع فروض الولاء والطاعة، ثم ضع الثور فى مكان مكشوف ولا تظهر بنفسك أمامه، وإلا فالعاقبة سوف تكون وخيمة لو وقعت عيناه عليك.

أحضر الذئب الخروف وسلخ فروته ووقف منتظرًا، ثم نظر فشاهد الدب يسير نحوه وهو يجر ثورًا.

ــ مرحبًا أيها الدب.

ــ مرحبًا أيها الذئب، ألم تر الثعلبة وزوجها؟

ــ كلا أيها الدب، فأنا أقف هنا فى انتظار ظهورهما.

قال الدب: أليس من الأفضل أن تذهب إلى بيتهما وتناديهما؟

ــ كلا أيها الدب، فإننى أتلعثم فى الحديث، لماذا لا تذهب أنت؟

ــ لا يمكننى الذهاب وأنا مشعث الوبر، معوج القدمين؛ فكيف أظهر أمامهما وأنا على هذا الحال؟

وفجأة ظهر أرنب يركض بالقرب منهما.

وأخذ الذئب والدب يهتفان فى صوت واحد مناديان عليه:

ــ تعالَ هنا يا أحول العين؟

فجلس الأرنب أمامهما رافعًا أذنيه.

ــ إنك أيها الأرنب خفيف الحركة سريع الركض، فاذهب إلى بيت الثعلبة، وأخبرها أن الدب وأخاه الذئب ينتظران تشريفك مع زوجك المحترم كاتوف إيفانوفيتش، وذلك كى يقدما له فروض الولاء والطاعة، وقد أحضرا الخروف والثور المطلوبين.

انطلق الأرنب كالسهم إلى بيت الثعلبة، وصار الذئب والدب يبحثان عن مخبأ يتواريان به.

ثم قال الدب:

ــ سوف أتسلق شجرة الصنوبر وأختفى فوقها.

ورد الذئب قائلاً:

ــ وأنا أين أتوارى؟ إننى لا أستطيع تسلق الأشجار، فلتساعدنى على الاختباء أيها الدب.

عندئذٍ قام الدب فأخفى الذئب بين الأغصان، وغطى جسمه بأوراق الشجر اليابسة، وصعد هو بعد ذلك متسلقًا شجرة الصنوبر، وأخذ يتطلع مترقبًا ظهور كاتوف إيفانوفيتش وزوجته الثعلبة.

فى هذا الوقت كان الأرنب قد وصل إلى جحر الثعلبة، وقال:

ــ لقد أرسلنى إليكما الدب والذئب، كى أخبركما بأنهما ينتظران تشريفكما منذ فترة طويلة، وذلك ليقدما فروض الطاعة والولاء : الثور والخروف.

ــ حسنًا أيها الأحول. اذهب لحالك الآن، وسوف نلحق بك.

وذهبت الثعلبة مع زوجها كاتوف إيفانوفيتش، وما إن شاهدهما الدب حتى قال للذئب:

ــ أى حاكم هذا كاتوف إيفانوفيتش؟ إنه صغير للغاية.

وقفز القط فوق الثور وسلخ فروته، ثم أخذ يمزق اللحم بأسنانه ومخالبه وهو يموء بصوتٍ عالٍ متصنعًا الغضب:

ــ مياو مياو.

قال الدب ثانية للذئب:

ــ يا له من صغير الحجم كبير الفم. أظن أن بإمكانه أن يلتهمنا نحن الأربعة بيسر وسهولة، وأخشى أن يأتى الدور علينا بعد ذلك.

أراد الذئب أن يلقى نظرة على كاتوف إيفانوفيتش، فأزاح أوراق الشجر من فوقه بحذر، وعندما سمع القط صوت حفيف الأوراق اليابسة، فكر أن هناك فأرًا يختبئ تحت الأوراق، فوثب عليها وأنشب مخالبه فى بوز الذئب.

تملك الرعب من الذئب، ففر هاربًا من المكان.

فى الوقت نفسه أصاب الفزع القط نفسه، فاندفع يركض هاربا متسلقًا شجرة الصنوبر.

عندئذ فكر الدب المختبئ فوق الشجرة: " لا بد أن عينيه قد وقعتا على".

ولم يكن هناك وقت للنزول من على الشجرة، فقفز الدب دفعة واحدة إلى الأرض حتى تكسرت ضلوعه من الوقعة، ثم فر يركض هاربًا.

وصارت الثعلبة تنادى فى أثرهما قائلة:

ــ اركضا اركضا قبل أن يبتلعكم الجبار.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت كل الوحوش تهاب القط وتعمل له ألف حساب، واستطاع القط مع الثعلبة الحصول على مخزون من اللحم والطعام يكفي حاجتهم طوال الشتاء، وعاش الاثنان معًا، وما زالا يعيشان حتى الآن.

الخروف والثعلب والذئب

فى أحد الأيام هرب الخروف من صاحبه.

وقابله الثعلب على الطريق فسأله:

ــ إلى أين تذهب أيها الخروف؟

ــ آخ أيها الأخ الثعلب، لقد كنت أعيش لدى رجل يسومنى ألوان العذاب؛فكلما فعلت العنزة شيئًا خاطئًا، ألقى صاحبى باللوم علىَّ؛ لذلك قررت الفرار منه إلى غير عودة فى بلاد الله خلق الله.

قال الثعلب:

ــ إن حالى لا يختلف كثيرًا عن حالك؛ فكلما خطفت الحدأة شيئًا، أو سرق الصقر طيرًا، أو لفظ أحد بكلمة خارجة، يلقون بالذنب على الثعلب وحده؛ لذلك، هيا بنا نهرب من هنا معًا.

وسار الاثنان حتى قابلهما الذئب؛ فقال:

ــ إلى أين تسيران أيها الخروف وأيها الثعلب؟

رد الثعلب:

ــ نسير فى بلاد الله خلق الله.

ــ خذانى أسير معكما.

ومضى الجميع فى الطريق حتى قال الذئب فجأة للخروف:

ـ أيها الخروف، إن فراءك الذى تحمله ملكًا لى.

سمع الثعلب ما قاله الذئب، فقال:

ـ نعم، إننى أشهد أن الفراء لك أيها الذئب.

ـ وأنا أقول الحق، إن هذا الفراء لى.

ـ لكن، هل تقسم على قولك هذا؟

ـ نعم أقسم على قولى.

ـ لكن عليك أن تقبّل قسمك.

ولمح الثعلب بالقرب منهم مصيدة بين الأشجار وضعها الصياد، فساق الذئب إليها، وقال:

ـ هيا، قبّل قسمك هنا.

وعندما مد الذئب الأحمق بوزه نحو مكان المصيدة كى يقبلها، أطبقت عليه وأمسكت به.

عندئذ ركض الثعلب والخروف هاربين، وهما سالمان معافان.

الدب ذو الساق الخشبية

كان ياما كان، رجل يعيش مع زوجته العجوز.

زرع الرجل لفتًا فى أرضه، وشـــاهد الدب اللفت، فصار يقتلعه من الأرض، ولما ذهب الرجل إلى الحقل، شاهد الكثير من اللفت المقتلع متناثرًا فى كل الأنحاء.

عاد الرجل إلى بيته وحكى عما رآه لزوجته العجوز.

عندئذ قالت له العجوز:

ـــ مَن يا ترى قام باقتلاع اللفت وألقى به على الأرض؟ لو أنهم من الناس لكانوا حملوه معهم. لا بد أن الدب هو الفاعل، فاخرج إلى الحقل أيها الرجل، واحرس المحصول من السارق.

خرج الرجل فى الليل إلى الحقل، حاملاً بلطته ليحرس الزرع، وفجأة ظهر الدب، وأخذ يقتلع اللفت من الأرض ويلقى به، حتى جمع عددًا كبيرًا منه، ثم فر هاربًا عبر السياج المصنوع من الأغصان المجدولة.

ركض الرجل مسرعًا خلف الدب حتى أدركه، وضربه بالبلطة فقطع بها إحدى قوائمه، ثم هرب الرجل واختبأ.

أما الدب فصرخ من الألم، وسار على ثلاث إلى الغابة.

حمل الرجل ساق الدب المبتورة إلى البيت، وقال لزوجته العجوز:

ـــ هيا اسلقى لنا هذه الساق.

سلخت العجوز الساق من الجلد، ووضعتها فى ماء يغلى لسلقها، ثم نزعت الوبر من الجلد، وصارت تغزله، ووضعت الجلد فرشًا لمقعدها.

جلست العجوز تغزل الوبر، وصنع الدب لنفسه ساقا خشبية من جذوع الأشجار، ثم ذهب إلى بيت العجوز وزوجها.

سار الدب على الساق الخشبية يقول:

ـــ يا من فعلوها واختفوا عن الأنظار

ها أنا أسير بساق من جذوع الأشجار

والكل قد نام بعد أن ولى النهار

والقرية فى سكون بلا صوت ولا شجار

****

العجوز وحدها سهرانة لا تنام

جالسة على فرائى الأملس فى سلام

تغزل من وبرى قفازًا وأكمام

وتسلق لحمى ليأكله اللئام

سمعت العجوز حديث الدب فقالت:

ـــ اخرج وأحكم غلق الباب أيها الزوج، فإن الدب يسير إلينا.

فى هذا الوقت خلع الدب باب البيت ودخل إليه يردد ثانية:

ـــ يا من فعلوها واختفوا عن الأنظار

ها أنا أسير بساق من جذوع الأشجار

والكل قد نام بعد أن ولى النهار

والقرية فى سكون بلا صوت ولا شجار

****

العجوز وحدها سهرانة لا تنام

جالسة على فرائى الأملس فى سلام

تغزل من وبرى قفازا وأكمام

وتسلق لحمى ليأكله اللئام.

أسرع الاثنان بالهرب بعد أن أصابهما الخوف؛ فاختبأت العجوز أسفل الفرن، وغطت جسمها برداء أســود. أما الرجل فتسلل أسفل العربة، وكمن ساكنًا بلا حراك.

وسار الدب فى القرية يبحث عن الرجل والعجوز، حتى خرج إلى الحقل المكشوف.

وهناك التف الناس حوله، وقاموا بقتله.

الدب والكلب

كان ياما كان، رجل يعيش مع زوجته، وكان لديهم كلب مخلص أمين.
كان الكلب فى شبابه يقوم بحراسة البيت على أكمل وجه، وعندما دبَّ العجز فيه، تثاقلت خطواته على الأرض وعجز عن القيام بمهمته.

ضاق الرجل ذرعًا بالكلب العجوز، فربط رقبته بحبل وساقه إلى الغابة، وتوقف به عند شجرة حور كى يقتله، لكن دموعًا مريرة سالت من عينى الكلب، فأشفق الرجل عليه وأطلق سراحه، وعاد بمفرده إلى البيت.

ظل الكلب راقدًا أسفل الشجرة فى الغابة، وأخذ يلعن قدره الكلابى الأسود.

وفجأة شاهده الدب؛ فقال:

ــ ما الذى أعجبك فى هذا المكان أيها الكلب كى تجلس فيه؟

ــ لقد طردنى صاحبى.

ــ يبدو عليك الجوع أيها الكلب.

ــ وأى جوع أيها الدب!

ــ اذهب معى إذن، وسوف أقوم بإطعامك.

وسار الاثنان حتى شاهدا حصانًا شاردًا.

هجم الدب على الحصان فأوقعه على الأرض، ثم مزق الدب جسمه، وقال للكلب:

ــ كل منه كما تشاء حتى تشبع، وعندما تنتهى من أكله بالكامل احضر إلىَّ.

وعاش الكلب لا يحمل همًّا، وعندما نفد لحم الحصان شعر بالجوع ثانية، فذهب إلى الدب.

ــ كيف حالك أيها الأخ؟ هل أكلت الحصان؟

ــ نعم أكلته، وقد حل بى الجوع مرة أخرى.

ــ ولماذا تجوع؟ هل تعرف الطريق إلى بيت صاحبك؟

ــ نعم أعرفه.

ـ فلنذهب معًا إلى هناك حيث أقوم بخطف طفلته، وبعد ذلك تلحق بى وتنتزعها منى لتعيدها إليهم، وسوف تسعد الزوجة بفعلك فتعود إلى إطعامك ثانية كما كانت تفعل فى السابق.

ركض الدب إلى بيت الرجل حيث كانت الزوجة جالسة مع طفلتها، ثم تسلل واختطف الطفلة وهرب بها، وعندما صرخت الطفلة باكية، تجمعت النساء

وصرن يطاردن الدب، لكنهن لم يستطعن اللحاق به، وأخذت الأم تصرخ وتولول من الحزن.

وفجاة ظهر الكلب، وانطلق خلف الدب حتى أدركه، وانتزع الطفلة منه، ثم حملها وعاد بها إلى البيت.

هتفت النساء:

ــ انظروا، لقد انتزع الكلب الطفلة من الدب.

كادت الأم تطير من الفرح، وقالت:

ــ والآن لن أترك هذا الكلب بأى حال من الأحوال.

وبعد ذلك دعت الكلب إلى البيت، حيث وضعت له اللبن والخبز قائلة:

ــ هيا كل واشبع أيها الكلب المخلص.

وقالت لزوجها:

ــ ينبغى العناية بهذا الكلب جيدًا وإطعامه، فقد أنقذ طفلتنا من براثن الدب.

وعاش الكلب فى رخاء وسلام، وامتلأ جسمه من وفرة الطعام، ومنذ ذلك الحين أصبح الدب صديقًا حميمًا له.

وفى أحد الأيام كان أصحاب البيت فى زيارة بالخارج، فحضر الدب ضيفًا على الكلب.

ــ مرحبًا أيها الكلب. كيف أحوالك الآن؟ هل تأكل الخبز؟

رد الكلب:

ــ الحمد لله، فإننى أعيش فى نعيم لا يوصف، وذلك بفضل مساعدتك. هيا بنا نذهب إلى البيت، فقد خرج أصحابه فى زيارة لأقاربهم، لكن عليك بمجرد الدخول أن تختبئ أسفل المدفأة، وسوف آتيك بشىء من الشراب والطعام.

ذهب الدب إلى البيت، وتسلل جالسًا أسفل المدفأة، وركض الكلب إلى طاولة الطعام وصار يخطف من عليها ما تقع عليه يده من طعام وشراب، ويحمله إلى الدب. أكل الدب حتى شبع، وشرب حتى ارتوى ومضى فى الغناء، وهنا بدأ أصحاب البيت فى العودة مع أقربائهم.

فصاح الكلب فى الدب:

ــ كفى غناء حتى لا يسمعنا أحد وتصبح العاقبة وخيمة.

غير أن الدب لم يكف عن الغناء، بل صار يزعق مغنيًا بأعلى صوته، وسمع الناس صوته، فركضوا إليه مسرعين بالعصى والشوم، وأوسعوه ضربًا.

واستطاع الدب بالكاد أن يفر منهم ويركض هاربًا.

وهكذا، كانت هذه هى زيارة الدب للكلب عندما لبَّى دعوته.

الرجل والدب

خرج الرجل إلى الحقل ليزرع لفتًا، وأخذ يعمل بهمة ويعزق الأرض، وفجأة جاء إليه الدب، وقال:

ـ سوف أحطم ضلوعك أيها الرجل.

ـ لا داعى لأن تحطم ضلوعى أيها الدب، بل من الأفضل أن تساعدنى فى زراعة اللفت، وعندما ينضج المحصول نقتسمه معًا، وسوف آخذ لنفسى منه الجذور، وأترك لك الجزء العلوى.

قال الدب:

ـ حسنًا، فليكن الأمر على هذا النحو، ولو خدعتنى فلا تفكر فى الظهور أمامى فى الغابة ثانية وإلا افترستك.

ساعد الدب الرجل فى زراعة اللفت، ثم ذهب إلى وكره فى غابة البلوط.

مرت الأيام، وحل الخريف، ونضجت ثمار اللفت، وخرج الرجل إلى الحقل ليحفر الأرض ويخرج الثمار منها. كما جاء الدب أيضًا من الغابة ليحصل على نصيبه، وقال:

ـ هيا أيها الرجل نقتسم المحصول معًا كما اتفقنا من قبل.

ـ حسنًا أيها الدب، لك الجزء العلوى، ولى الجذور.

وأعطى الرجل للدب الأوراق والسيقان العليا. أما ثمار اللفت فوضعها على عربة، وحملها إلى السوق حتى يبيعها.

وفى أثناء سيره قابله الدب فقال له:

ـ إلى أين تذهب أيها الرجل؟

ـ إنى ذاهب إلى السوق كى أبيع اللفت.

ـ أعطنى بعضًا منه لأتذوقه.

أعطى الرجل للدب بعض اللفت، وما إن أكله الدب حتى صاح:

ـ آه، لقد خدعتنى أيها الرجل، إن ثمارك حلوة الطعم على عكس الأوراق والسيقان التى أخذتها. فإياك أن تأتى إلى الغابة لجمع الحطب، وإلا مزقتك إربًا.

وفى العام التالى، قام الرجل بزرع الشعير، وكان الدب جالسًا فى انتظاره، فقال له:

ـ والآن لن يمكنك خداعى ثانية أيها الرجل، هيا أعطنى نصيبى من المحصول.

ـ لك ما شئت أيها الدب، فليكن نصيبك فى هذه المرة الجزء السفلى من المحصول، وأنا لى الجزء العلوى.

وشرع الاثنان فى جمع الشعير من الحقل، ثم أعطى الرجل للدب جذور الشعير، وأخذ لنفسه السنابل الممتلئة بالحبوب، وحملها إلى بيته.

لم يحصل الدب على فائدة تُرجى من جذور الشعير، وأدرك أنها عديمة الجدوى.

وغضب الدب من الرجل، ومنذ ذلك الحين قامت العداوة بين الرجل والدب.

الغراب والسرطان

كان الغراب يُحلّق طائرًا فوق البحر عندما لمح بنظره سرطانًا، فانقض عليه وأمسكه بفمه، وطار بعد ذلك نحو الغابة، كى يحط على إحدى الأشجار، ويتمكن من التهام السرطان. أدرك السرطان سوء حاله واقترابه من الهلاك؛ فقال للغراب:

ــ أيها الغراب، أيها الغراب، لقد كنت على معرفة وثيقة بوالديك، وكانا غرابين مجيدين.

رد الغراب دون أن يفتح فاهه:

ــ آه.

ــ كما كنت أعرف إخوتك وأخواتك، كم كانوا غربانًا طيبين.

ــ آه.

ــ ورغم عظمة أهلك، فإنهم ليسوا فى رجاحة عقلك وحكمتك الباهرة. فلا نظير لذكائك فى العالم بأسره.

وأعجبت هذه الكلمات الغراب، ففتح فاهه على آخره، مبديًا سعادته بحديث السرطان، وعندئذ سقط السرطان فى ماء البحر، ونجا بحياته من الغراب.

القط والعنزة والخروف

كان ياما كان، عنزة وخروف يعيشان معًا فى سلام ومحبة فى زريبة بأحد البيوت، وكانا يقتسمان فيما بينهما حتى حفنة العشب القليل. وكان يعيش فى البيت قط ماكر ذو جبهة رمادية اللون اسمه فاسكا. كان لصًا مخادعًا لا يكف عن ابتكار البدع والمكائد، وكان يختار أسوأ الأماكن للرقاد بها، حتى وجعته بطنه.

وفى يوم من الأيام جلست العنزة مع الخروف يتسامران ويتبادلان الحديث، فشاهدا القط ذا الجبهة الرمادية يسير باكيًا شاكيًا.

سألت العنزة والخروف القط:

ــ لماذا تبكى أيها القط ذو الجبهة الرمادية؟ ولماذا تسير على ثلاثة قوائم فقط؟

ــ وكيف لا أبكى وقد أوسعتنى صاحبتى ضربًا، وشدت أذنىَّ، وكسرت قدمى، وهددتنى بالسحل والقتل؟

ــ وما الذنب الذى اقترفته كى تفعل بك كل هذا؟

ــ ذنبى أننى قد لعقت إناء القشدة وأكلتها.

وصار القط يبكى مرة أخرى.

ــ لماذا تبكى الآن ثانية أيها القط ذو الجبهة الرمادية؟

ـ كيف لا أبكى بعد أن ضربتنى صاحبتى، وقالت: "سوف يأتى إلينا صهرى ضيفًا، فمن أين أحصل له على القشدة؟ لا مفر لى من ذبح العنزة والخروف".

ـ لقد ضيعتنا بحماقتك يا صاحب الرأس الفارغة. لا بد أن نعاقبك إزاء ما فعلته بنا.

وهنا أخذ القط يطلب منهما الصفح والغفران معترفًا بذنبه، فصفحت عنه العنزة والخروف، وصاروا ثلاثتهم يفكرون فى وسيلة للنجاة من المصير المقدر. وسأل القط الخروف:

ـ أيها الأخ الخروف، لو كان رأسك قويًا بما فيه الكفاية، فانطح به هذه البوابة.

وقف الخروف متأهبًا، ثم ركض نحو بوابة الزريبة وصار ينطحها بقرنيه. غير أنها ظلت صامدة على حالها.

فسأل القط العنزة:

ـ أيتها الأخت العنزة، لو كان رأسك قويًا أريدك أن تنطحى به البوابة.

وقفت العنزة ترفس الأرض بحوافرها، ثم ركضت إلى البوابة ونطحتها نطحة قوية أطاحت بها.

ارتفع الغبار فى الهواء، ودهست الحشائش تحت حوافر العنزة والخروف وهما يركضان هاربين، ومن خلفهما القط ذو الجبهة الرمادية يركض بالكاد على ثلاثة.

أدرك التعب القط، فأخذ ينادى على صاحبيه متوسلا:

ـ أيتها العنزة، أيها الخروف، لا تتركا أخاكما الأصغر.

فحملت العنزة القط على ظهرها وركضت به، وانطلقوا جميعًا يعبرون الجبال ويقطعون الوديان.

وظلوا يركضون ليل نهار بما أتت أقدامهم من قوة.

ووصلوا إلى منحدر وعر ينتهى بحقل واسع، نمت فيه أعداد كبيرة من أشجار الصنوبر الباسقة، وبدت من ضخامتها كما لو كانت مدنًا قائمة.

توقفت العنزة والخروف عند إحدى الأشجار العالية كى ينالوا قسطًا من الراحة.

وهبط المساء خريفيًا باردًا، وفكر الأصدقاء فى وسيلة لإشعال النار، فأحضر القط ذو الجبهة الرمادية أغصانًا يابسة وربطها بقرنى العنزة، ثم جعلها تنطح قرنيها بقرنى الخروف عدة مرات، وأخيرا انقدح الشرر من قوة النطح واشتعلت النار فى الأغصان.

وجلس الجميع يلتمسون الدفء حول النار المتوهجة.

ولم يمض وقت كثير حتى ظهر الدب من حيث لا يدرون، وقال:

ــ اسمحوا لى بالجلوس معكم للراحة والدفء، فإننى منهك خائر القوى.

ــ على الرحب والسعة أيها الدب، من أين قدمت؟

ــ كنت أسعى للطعام فى منحل جيد، لكننى دخلت فى عراك مع بعض الرجال.

وجلس أربعتهم فى حضن الليل الغطيس يتسامرون ويتحدثون: الدب أسفل الشجرة، والقط فوق الشجرة، والعنزة مع الخروف حول النار.

وفجاة ظهر سبعة ذئاب رمادية وثامن أبيض اللون، وركضوا مسرعين نحو الشجرة العالية.

ارتعدت العنزة والخروف من الخوف والهلع، وصاح القط قائلاً:

ــ أيها الذئب الأبيض، إنك ملك على الذئاب فقط، وليس على شقيقى الخروف، فهو إذا غضب لا يعرف الرحمة. أما شقيقتى العنزة ففى لحيتها قوة تقهر الوحوش، وبقرنيها تسلخ الجلود، فإذا كنتم تريدون أن تجربوا شجاعتكم، فعليكم بأخينا الأصغر، الدب الراقد أسفل الشجرة.

أخذت الذئاب بكلام القط، وانقضوا جميعًا يهاجمون الدب. لكن الدب تصدى لهم بجسارة وقوة، وصار يلطمهم بكفه واحدًا بعد الآخر، ويطيح بهم على الأرض. خافت الذئاب وفرت هاربة من المواجهة.

فى هذا الوقت حملت العنزة القط على ظهرها، وركضت هاربة من المكان ومن خلفها الخروف، وانطلقوا فى الغابة حتى حاصرتهم الذئاب مرة أخرى، فأسرعوا إلى إحدى أشجار الجوز، وتسلقها القط برشاقة حتى وصل إلى قمتها. أما العنزة والخروف فتعلق كل منهما بأحد الأغصان بقوائمهما الأمامية.

تجمعت الذئاب حول الشجرة وهى تكشر عن أنيابها.

عندما رأى القط ذو الجبهة الرمادية أن الأمور تسوء، أخذ يقذف الذئاب بثمار الجوز قائلاً:

ــ الذئب الأول، الذئب الثانى، الثالث. ثلاثة ذئاب تكفى ثلاثتنا، لكل منا ذئب نأكله. لقد انتهيت لتوى من التهام ذئبين بعظامهما حتى أصابتنى التخمة؛ لذا فإننى أتنازل لك عن نصيبى يا شقيقى الخروف، وذلك عوضًا عن الدب الذى طاردته ولم تصده.

وما إن أنهى القط حديثه، حتى وقع الخروف بقرنيه من فوق الغصن على الذئاب؛ فصار القط يصيح:

ــ لا تقلتهم من بين مخالبك، أمسك بهم.

أصاب الفزع الذئاب، فتفرقت هاربة وهى تعوى حتى اختفت.

وسار القط ذو الجبهة الرمادية مع العنزة والخروف، يواصلون طريقهم فى الغابة.

جحر الفأر

كان بالحقل هيكل عظمى لحصان ميت. اقترب الفأر الحقار منه، وقال سائلا:

ــ أيها الجحر الجحور، هل هناك أحد يعيش فيك؟

ولم يجب أحد من داخل الهيكل العظمى، فدخل الفأر إليه وصار يعيش فيه، ثم أتى الضفدع النقاق من بعده يقفز، وقال:

ــ أيها الجحر الجحور، هل هناك أحد يعيش فيك؟

ــ أنا الفأر الحفار أعيش هنا. ومن أنت؟

ــ أنا الضفدع النقاق.

ــ انضم إلىَّ إذن، ولنعش معًا.

دخل الضفدع ليعيش مع الفأر، ثم حضر الأرنب، وسأل:

ــ أيها الجحر الجحور، هل هناك أحد يعيش فيك؟

ــ أنا الفأر الحفار ومعى الضفدع النقاق. وأنت من تكون؟

ــ أنا الأرنب المراوغ.

ــ انضم إلينا إذن، ولنعش معًا.

وصار الثلاثة يعيشون معًا، ثم حضر الثعلب.

ــ أيها الجحر الجحور، هل هناك أحد يعيش فيك؟

رد الفأر والأرنب والضفدع فى صوت واحد قائلين:

ـــ من أنت؟

ـــ أنا الثعلب الجوال.

ـــ انضم إلينا إذن، ولنعش معًا.

وصار الأربعة يعيشون معًا، ثم حضر الذئب.

ـــ أيها الجحر الجحور، هل هناك أحد يعيش فيك؟

رد الفأر والأرنب والضفدع والثعلب فى صوت واحد قائلين:

ـــ من أنت؟

ـــ أنا الصائد الماهر.

ـــ انضم إلينا إذن، ولنعش معًا.

وصار الخمسة يعيشون معًا، ثم حضر الدب.

ـــ أيها الجحر الجحور، هل هناك أحد يعيش فيك؟

رد الفأر والأرنب والضفدع والثعلب والذئب فى صوت واحد قائلين:

ـــ من أنت؟

ـــ أنا الدب الذى سوف يهرسكم.

وجلس الدب على الهيكل العظمى فهرس الجميع تحته.

حبات الفول

كان ياما كان، ديك ودجاجة يعيشان معًا فى سلام، وفى إحدى المرات خرج الديك إلى الحقل، واندفع يأكل من حبوب الفول، وينادى على دجاجته:

ــ كوكوكو، هيا أيتها الدجاجة نأكل من حبات الفول الشهية.

ــ كوكوكو، كلها أنت، فإننى لا أريد.

أخذ الديك يأكل من حبات الفول حتى انحشرت إحداها فى حلقه وغَصَّ بها، فنادى على الدجاجة، وقال لها:

ــ اذهبى أيتها الدجاجة إلى النهر، وأحضرى لى ماء كى أشرب.

أسرعت الدجاجة إلى النهر وسألته:

ــ أيها النهر العزيز، أعطنى بعض الماء كى أسقى به الديك؛ لأنه قد شرق بحبة من الفول.

رد النهر قائلاً:

ــ اذهبى إلى شجرة الزيزفون، وأحضرى لى ورقة من أغصانها، حينئذ سوف أعطيك الماء.

ركضت الدجاجة إلى شجرة الزيزفون، وقالت لها:

ــ أعطنى ورقة من أغصانك أيتها الشجرة العزيزة، كى أذهب بها إلى النهر، فيعطينى بعض الماء لأسقى الديك؛ لأن الديك قد شرق بحبة من حبوب الفول.

ردت شجرة الزيزفون:

ــ أحضرى لى خيطًا من الفتاة.

أسرعت الدجاجة إلى الفتاة وسألتها:

ــ أيتها الفتاة العزيزة، أريد خيطًا كى أعطيه لشجرة الزيزفون، وآخذ منها فى المقابل ورقة من أغصانها، ثم أذهب بالورقة إلى النهر، حتى يمنحنى بعض الماء لأسقى به الديك؛ لأن الديك قد شرق بحبة فول.

لكن الفتاة قالت:

ــ أحضرى لى مُشطًا من بائع الأمشاط، وأنا أعطيك الخيط.

ذهبت الدجاجة إلى بائع الأمشاط، وسألته:

ــ أيها البائع العزيز، أريد مشطًا أعطيه للفتاة حتى تهبنى خيطا، كى أعطه لشجرة الزيزفون، وآخذ منها فى المقابل ورقة من أغصانها، ثم أذهب بالورقة إلى النهر، حتى يمنحنى بعض الماء أسقى به الديك؛ لأن الديك قد شرق بحبة فول.

أجاب البائع قائلاً: أحضرى لى سميطة من بائع السميط، وأنا أعطيك المشط.

أسرعت الدجاجة إلى بائع السميط، وسألته:

ــ أيها البائع العزيز، أعطنى سميطة لأذهب بها إلى بائع الأمشاط، وذلك حتى يعطنى مشطا آخذه للفتاة، فتهبنى الفتاة خيطا كى أعطيه لشجرة الزيزفون، وآخذ منها فى المقابل ورقة من أغصانها، ثم أذهب بالورقة إلى النهر، حتى يمنحنى بعض الماء أسقى به الديك؛ لأن الديك قد شرق بحبة فول.

غير أن بائع السميط قال:

ــ اذهبى إلى الحطّاب، وأحضرى لى بعض الحطب وأنا أعطيك السميطة.

ركضت الدجاجة إلى الحطّاب، وسألته:

ــ أيها الحطّاب العزيز، أريد بعض الحطب لبائع السميط، حتى آخذ منه سميطة، لأذهب بها إلى بائع الأمشاط، وذلك حتى يعطينى مشطًا للفتاة، فتهبنى الفتاة خيطًا كى أعطيه لشجرة الزيزفون، لتعطينى فى المقابل ورقة من أغصانها، ثم

أذهب بالورقة إلى النهر، حتى يمنحنى بعض الماء أسقى به الديك؛ لأن الديك قد شرق بحبة فول.

أعطى الحطّاب بعض الحطب للدجاجة.

وحملت الدجاجة الحطب إلى بائع السميط، فأعطاها سميطة. أسرعت الدجاجة بالسميطة إلى بائع الأمشاط، وأخذت منه مشطًا، ثم ذهبت بالمشط إلى الفتاة فأعطتها الفتاة خيطًا، وخرجت الدجاجة بالخيط إلى شجرة الزيزفون، فمنحتها الشجرة ورقة من أغصانها، وحملت الدجاجة الورقة إلى النهر الذى أعطاها الماء.

عندئذٍ ذهبت الدجاجة بالماء إلى الديك، فشرب الديك حتى انزلقت حبة الفول المحشورة فى حلقه، وعاد يصيح ثانية:

ــ كوكاريكو.

عروس الثلج

كان ياما كان، رجل عجوز يعيش مع زوجته، وكانت لهما حفيدة جميلة، بيضاء كالثلج؛ لذلك كانوا يسمونها عروس الثلج.

وفى أحد أيام الصيف خرجت عروس الثلج مع صديقاتها لجمع التوت، ومضت الفتاة تسـير فى الغابة تجمعه من شجرة إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر، حتى ابتعدت كثيرًا عن رفيقاتها دون أن تنتبه.

وأخذت الفتيات يصحن بأعلى صوتهن، وينادين على عروس الثلج التى لم تسمعهن.

ولما هبط الليل على الغابة تفرقت الفتيات إلى بيوتهن.

وجدت عروس الثلج نفسها بمفردها فى الغابة الموحشة، فتسلقت إحدى الأشجار، وجلست فوقها تبكى بمرارة، وتغنى قائلة:

ـ أسفى عليك أيتها الحفيدة

تركوكِ الأصحاب لتكونى وحيدة

أين بيتك الآن أيتها الصغيرة؟

وماذا ينتظرك فى الغابة المطيرة؟

سار الدب ورأى الفتاة فسألها:

ـ لماذا تبكين يا عروس الثلج؟

ـ وكيف لا أبكى أيها الدب، وأنا الحفيدة الوحيدة لجدى وجدتى؟ وقد تركتنى صديقاتى وحيدة فى الغابة.

ـ انزلى من فوق الشجرة، وسوف أحملك إلى بيتك.

ـ كلا، إنى أخاف أن تلتهمنى.

سار الدب فى طريقه مبتعدًا عن الفتاة، وأخذت الفتاة تردد غناءها الحزين ثانية:

ـ أسفى عليكِ أيتها الحفيدة

تركوكِ الأصحاب لتكونى وحيدة

سار الذئب ورأى الفتاة فسألها قائلاً:

ــ لماذا تبكين يا عروس الثلج؟

ــ وكيف لا أبكى أيها الذئب، وأنا الحفيدة الوحيدة لجدى وجدتى؟ وقد تركتنى صديقاتى وحيدة فى الغابة.

ــ انزلى من فوق الشجرة، وسوف أحملك إلى بيتك.

ــ كلا، إنى أخاف أن تلتهمنى.

سار الذئب فى طريقه مبتعدًا عن الفتاة، وأخذت الفتاة تردد غناءها من جديد:

ــ أسفى عليك أيتها الحفيدة

تركوكِ الأصحاب لتكونى وحيدة

سار الثعلب ورأى الفتاة فسألها قائلاً:

ــ لماذا تبكين يا عروس الثلج؟

ــ ــ وكيف لا أبكى أيها الثعلب، وأنا الحفيدة الوحيدة لجدى وجدتى؟ وقد تركتنى صديقاتى وحيدة فى الغابة.

ــ انزلى من فوق الشجرة، وسوف أحملك إلى بيتك.

ونزلت عروس الثلج من فوق الشجرة، وقفزت فوق ظهر الثعلب، وسار الثعلب بها فى ممرات الغابة بين الأشجار، وظل يسير ويسير حتى وصل إلى البيت، فدق على الباب بذيله.

ــ من هناك؟

رد الثعلب قائلا:

ـ لقد أحضرت لكم حفيدتكم عروس الثلج.

ـ تفضل معها أيضًا أيها الثعلب العزيز، كى نكافئك على صنيعك. فاطلب ما شئت نقدمه لك.

وأحضر الجد والجدة اللبن، والبيض، والجبن، ورحبوا بالثعلب ودعوه إلى الطعام نظير عمله الطيب، وأخيرًا أعطياه دجاجة سمينة للطريق.

كوزما الثرى

كان ياما كان، صياد فقير يُدعى كوزما يعيش وحيدًا فى الغابة المظلمة، ولم يكن يرتدى سوى الأسمال المهلهلة، ولا ينام إلا على الخِرَق البالية.

نصب الصياد شركًا مخفيًّا بين الأشجار، وتركه وعاد إلىَ بيته، وفى الصباح ذهب إلى موقع الفخ، فرأى ثعلبًا قد وقع فيه. فرح الصياد كثيرًا وقال:

ــ أحسنت صنعًا بوقوعك فى شركى أيها الثعلب. فسوف أقوم ببيعك، وأتزوج بالمال الذى يأتينى من وراء ذلك.

غير أن الثعلب هتف قائلاً:

ــ أطلق سراحى يا كوزما، وأنا أرد لك الصنيع، وأجعل منك كوزما الثرى. لكن عليك فى الأول أن تحمر لى دجاجة ممتلئة سمينة لآكلها، كى أستطيع الوفاء بعهدى لك.

وافق كوزما على طلب الثعلب، وحمَّر له دجاجة سمينة، فأكلها الثعلب حتى شبع، ثم ذهب إلى بساتين الملك، ومضى يتسكع بها هنا وهناك، وبعد ذلك عاد إلى الغابة يردد بصوت عال:

ــ ترا لام ترا لام، لقد كنت فى ضيافة الملك، حيث أكلت وشربت كل ما أشتهى، وغدًا سوف ألبى دعوته، وأذهب إليه ثانية.

حضر الذئب وصاح:

ــ ما لى أراك أيها الثعلب تتسكع هنا وهناك، وتملأ الدنيا غناءً وزعيقًا؟

ــ ولمَ لا أغنى ولا أزعق؟ لقد كنت فى ضيافة الملك؛ حيث أكلت وشربت كل ما يحلو لى، وقد دعانى للذهاب غدًا مرة أخرى.

قال الذئب راجيًا:

ــ أيها الثعلب، ألا تصحبنى معك غدًا إلى الطعام؟

ــ وهل يعقل أن أخبر الملك بحضور ذئب واحد إليه؟ إذا كنت ترغب فى الذهاب معى إلى الملك، فاجمع أربعين ذئبًا. عندئذٍ يمكننى دعوتكم إلى وليمته.

ركض الذئب فى أرجاء الغابة يجمع الذئاب، حتى صار عددهم أربعين ذئبًا. فذهب معهم إلى الثعلب، وبعد ذلك ذهب الثعلب بالذئاب إلى الملك.

دار الثعلب أمام الملك، وقال له:

ــ مولاى الملك، إن كوزما الثرى يرسل إليك جزيل الاحترام، مع أربعين ذئبًا هدية لكم.

اغتبط الملك بالهدية، وأمر بحبس الأربعين ذئبًا فى حظيرة واحدة، وصار يفكر فى نفسه: "لا بد أن كوزما هذا رجل غنى للغاية".

عاد الثعلب إلى كوزما، وطلب منه أن يُحمِّر له دجاجة سمينة ثانية، وأكل الثعلب منها حتى شبع، ثم انطلق مرة أخرى إلى بساتين الملك.

وصار يتجول بها، ويتريض هنا وهناك، وسار الدب بالقرب منه وسأله:

ـ مالك أيها الثعلب اللعين تسير فى خيلاء وعظمة، وأنت تدب على الأرض دبًا؟

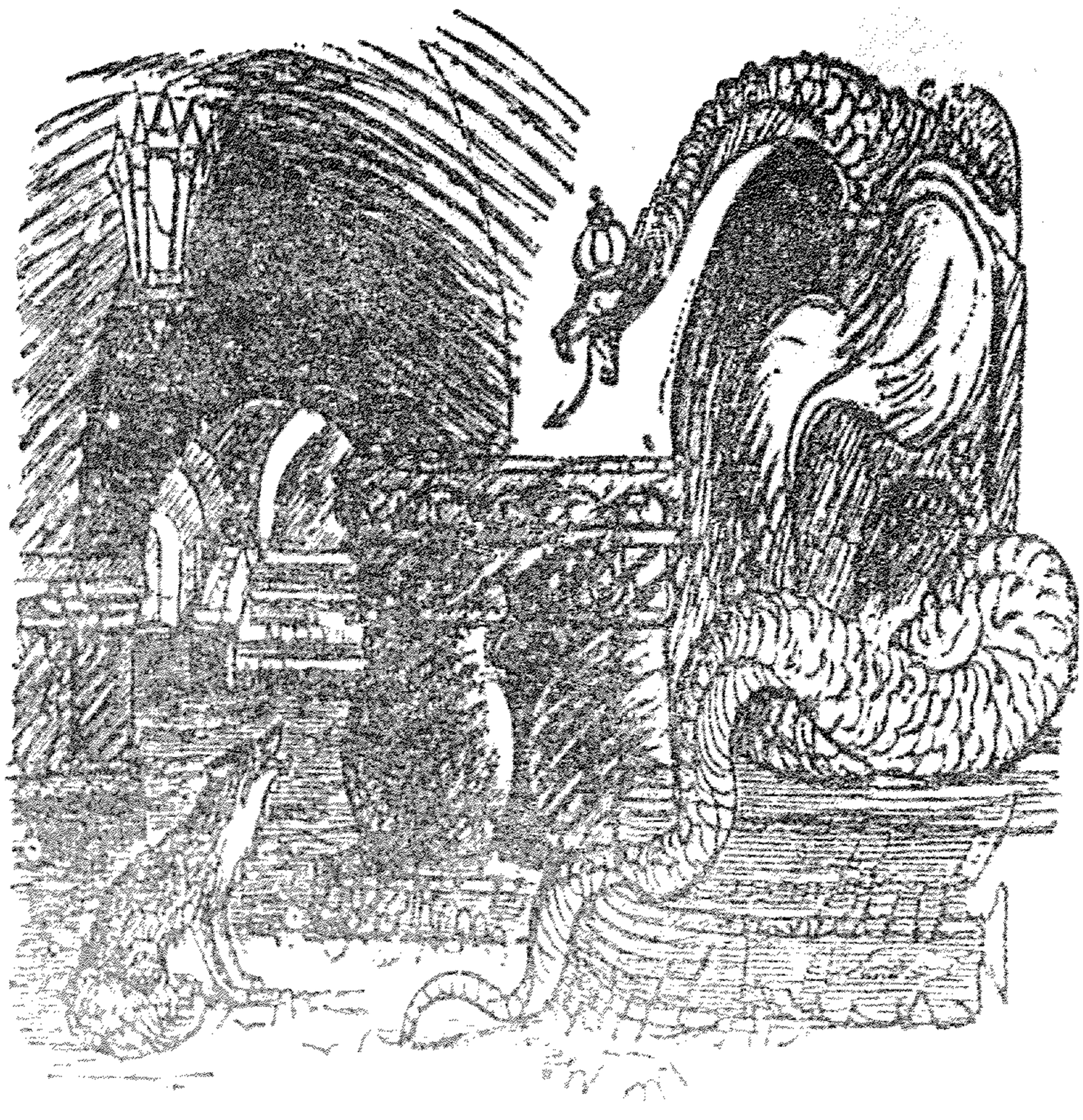

رد الثعلب قائلا:

ـــ ولِمَ لا أزهو بنفسى؟ لقد كنت فى ضيافة الملك؛ حيث أكلت وشربت كل ما أشتهى، وقد دعانى للذهاب غدًا مرة أخرى.

قال الدب متوسلاً:

ـــ أيها الثعلب، ألا تصحبنى معك غدًا إلى الطعام؟

ـــ لا يجوز أن أخبر الملك بحضور دب واحد إلى ضيافته. إذا كنت تريد الذهاب معى إليه، فاجمع أربعين دبًا. عندئذٍ يمكننى دعوتكم إلى وليمته.

ركض الدب فى الغابة يجمع الدببة من أوكارها، حتى صار عددهم أربعين دبًا أسود. فذهب بهم إلى الثعلب، وبعد ذلك ذهب الثعلب بالدببة إلى الملك.

وقف الثعلب أمام الملك وقال له:

ـــ مولاى الملك، إن كوزما الثرى يرسل إلى سموك وافر الإجلال، مع أربعين دبًا هدية لكم.

اغتبط الملك كثيرًا، وأمر بوضع الأربعين دبًا فى الأقفاص، وصار يفكر فى نفسه: "إن كوزما حقا لرجل غاية فى الثراء".

ورجع الثعلب مرة أخرى إلى كوزما، ومن جديد طلب منه أن يُحمِّر له دجاجة ممتلئة، وديكًا سمينًا. وأكل الثعلب بالهناء والشفاء حتى انتفخ بطنه وأثقله الطعام، ثم انطلق مرة أخرى إلى رياض الملك. ومضى يسير فيها ويتسكع هنا وهناك.

وسار سنجاب وسمور بالقرب منه، فسألاه:

ـــ يبدو عليك الشبع أيها الثعلب، فأين استطعت أن تملأ معدتك على هذا النحو؟

أجاب الثعلب قائلاً:

ـــ لقد كنت فى ضيافة الملك؛ حيث أكلت وشربت كل ما تشتهى العين. وقد دعانى للذهاب غدًا مرة أخرى.

قال السنجاب والسمور فى رجاء:

ـــ أيها الثعلب، خذنا معك غدًا إلى مائدة الطعام، ولو حتى نلقى نظرة فقط على الوليمة الرائعة.

ـــ إذا كنتما تريدان الذهاب معى إلى الملك، فاجمعا أربعين سنجابًا وأربعين سمورًا، عندئذٍ يمكننى دعوتكم إلى الاحتفال.

جمع السنجاب والسمور أربعين سنجابًا وأربعين سمورًا، وذهبوا بهم إلى الثعلب، وبعد ذلك ذهب الثعلب بهم إلى الملك.

ركض الثعلب أمام الملك، وقال له:

ـــ مولاى الملك، إن كوزما الثرى يرسل إلى سموك أربعين سمورًا، وأربعين سنجابًا هدية لكم.

ذهل الملك من ثراء كوزما الفاحش، وأمر بوضع الحيوانات فى الأقفاص، وصار يفكر فى نفسه:

"لم أر فى حياتى رجلاً فى ثراء كوزما".

وفى اليوم التالى عاد الثعلب مرة أخرى إلى الملك وقال له:

ـــ مولاى الملك، إن كوزما الثرى يطلب منك أن تعطيه دلوًا، حتى يكيل به الجنيهات الفضية، وذلك لأن كل الدلاء لديه مملوءة بالذهب.

أمر الملك على الفور بإعطاء الدلو للثعلب، فأسرع الثعلب بالدلو إلى كوزما، وطلب منه أن يملأ الدلو بالرمل.

وبعد أن ملأ كوزما الدلو بالرمل، قام الثعلب بنثر بعض العملة الفضية الصغيرة على سطح الدلو، فبدا كما لو أنه ممتلئ بالفضة، ثم حمل الدلو وعاد به إلى الملك مرة أخرى، وطلب منه يد الأميرة ابنته للثرى كوزما.

ظن الملك أن كوزما يمتلك مالاً لا يُحصى ولا يُعد، فوافق على زواجه بالأميرة، وطلب من الثعلب أن يدعوه للحضور إلى قصره.

سار كوزما صوب قصر الملك، وسبقه الثعلب إلى الجسر، ثم طلب من العمال أن يحطموا قوائمه؛ ففعل العمال ما طلبه الثعلب.

وما إن مرَّ كوزما على الجسر، حتى انهار وسقط بكوزما فى الماء.

أخذ الثعلب فى الصراخ والنداء:

ــ أغيثونا، أنجدونا، لقد سقط كوزما الثرى فى الماء.

سمع الملك نداء الثعلب، فأرسل رجاله على الفور، لينتشلوا كوزما من الماء، وعندما أخرج الرجال كوزما من الماء، صاح الثعلب قائلا:

ــ لقد تمزقت ملابس كوزما، ولا بد من إعطائه ملابس جديدة.

أمر الملك بإعطاء كوزما ثيابًا احتفالية تليق به وبمكانته العالية.

وصل كوزما إلى القصر، فاستقبله الملك بحفاوة كبيرة، ودعاه إلى وليمة فاخرة، زاخرة بأطايب المأكولات والشراب.

تزوج كوزما من الأميرة ابنة الملك، وعاش معها فى القصر بضعة أسابيع.

وفى أحد الأيام قال الملك لكوزما:

ــ لقد حان الوقت كى نذهب إلى زيارتك فى بيتك.

أسقط فى يد كوزما، وأعد نفسه للرحيل، فسرجت الخيول، وخرج الجميع للذهاب إلى بيته، فركض الثعلب وسبقهم على الطريق، وسار حتى شاهد قطيعًا من الأغنام يرعاه الرعاة، فسألهم الثعلب:

ــ أيها الرعاة، لمن هذا القطيع؟

ــ إنه للحية جورنيتشا.

ــ لو سألكم أحد فقولوا إن القطيع ملكًا لكوزما الثرى؛ فإن الملك لهب وزوجته طاحونة قادمان إليكم، وإذا لم تخبروهما بأن القطيع لكوزما الثرى، فإنهما سوف يحرقانكم مع القطيع، ثم يطحنانكم طحنًا.

خاف الرعاة مما سمعوه، ووعدوا الثعلب أن يقولوا للملك ما أملاه عليهم عن كوزما الثرى.

ومضى الثعلب يركض إلى الأمام، وشاهد قطيعًا ثانيًا من الأبقار يسوقه عدد من الرعاة.

ــ أيها الرعاة، أيها الرعاة، لمن هذا القطيع؟

ــ إنه للحية جورنيتشا.

ــ لو سألكم أحد فقولوا إن القطيع ملكًا لكوزما الثرى؛ فإن الملك لهب وزوجته طاحونة قادمان إليكم. وإذا ذكرتم اسم الحية جورنيتشا أمامه، فسوف يحرقانكم مع القطيع، ثم يطحنانكم طحنًا.

وافق الرعاة على طلبه، وانطلق الثعلب ثانية على الطريق حتى وصل إلى قطيع من الجياد للحية جورنيتشا، فطلب من الرعاة أن ينسبوا ملكية القطيع لكوزما الثرى.

ــ وإلا فإن الملك لهب وزوجته طاحونة قادمان إليكم، وسوف يحرقانكم مع الجياد حرقًا، ثم يطحنانكم طحنًا.

وافق الرعاة مثل سابقيهم.

مضى الثعلب فى طريقه إلى الأمام حتى وصل إلى قصر الحية جورنيتشا، وذهب إلى مجلسها المصنوع من الطوب الأبيض.

ــ مرحبًا أيتها الحية جورنيتشا.

ــ ما الذى أتى بك إلى هنا أيها الثعلب؟

ــ جئت كى أحذرك من الخطر أيتها الحية جورنيتشا، فإن الملك المرعب لهب وزوجته طاحونة قادمان إليكِ، وذلك بعد أن أحرقا قطعانك حرقا مع الرعاة، ثم قاما بطحنهم طحنًا، وقد فررت بالكاد من الدخان الكثيف للحريق، بعد أن أوشكت على الاختناق به، فعليكِ الهرب والاختباء على الفور دون إبطاء.

التفتت الحية جورنيتشا حول نفسها فى خوف وقالت:

ــ وأين يمكننى الاختباء أيها الثعلب؟

ــ توجد فى حديقتك شجرة بلوط عتيقة، بجذعها تجويف، فأسرعى إليها، واختبئى بها حتى يعبر الملك لهب وزوجته طاحونة.

فزعت الحية جورنيتشا، وأسرعت بالاختباء فى شجرة البلوط.

وانطلق كوزما الثرى يسير مع الملك وزوجته والأميرة، حتى وصلوا إلى قطيع الأغنام، فسألت الأميرة قائلة:

ــ لمن هذا القطيع أيها الرعاة؟

ــ إنه لكوزما الثرى يا سمو الأميرة.

عندئذ صاح الملك فى سعادة:

ــ إن لديك الكثير من الأغنام يا صهرى العزيز.

ثم مضوا يواصلون سيرهم، وبعد فترة شاهدوا قطيع الأبقار؛ فتوقفوا عنده وسألوا:

ــ لمن هذه الأبقار أيها الرعاة؟

ــ إنها لكوزما الثرى يا مولانا.

ــ إن لديك الكثير من الأبقار يا صهرى العزيز.

ثم واصلوا سيرهم، حتى رأوا الرعاة يسوقون الجياد.

ــ لمن هذه الجياد أيها الرعاة؟

ـــ إنها لكوزما الثرى.

ـــ إن لديك الكثير من الجياد يا صهرى العزيز.

ثم ساروا حتى وصلوا إلى قصر الحية جورنيتشا.

استقبل الثعلب الضيوف الأجلاء على أعتاب القصر، وقادهم إلى الداخل حيث القاعة البيضاء التى غطت جدرانها الستائر الطويلة، وأجلسهم على المقاعد المصنوعة من خشب البلوط.

وبدأ الجميع فى الاحتفال وتناول الطعام والشراب، وظلوا أسبوعًا كاملا يقضون الوقت فى اللهو والمرح.

بعد ذلك جاء الثعلب وقال:

ـــ كفاك لهوًا يا كوزما، وحان الوقت كى تنتهى من عملك، وعليك الخروج مع الملك إلى البستان الأخضر. هناك تقف شجرة البلوط العتيقة، حيث تختبئ بها الحية جورنيتشا، فأطلق النار على الشجرة حتى تحطمها إلى أجزاء صغيرة.

خرج كوزما مع الملك إلى البستان الأخضر، وتوقفا عند شجرة البلوط العتيقة، ثم صار الاثنان يصوبان أسلحتهما إليها، ويطلقان النار عليها، وهنا كانت نهاية الحية جورنيتشا.

ومنذ ذلك الوقت، أصبح كوزما الثرى يعيش مع زوجته فى قصر الحية، وكان يدعو الثعلب كل يوم إلى تناول ما لذَّ وطاب من الطعام.

عندما تعلَّم الثعلب الطيران

فى أحد الأيام شاهدت البجعة الثعلب فقالت له:

ـــ هل تستطيع الطيران أيها الثعلب؟

ـــ كلا، لا أستطيع.

ــ هيا إذن اجلس على ظهرى، وسوف أعلمك كيف تطير.

جلس الثعلب على ظهر البجعة التى حلقت به عاليًا فى السماء.

ــ كيف الحال أيها الثعلب؟ هل ترى الأرض أو لا تراها؟

ــ إننى أراها بالكاد من هذا العلو الشاهق.

مالت البجعة بجسمها حتى وقع الثعلب من فوق ظهرها.

وسقط الثعلب فوق مكان عشبى طرى.

ثم هبطت إليه البجعة، وقالت له تسأله:

ــ هل تعلمت الآن كيف تطير؟

ــ نعم تعلمت الطيران، لكننى لم أتعلم بعد الهبوط على الأرض.

ــ هيا اجلس ثانية على ظهرى وسوف أعلمك.

وجلس الثعلب مرة أخرى على ظهر البجعة، وطارت البجعة محلقة أعلى من المرة السابقة، ثم مالت بجسمها حتى أسقطته.

سقط الثعلب فى مستنقع من الماء بعمق تسعة أمتار.

وهكذا، تعلم الثعلب الطيران.

الصقيع الرحيم

كان ياما كان، رجل ماتت زوجته فتزوج من امرأة أخرى. كان للرجل ابنة، وكانت لزوجته الجديدة ابنة أيضًا.

ويعلم الجميع كيف تصبح الحياة مع زوجة الأب، فكان نصيب ابنة الرجل المسكينة الزجر والضرب لأى هفوة صغيرة، والســـــباب ينهال عليها لكل صغيرة أو حتى لوجه الله، ولم يكن بوسع الفتاة سوى الصمت بعيون حزينة، فقد كانت الابنة واعية حكيمة.

كانت الفتاة ابنة الرجل تقوم بإطعام المواشى، وجمع الحطب، وجلب الماء إلى البيت، وإشعال الفرن، وتنظيف البيت، وتظل تعمل وتكدح حتى طلوع الفجر، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن بوسعها إرضاء زوجة أبيها، التى لم تكف أبدًا عن الاعتراض وتوجيه اللوم ــ "هذا لم تفعليه كما ينبغى. وذاك لم ترتبيه على النحو المطلوب".

ومهما طال عصف الرياح، فإنها تسكن فى النهاية، لكن زوجة الأب لم ترضَ عن الفتاة أبدًا، بل أخذت تفكر فى وسيلة للتخلص منها وقتلها.

قالت المرأة للزوج:

ــ اذهب بها أيها العجوز بعيدًا عنى حتى لا يقع نظرى عليها. اذهب بها إلى الغابة حيث الصقيع القارس والثلوج الغزيرة.

حزن العجوز وأصابه الكرب، وأخذ فى البكاء، لكنه لم يستطع أن يعارض طلب زوجته، فأسرج فرسه وربطه إلى الزلاجة، وقال:

ــ هيا اجلسى على الزلاجة يا ابنتى المحبوبة.

ومضى بالصغيرة المسكينة نحو الغابة، وهناك تركها فوق كثب ثلجى، أسفل شجرة من أشجار الصنوبر.

جلست الفتاة تحت الشجرة ترتجف أوصالها من الصقيع والبرد، وفجأة سمعت صوت الصقيع الخفى وهو يتشقق ويتصدع من حول الشجرة، وصار يسقط ويتجمع حول الفتاة، ثم صاح الصقيع من أعلى الشجرة يقول:

ــ هل بدأ الدفء يسرى فى جسمك أيتها الفتاة؟

ــ نعم أيها الصقيع العزيز.

أخذ الصقيع يتشقق ويتكسر أكثر فأكثر، ويتساقط أسفل الشجرة محيطًا بالفتاة، وقال:

ــ والآن، هل تشعرين بالدفء أيتها الصغيرة الجميلة؟

بدأت أوصال الفتاة تتجمد من البرد، ونطقت بالكاد قائلة:

ــ نعم، أشعر بالدفء أيها الصقيع الطيب.

فتشقق الصقيع أكثر وأقوى من قبل، وانهمر محيطًا بالفتاة من كل جانب، وقال سائلاً:

ــ أما زلتِ تشعرين بالدفء أيتها الصغيرة الجميلة؟

تجمدت الفتاة من البرد القارس، وحركت لسانها بصعوبة بالغة قائلة:

ــ نعم، أشعر بالدفء أيها الصقيع العزيز.

وهنا ألقى الصقيع على الفتاة بمعطف من الفراء، ودثرها بأغطية من الصوف حتى سرى الدفء فى جسمها.

أما زوجة الأب، فقد كانت تعد لإقامة الحداد على الفتاة، وصارت تعجن الفطائر، وصرخت فى زوجها قائلة:

ــ هيا انهض أيها العجوز البليد، وأحضر ابنتك لندفنها.

خرج العجوز إلى الغابة، وذهب إلى المكان الذى ترك به الفتاة، أسفل شجرة الصنوبر، ونظر فرأى ابنته فى أحسن حال تلهو وتمرح بسعادة، وترتدى معطفًا فاخرًا من الفراء، والذهب والفضة يغطيان جسمها، كما كان هناك بجانبها صندوق مملوء بمختلف الهدايا الثمينة.

فرح العجوز فرحًا كبيرًا، ووضع الأغراض الثمينة فوق الزلاجة، ثم أجلس ابنته عليها، ومضى عائدًا إلى بيته.

كانت زوجة الأب تخبز الفطائر فى البيت، ونبح الكلب من تحت الطاولة يقول:

ــ هوهوهو، ابنة الرجل ترفل فى الذهب والفضة والفراء، وابنة المرأة العجوز لن ترى زوجًا ولا ثراء.

رمت المرأة بفطيرة للكلب، وقالت:

ــ لا تقل هذا أيها الكلب، بل قل: "سوف نقيم الزفاف لابنة المرأة العجوز، وندفن عظام الفتاة فى التراب".

لكن الكلب أكل الفطيرة وعاد يردد:

ــ هوهوهو، ابنة الرجل ترفل فى الذهب والفضة والفراء، وابنة المرأة العجوز لن ترى زوجًا ولا ثراء.

ثارت المرأة العجوز، وأخذت تضرب الكلب، وفر الكلب يعوى هاربًا من أمامها.

وفجأة ارتفع صوت صرير البوابة، وانفتح الباب، ودخلت الفتاة ابنة الزوج ترفل فى الذهب والفضة يتلألآن على جسمها كالنجوم الساطعة، ومن خلفها يحمل

الأب صندوقا كبيرًا مملوءًا بالهدايا الثمينة. نظرت المرأة العجوز وجحظت عيناها من الدهشة والذهول، فصرخت فى الرجل تقول:

ـــ هيا أسرج فرسك سريعًا أيها العجوز البليد، واحمل ابنتى إلى نفس المكان الذى تركت به الفتاة فى الغابة.

وضع الرجل ابنة الزوجة على الزلاجة، وسار بها إلى الغابة، وعندما وصل إلى شجرة الصنوبر، تركها فوق الكثب الثلجى أسفل الشجرة، وعاد أدراجه.

جلست ابنة المرأة العجوز وأسنانها تصطك من الزمهرير.

وسرعان ما بدأ الصقيع يتشقق ويتصدع من حولها، وأخذ ينتقل من شجرة إلى أخرى متجمعًا عندها، ثم نظر الصقيع إلى ابنة المرأة العجوز وقال:

ــ هل تشعرين بالدفء أيتها الفتاة؟

ردت الفتاة قائلة:

ــ بالطبع أيها الصقيع الأحمق. اذهب من عندى ولا تتجمع حولى.

لكن الصقيع صار يتشقق أكثر من السابق، وأخذ يتساقط على الفتاة، وقال:

ــ ألا تشعرين بالدفء الآن أيتها الفتاة الجميلة؟

ــ لقد تجمدت يداى وقدماى، فارحل من هنا أيها الصقيع الملعون.

تصدع الجليد أكثر وأشد من ذى قبل، ومضى الصقيع يلتف حول الفتاة وقال:

ــ والآن هل تشعرين بالدفء أيتها الفتاة الصغيرة الجميلة؟

ــ ألا تخجل من نفسك أيها الصقيع الملعون؟ ارحل من هنا واغرب عن وجهى.

ثار الصقيع وتملك الغضب منه، فأحاط بالفتاة تمامًا حتى تجمدت.

ــ وما إن شقشق الفجر، وظهر أول خيط من خيوط النهار، حتى صاحت المرأة العجوز فى زوجها:

ــ هيا أيها الزوج البليد أسرج فرسك بسرعة، واذهب إلى الغابة لتحضر ابنتى مع الذهب والفضة والهدايا الثمينة.

رحل الرجل، وأخذ الكلب ينبح قائلا:

ــ سوف يزفون ابن الرجل العجــوز إلى زوجها، وعظــام ابنة المرأة العجوز إلى التراب مآلها.

رمت العجوز إلى الكلب بفطيرة، وقالت:

ــ لا تقل هذا أيها الكلب الأحمق، بل قل: "ابنة العجوز سوف تأتى رافلة فى الذهب والفضة".

لكن الكلب مضى يردد قائلاً:

ــ سوف يزفون ابنة الرجل العجوز إلى زوجها، وعظام ابنة المرأة العجوز إلى التراب مآلها.

ارتفع صوت صرير البوابة، وهرعت المرأة العجوز مسرعة لاستقبال ابنتها. فرفعت الغطاء من فوق الزلاجة ونظرت إليها، وشاهدت ابنتها جثة هامدة بلا حراك.

وصارت المرأة العجوز تصرخ وتولول لما شاء الله.

ماشا والدب

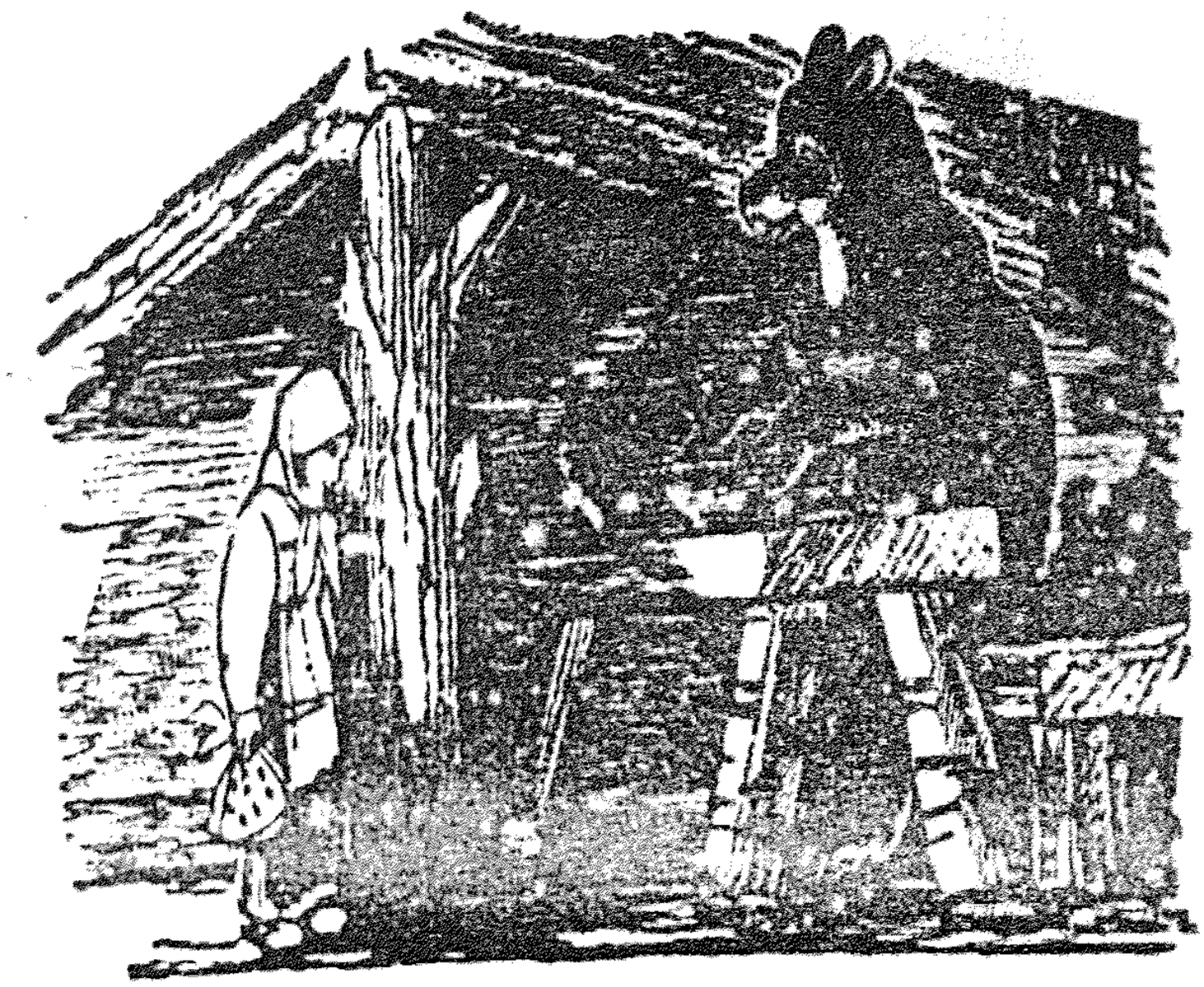

كان ياما كان، جد وجدة يعيشان معًا، وكان لهما حفيدة اسمها ماشا.

وفى أحد الأيام اجتمعت الفتيات للخروج إلى الغابة، وذلك كى يجمعن الفطر وثمار التـــوت، فذهبن إلى ماشا ليصحبنها معهن. فقالت ماشا لجـــدها وجدتها:

ــ يا جدى، ويا جدتى، أرجو أن تسمحا لى بالخروج إلى الغابة مع صديقاتى.

رد الجد والجدة:

ــ اذهبى، لكن حاذرى ألا تبتعدى عنهن، حتى لا تتــوهين فى الغــابة فلا تستطيعين العودة.

وخرجت الفتيات إلى الغابة، وصرن يجمعن ثمار الفطر والتوت، وأخذت ماشا تقفز من مكان إلى آخر، وتسير من شجرة إلى آخر ، حتى ابتعدت عن صديقاتها بمسافة كبيرة.

وصارت ماشا تصيح وتنادى على رفيقاتها، لكن أحدًا منهن لم يسمعها.

سارت ماشا طويلاً فى دروب الغابة حتى تاهت فيها تمامًا، ووصلت إلى قلب الغابة، ونظرت فرأت كوخًا، فخبطت ماشا على باب الكوخ، ولم يجبها أحد، ودفعت الباب بيدها فانفتح أمامها.

دلفت ماشا إلى داخل الكوخ، وجلست على مقعد بجوار النافذة.

جلست ماشا تفكر:

"من يا ترى يعيش بهذا البيت؟ ولماذا لا يوجد أحد هنا؟.."

كان هذا الكوخ مسكنًا لدب ضخم هائل الحجم. غير أنه لم يكون موجودًا بالبيت فى هذا الوقت، بل كان يهيم على وجهه فى الغابة.

عاد الدب إلى كوخه فى المساء، وعندما شاهد ماشا اغتبط، وقال:

ــ يا لحظى الطيب، الآن لن أدعك تخرجين من هنا، بل تعيشين معى، كى تشعلى الفرن كل يوم، وتطهى لى الحساء، وتعدى الطعام لى.

حزنت ماشا المسكينة، وأصابها الكرب، ولم يكن بيدها حيلة إزاء هذا الأمر، فاستسلمت لقدرها، وأصبحت تعيش فى كوخ الدب.

كان الدب طوال اليوم يقضى وقته بالغابة، وأصدر أوامره لماشا بعدم الخروج من الكوخ، وقال لها:

ــ لو أنك عصيت أوامرى، وخرجت من البيت، فسوف أعثر عليك، وأقوم بالتهامك.

أخذت ماشا تفكر فى وسيلة للهرب من الدب، لكن أين المفر والغابة تحيط بها من كل جانب، ولا يوجد أحد تسأله عن الطريق؟

وظلت الفتاة تفكر وتفكر، حتى طرأ لها خاطر.

فى إحدى المرات، عاد الدب إلى البيت من الغابة، فقالت له ماشا:

ــ أيها الدب العزيز، اسمح لى بالخروج إلى القرية ليوم واحد فقط، وذلك كى أحمل لجدى وجدتى فطيرة من التوت.

أجاب الدب قائلاً: كلا لن أسمح لك؛ فقد تضلين الطريق إذا خرجت فى الغابة. اصنعى الفطيرة، وسوف أذهب بها إليهما بنفسى.

كان هذا ما تريده ماشا.

وقامت الفتاة على الفور بخبز فطيرة التوت وإعدادها، ثم أحضرت صندوقا كبيرًا وضعت بداخله الفطيرة، وقالت للدب:

ــ لقد خبزت الفطيرة ووضعتها داخل هذا الصندوق، فاحمله إلى بيت جدى وجدتى، لكن حذارى أن تفتح الصندوق أثناء الطريق وتحاول أكل الفطيرة. فسوف أتسلق شجرة البلوط العالية وأراقبك على الطريق.

رد الدب قائلاً: حسنًا، أعطنى الصندوق.

قالت ماشا:

ــ اصعد إلى السقف أولا لترى إن كان الجو ممطرًا فى الغابة.

وما إن صعد الدب فوق السقف حتى تسللت ماشا إلى داخل الصندوق، ووضعت فوق رأسها فطيرة التوت.

ثم عاد الدب ورأى الصندوق جاهزًا على الأرض. فحمله فوق ظهره وسار به فى الغابة صوب القرية.

سار الدب فى الغابة بين أشجار الصنوبر وشجر البريوزا[1].

ومضى الدب فى الدروب بين الأحراش، حتى أصابه التعب، وقال:

ــ فلأجلس فى الظهيرة

لأكل الفطيرة

وصارت ماشا تصيح من داخل الصندوق:

إن عيونى تراك

فلا تجلس هناك

إياك أن تأكلها

وإلى جدى احملها

قال الدب:

ــ يا لها من فتاة بعيدة النظر، تستطيع أن ترى كل شىء.

---

(١) شجر البريوزا : هو نوع من الأشجار الرفيعة العالية المكسوة بغشاء أبيض منقط باللون الأسود مثل جلد الفهد، وهو ينمو فى الغابات الروسية بالمناطق الباردة. ويصنع من قشوره عصير طيب المذاق مغذى يسمى بعصير البيريوزا ــ المترجم.

سار الدب طويلاً فى طريقه وهو يحمل الصندوق، حتى تعب ثانية فجلس يقول:

ــ فلأجلس فى الظهيرة

لآكل الفطيرة

وصارت ماشا تصيح مرة أخرى من داخل الصندوق:

إن عيونى تراك

فلا تجلس هناك

إياك أن تأكلها

وإلى جدى احملها

هتف الدب فى دهشة:

ــ يا لها من فتاة ماكرة، تجلس عاليًا وترى بعينيها أبعد الأشياء.

ثم نهض من جلسته مواصلاً طريقه.

وأخيرًا وصل الدب إلى القرية، وعثر على بيت الجد والجدة، وأخذ يطرق الباب بكل قوته قائلاً:

ــ توك توك توك، افتحوا الباب وخذوا الهدية، فقد أحضرت لكم فطيرة أرسلتها ماشا معى.

فى هذه اللحظة شمت الكلاب بأنوفها رائحة الدب، فهجموا عليه من كل جانب وهم ينبحون ويصيحون.

تملك الخوف من الدب، فترك الصندوق أمام البيت، وفرَّ هاربًا إلى الغابة لا يلوى على شىء.

وخرج الجد والجدة إلى الباب ينظران، فشاهدا الصندوق أمامهما على الأرض.

رفع الجد غطاء الصندوق ينظر بداخله؛ فلم يصدق عينيه من السعادة، فقد كانت ماشا جالسة فى الصندوق حية سليمة.

فرح الجد والجدة، وصارا يعانقان ماشا ويقبلانها، ويثنيان على براعتها وذكائها.

مشتى الحيوانات

كان الثور يسير بالغابة فقابل الخروف.

ـ إلى أين تمضى أيها الخروف؟

ـ أبحث عن مأوى أحتمى به من الشتاء.

ـ إذن فلتذهب معى.

سار الاثنان معًا حتى صادفا الخنزير؛ فسأله الثور قائلاً:

ـ إلى أين تذهب أيها الخنزير؟

رد الخنزير:

ــ أبحث عن مأوى أحتمى به من الشتاء.

ــ إذن فلتذهب معنا.

وسار الثلاثة معًا حتى قابلتهم الإوزة، فسألها الثور قائلاً:

ــ إلى أين تذهبين أيتها الإوزة؟

ــ أبحث عن مأوى أحتمى به من الشتاء.

ــ إذن فلتذهبى معنا.

وسارت الإوزة خلفهم حتى شاهدوا الديك يركض أمامهم؛ فسأله الثور قائلاً:

ــ إلى أين تذهب أيها الديك؟

ــ أبحث عن مأوى أحتمى به من الشتاء.

ــ إذن فلتذهب معنا.

وساروا جميعًا على الطريق للبحث عن مشتى يحميهم من البرد، وأخذوا يتبادلون الحديث فيما بينهم:

ــ لقد هبَّت تباشير الشتاء، وأصبح البرد على الأبواب، فأين يمكن العثور على مكان دافئ؟

اقترح الثور:

ــ فلنبنى لنا بيتًا يحمينا من البرد والجليد.

قال الخروف:

ــ لا حاجة لى لبناء بيت؛ فأنا لدى من الوبر الكثيف على جسمى ما يحمينى من البرد. انظروا إلى الصوف الذى يغطينى.

وصاح الخنزير:

ــ وأنا سمين ولا أخشى البرد، وسوف أكمن فى حفرة بالأرض، ويمكننى قضاء الشتاء بلا بيت.

ثم هتفت الإوزة:

ــ أما أنا فيمكننى فرد أحد جناحى أسفل جسمى، وبالجناح الآخر أغطى نفسى وألتحف به، وبهذه الطريقة سوف أقضى الشتاء دون خوف من البرد.

وضحك الديك قائلاً:

ــ إننى أيضًا صاحب جناحين كبيرين، وسوف أتغلب بهما على البرد.

وأدرك الثور أن الأمور قد ساءت من حوله، ولا أحد منهم يؤيد رأيه، فقال:

ـ لكم مطلق الحرية فى رأيكم. أما أنا فسوف أبنى لى بيتًا للشتاء.

وشيَّد الثور لنفسه بيتًا من جذوع الأشجار، وصار يعيش فيه، وسرعان ما هجم الشتاء البارد، وساد الصقيع أرجاء الغابة، فجاء الخروف إلى بيت الثور، وقال له:

ـ اسمح لى بدخول بيتك أيها الأخ كى أدفئ نفسى.

ـ كلا، لن أسمح لك أيها الخروف؛ فلديك وبر كثيف من الصوف يحميك من البرد.

ـ إن لم تسمح لى بالدخول، فسوف أحطم جذوع الشجر فى بيتك حتى يصيبك البرد والصقيع.

فكر الثور طويلاً: "فلأدعه يدخل البيت حتى لا أتجمد أنا الآخر". وأذن له الثور بالدخول.

بعد ذلك حضر الخنزير الكسلان، وقال:

ـ اسمح لى بالدخول أيها الأخ كى أدفئ جسمى.

ـ كلا لن أسمح لك بالدخول أيها الخنزير؛ فلتحفر لنفسك حفرة بالأرض تحميك من البرد.

ـ إن لم تسمح لى بالدخول، فسوف أحطم بيتك وأحوله إلى أطلال.

أسقط فى يد الثور، وسمح للخنزير بالدخول.

وهنا وصلت الإوزة والديك إلى بيت الثور وقالا:

ـ اسمح لنا بالدخول أيها الأخ كى ندفئ أجسامنا.

ـ كلا لن أسمح لكما بالدخول؛ فإن لدى كل منكما جناحين، يمكنه وضع أحدهما أسفله، والآخر يتدثر به من برد الشتاء.

ـ هتفت الإوزة:

ـ إن لم تسمح لنا بالدخول، فسوف أنتزع بمنقارى كل الطحالب التى تكتسى بها جدران بيتك، فتشعر بالبرودة والزمهرير.

وصاح الديك:

ـ إن لم تسمح لنا بالدخول، فسوف أقفز على سقف البيت وأنزع أخشابه حتى أعريه؛ فينزل عليك البرد والصقيع.

استسلم الثور، وسمح للإوزة والديك بالدخول إلى البيت الشتوى، وبعد أن سرى الدفء فى جسم الديك صار يشدو بالأغانى.

سمع الثعلب غناء الديك، فتاقت نفسه إلى تذوق لحمه، وصار يفكر فى حيلة تمكنه من الوصول إلى الديك؛ فذهب إلى الدب والذئب وقال لهما:

ـ أبشرا أيها الصديقان، فقد عثرت لكما على طعام شهى. ثور لك أيها الدب، وخروف لك أيها الذئب، والديك من نصيبى.

قال الدب والذئب:

ـ أحسنت صنعًا أيها الثعلب، ولن ننسى صنيعك هذا أبدًا. هيا بنا للحصول على الطعام الشهى.

ثم قادهم الثعلب إلى بيت الثور الشتوى، وقال الدب للذئب:

ـ تقدم إلى الأمام أيها الذئب.

لكن الذئب هتف معترضًا:

ـ كلا، إنك أقوى منى وأكبر حجمًا، فتقدمنا أنت إلى الأمام.

أذعن الدب وتقدم نحو البيت، وما إن اقترب من الباب حتى مال الثور برأسه من الداخل وحشر قرنيه يسد بهما الباب، وركض الخروف، فنطح الدب

نطحة هائلة فى جنبه وشلّ قدميه، واندفع الخنزير يعضه فى بوزه، ثم طارت الإوزة وأخذت تنقر عينيه، أما الديك فجلس عند عتبة الباب يصرخ بصوت عال:

ــ أسرعوا إلى هنا أيها الشجعان، أسرعوا إلى هنا أيها الشجعان.

سمع الذئب والثعلب صراخ الديك ففرا هاربين.

واستطاع الدب بصعوبة بالغة أن يفلت نفسه وينجو بعمره، ثم ركض حتى أدرك الذئب وأخذ يحكى له قائلاً:

ــ يا لهول ما رأيت، ما شعرت فى حياتى بمثل هذا الفزع؛ فما إن وطئت قدماى عتبة الباب، حتى انهالت علىَّ ربة البيت بالضرب، ثم صاحت تنادى على الخلق الذين تكالبوا علىَّ ، وأخذ كل منهم يضربنى كيفما شاء. فمنهم من صار يعضنى فى رأسى، وآخر ينقر عينى، وثالث جلس عند العتبة يهتف قائلاً: "أسرعوا إلى هنا أيها الشجعان، أسرعوا إلى هنا أيها الشجعان". ولو أنكم جئتم معى، لكان مصيركم هو الموت المحقق.

اذهب إلى حيث لا أدرى

وأحضر لى ما لا أعلم

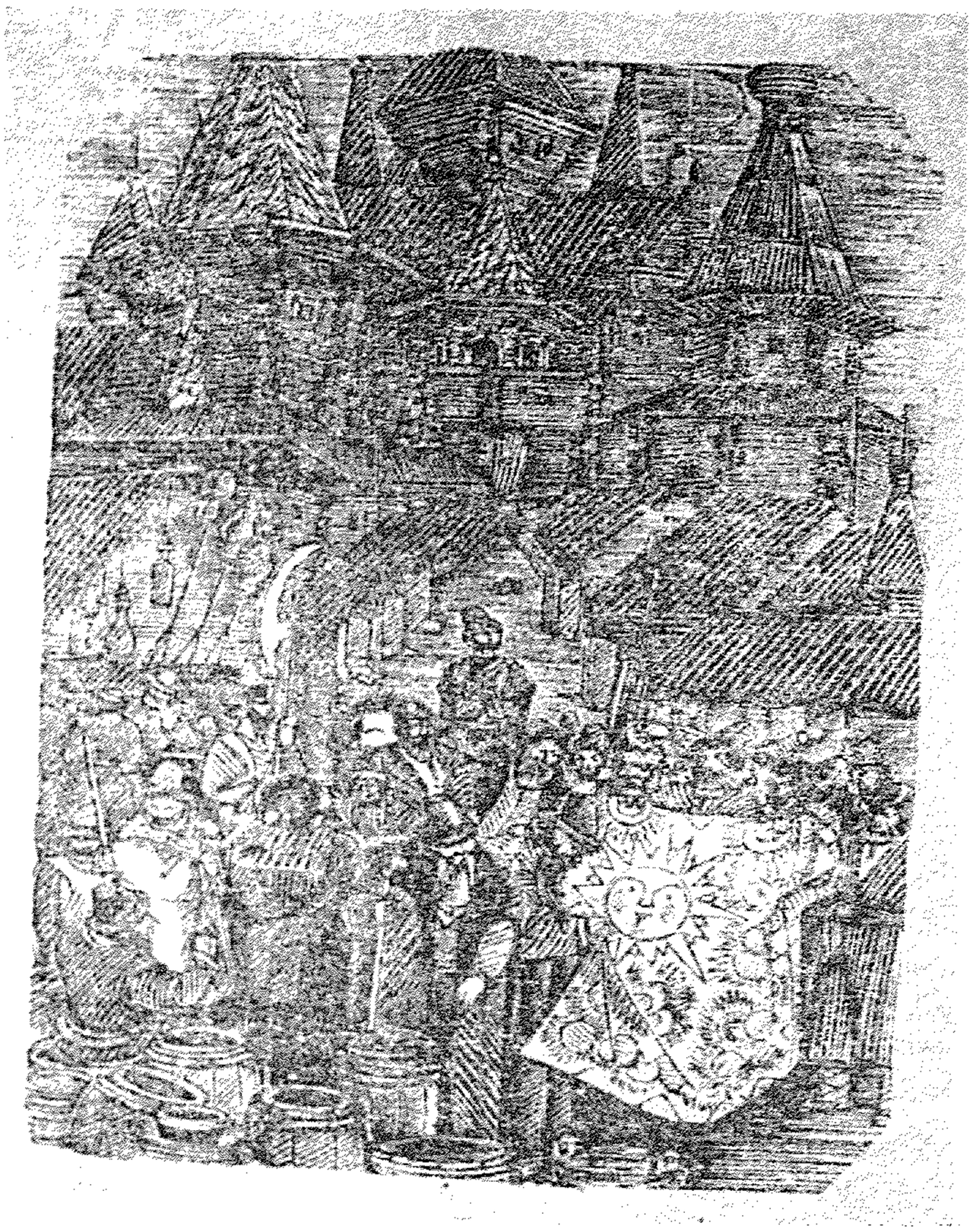

فى زمن من الأزمنة القديمة، عاش أحد الملوك، وكان الملك عزب لم يتزوج، وكان لديه قناص ماهر يُدعى أندريه.

وفى إحدى المرات خرج أندريه القناص إلى الصيد، وظل طوال اليوم يسير فى الغابة ويسير بلا صيد أو طريدة، وعندما أشرف الليل على الهبوط، سار أندريه فى طريق العودة، وفجأة، سمع أثناء سيره صوت دليل يتردد من حوله، ونظر بعينيه فرأى يمامة جالسة فوق إحدى الأشجار. فكر أندريه فى نفسه قائلاً:

"فلأصوب سهمى على هذه اليمامة، حتى لا أعود خاوى اليدين".

وأطلق الفتى سهمه، فجرح به اليمامة، ووقعت من فوق الشجرة على أرض الغابة، فأمسك بها أندريه، وأراد أن يقطع رأسها، عندئذ صاحت اليمامة بصوت آدمى تقول:

ــ لا تقتلنى أيها القناص أندريه، ولا تقطع رأسى، بل خذنى معك إلى البيت، واتركنى على نافذتك، وانتظر حتى يغالبنى النعاس، ثم اضربنى بيدك اليمنى بشدة، عندئذ سوف تحصل على قدر كبير من السعادة.

أصابت الدهشة أندريه القناص، وفكر :"ما هذه المعجزة؟ كيف يمكن أن يتكلم الطائر بصوت آدمى؟".

وحمل أندريه اليمامة، وذهب بها إلى بيته، ثم وضعها فوق النافذة، ووقف منتظرًا ينظر إليها، ولم يمض سوى وقت قليل، حتى دست اليمامة رأسها أسفل جناحها، وراحت فى النوم، وتذكر أندريه قول اليمامة له، وقام بضربها بيده اليمنى بشدة، فوقعت اليمامة على الأرض، وفى لمح البصر تحولت اليمامة إلى فتاة رائعة الحسن والجمال. تخلب روعتها الألباب، ولا يرى الناس جمالاً يباريها إلا فى الحكايات. لم تكن الفتاة سوى الأميرة الحسناء ماريا.

قالت الأميرة ماريا للقناص:

ـ كما استطعت أن تصيبنى بسهمك، ينبغى عليك أن تأسرنى فى قلبك. فأقم لى حفلاً كبيرًا للزفاف، وسوف أكون لك زوجة مخلصة وفية، وأسعدك طيلة أيام حياتك.

خفق قلب القناص للفتاة، وتزوج أندريه من الأميرة ماريا، وعاش مع الزوجة الصغيرة فى سعادة ومحبة، وفى الوقت نفسه، لم يهمل عمله لدى الملك. فكان يخرج كل يوم فى الفجر إلى الغابة، ولا يعود إلا بالطرائد يحملها إلى مطبخ القصر.

عاش الاثنان معًا لوقت قصير، وفى أحد الأيام قالت ماريا:

ــ إنك تعيش فى فقر شديد يا أندريه.

ــ لكننى قانع بحالى.

ــ أريدك أن تجمع مائة روبل[1]. وتشترى بها من السوق بعض الحرير،وسوف أجعلك فى حال أفضل.

أذعن أندريه لطلب زوجته؛ فاقترض من رفاقه الروبلات، واشترى لها حريرًا، ثم ذهب به إلى زوجته، فأخذت منه الأميرة ماريا الحرير، وقالت له:

ــ والآن اذهب للنوم؛ فنور العقل يشرق فى الصباح لا بالليل.

ذهب أندريه إلى فراشه، وراح فى النوم، بينما جلست الأميرة ماريا تحيك الحرير، وظلت جالسة طوال الليل وهى تحيك وتعمل، حتى صنعت من الحرير بساطًا لا نظير له فى العالم بأسره. كان البساط منقوشًا برسومات للممالك والمدن، وصور للأشجار والطيور المحلقة فى السماء، وأشكال للوحوش المختلفة فى الغابات، ومناظر للأسماك فى البحار، ومن حولهم الشمس والقمر يدوران.

وفى الصباح، أعطت الأميرة ماريا البساط لزوجها، وقالت له:

ــ احمل هذا البساط إلى شارع التجار واعرضه للبيع، ولا تحدد له ثمنًا أو سعرًا، بل اقبل بما يعرض عليك من مقابل.

حمل أندريه البساط تحت إبطه، وخرج به إلى شارع التجار.

---

(١) الرويل: هو العملة الروسية التى يستخدمها الروس حتى الآن ــ المترجم.

وجاء إليه أحد التجار، وسأله قائلاً:

ــ بكم تبيع هذا البساط أيها الأخ المبجل؟

ــ أنت رجل يعمل بالتجارة، فحدد ثمنه بنفسك.

نظر التاجر طويلاً إلى البساط، وصار يفكر ويفكر، ولم يستطع أن يحدد له ثمنًا. ثم جاء تاجر ثان، فثالث، حتى اجتمع حوله عدد كبير من التجار، وأخذوا جميعًا يتفحصون البساط المدهش، دون أن يقدر أحد منهم أن يحدد له ثمنًا.

فى هذا الوقت، سار بالقرب منهم أحد وزراء الملك، يركب عربة تجرها الخيول، ولما رأى الحشد المجتمع، دفعه الفضول لمعرفة سبب تجمعهم، فهبط من عربته، واخترق الحشد سائلاً:

ــ مرحبًا أيها التجار، فيما يدور النقاش بينكم؟

ــ نحن نتناقش حول هذا البساط، ولا نستطيع أن نحدد له ثمنًا.

نظر الوزير إلى البساط مشدوهًا بروعته، وقال:

ــ أخبرنى الحقيقة أيها القناص. من الذى صنع لك هذا البساط الرائع؟

ــ إنها زوجتى التى صنعته.

ــ وكم تريد ثمنًا له؟

ــ لا أعرف؛ فقد أمرتنى زوجتى ألا أساوم، وألا أحدد له ثمنًا، بل آخذ ما يُعرض علىَّ.

ــ إذن أيها القناص، سوف أعطيك عشرة آلاف روبل ثمنًا للبساط.

وافق أندريه على عرض الوزير، وأعطاه البساط نظير العشرة آلاف روبل، ثم عاد إلى بيته. أما الوزير فذهب بالبساط إلى الملك وعرضه عليه.

نظر الملك إلى البساط، فرأى مملكته مرسومة عليه كما فى كف اليد. فندت عنه آهات الدهشة والإعجاب، وقال للوزير:

ـ سوف آخذ هذا البساط، وأعطيك ما تريد ثمنًا له.

وأعطى الملك لوزيره عشرين ألف روبل فى يده، فأخذ الوزير المال وهو يفكر: "حسنًا، سوف أطلب من البائع بساطًا آخر لنفسى".

ركب الوزير عربته مرة أخرى، وانطلق يبحث عن بيت أندريه القناص حتى عثر عليه، فدق باب البيت، وفتحت له الباب الأميرة ماريا. وطأ الوزير عتبة الباب بإحدى قدميه، وتسمرت قدمه الأخرى، وانعقد لسانه، ونسى سبب مجيئه من فرط جمال الأميرة، فلم يرفع عينيه من عليها، وظل يتفحصها منبهرًا بحسنها.

وقفت الأميرة ماريا طويلاً تنتظر ما يقوله الوزير بلا جدوى، فرفعت كتفيها، وأغلقت الباب فى وجه الرجل، بعد أن دفعته بيديها إلى الخارج. فى هذه اللحظة عاد الوزير، إلى رشده، ودار على أعقابه راجعًا إلى بيته، ومنذ هذا الوقت تبدلت حال الوزير، فامتنع عن الطعام والشراب، وما فتئت صورة الأميرة زوجة القناص، لا تبارح مخيلته طوال الوقت.

لاحظ الملك حال الوزير، فصار يسأله عما ألمَّ به.

أجاب الوزير قائلاً:

ـ لقد وقع بصرى على زوجة القناص، ومنذ ذلك الحين لم تبارح صورتها ذهنى، ولم ينجح شىء أن ينسينى صورتها.

تملك الفضول من الملك، وتاقت نفسه لرؤية زوجة القناص بنفسه، فتنكر فى هيئة رجل عادى، وارتدى ملابس بسيطة، وخرج يبحث عن بيت القناص حتى وجده، وطرق الملك باب البيت، ففتحت له الأميرة ماريا. وطأ الملك عتبة الباب بإحدى قدميه، وتسمرت قدمه الأخرى، وانعقد لسانه بعد أن طار لبه إزاء جمال الأميرة.

وقفت الأميرة ماريا تنتظر ما يقوله الملك، لكنه ظل على صمته، فرفعت كتفيها وأغلقت الباب فى وجه الملك، بعد أن دفعته بيديها إلى الخارج.

مضى الملك وقلبه ينبض بالحسد والغيرة، وقال لنفسه: "كيف أعيش عَزَبًا بلا زوجة، بينما هناك هذه الحسناء الفاتنة؟ إن مثلها قد خلقت لتكون ملكة متوجة، وليست زوجة قناص فقير".

سار الملك فى أروقة القصر، حتى واتته فكرة شريرة، فقد قرر انتزاع الزوجة لنفسه من زوجها، وعلى الفور نادى على الوزير، وقال له:

ــ أريدك أن تفكر فى وسيلة لإزاحة أندريه القناص عن الدنيا؛ فإننى أريد الزواج من زوجته، وإذا اهتديت إلى طريقة لذلك الأمر، فسوف أمنحك ما تريد من المدن والقرى، وأفتح لك خزائنى لتأخذ منها ما تبتغى من الكنوز والذهب. أما لو أخفقت فسوف تفقد رأسك.

مضى الوزير مهمومًا منكس الرأس من الكرب، فكيف يمكنه إزاحة القناص والتخلص منه؟ وظل يسير هائمًا على وجهه حتى وصل إلى حانة فدخلها، وصار يعب من الخمر.

ثم جاء إليه رجل مجذوب أشعث الشعر، يرتدى أسمالاً بالية، وقال له:

ــ لماذا أرى الوزير مهمومًا حزينًا منكس الرأس؟

ــ اغرب عن وجهى أيها المجذوب؟

ــ لا تطردنى من جلستك، بل ادعنى إلى كأس وحدثنى بما فى نفسك، ولا تستهن بى، فقد تجد عندى النصح والحكمة.

فكر الوزير وهو ينظر إلى المجذوب، وقدم له كأسًا من الخمر، وحكى له عن حكايته، والمحنة التى ألمَّت به.

استمع الرجل إلى حديث الوزير، ثم قال له:

ــ إن التخلص من أندريه القناص لأمر يسير؛ فهو رجل بسيط. أما زوجته فتتسم بالمكر والذكاء، لكننا سوف ننصب له شركًا، لا يمكن لزوجته

الماكرة أن تخلصه منه. فاذهب إلى الملك، واطلب منه أن يكلف أندريه بالذهاب إلى العالم الآخر، والاطمئنان على حال المرحوم والد الملك. عندئذ، سوف يرحل أندريه إلى العالم الآخر بلا عودة.

شكر الوزير الرجل المجذوب على نصحه، وأسرع بالذهاب إلى الملك، وقال له:

ــ مولاى الملك، لقد اهتديت إلى طريقة تخلصنا من أندريه للأبد.

وشرح للملك فكرته الخبيثة، ففرح الملك كثيرًا وطلب من أعوانه إحضار أندريه القناص، وعندما حضر إليه القناص قال له الملك:

ــ أيها القناص أندريه، لقد قمت على خدمتى بكل إخلاص وأمانة؛ لذلك فأنت جدير بمهمة مقدسة لتقوم بها. أريدك أن تذهب إلى العالم الآخر، لتعرف أحوال المرحوم أبى وتطمئننى عليه، وإن لم تنجح فى مهمتك، فودع رأسك من على كتفيك.

عاد أندريه إلى بيته حزينًا مطرق الرأس، فلما رأته الأميرة ماريا على هذا الحال سألته:

ــ ما لى أراك حزينًا؟ أم أن صيدك كان قليلاً اليوم؟

حكى أندريه لزوجته عن المهمة الصعبة التى أوكلها إليه الملك.

قالت له الأميرة ماريا:

ــ إنه لأمر محزن حقًا. إن هذا ليس بعمل يقوم به المرء، بل إنه انتحار. على أية حال اذهب للنوم ولا تحمل همًّا؛ فنور العقل يشرق فى الصباح لا فى الليل.

صحا أندريه فى الصباح الباكر، فأعطته زوجته جوالاً من الخبز وخاتمًا صغيرًا، ثم قالت له:

ــ والآن اذهب إلى الملك، واطلب منه أن يأمر وزيره بمرافقتك فى مهمتك، وذلك حتى يكون شاهدًا على ذهابك إلى العالم الآخر، وعندما تخرج إلى الطريق مع الوزير، ألق بالخاتم على الأرض، وسوف يقودك إلى هناك.

حمل أندريه جوال الخبز والخاتم، وقام بوداع زوجته، وانطلق إلى قصر الملك، ثم طلب من الملك أن يأمر الوزير بمرافقته فى مهمته. فكر الملك قليلاً، ثم وافق على مطلب القناص، وأمر وزيره أن يرافقه فى مهمته.

خرج الاثنان على الطريق، ورمى أندريه بالخاتم على الأرض، فأخذ الخاتم يتدحرج أمامه، وأندريه من خلفه يتبعه، وسار القناص وراء الخاتم يقطع الحقول والغابات، ويعبر الأنهار والبحيرات، والوزير يركض لاهثًا معه.

وكان الاثنان كلما حلَّ بهما التعب والإرهاق، يأكلان بعض الخبز من الجوال، ثم يواصلان السير.

طال سيرهم أو قصر لا ندرى، المهم أنهم بعد وقت ما وصلا إلى غابة كثيفة موحشة، وظلا يسيران فى دروبها حتى وصلا إلى وادٍ ضيق، وفى هذا الوادى توقف الخاتم.

جلس أندريه والوزير يأكلان بعض الخبز، ونظرا أمامهما فشاهدا ملكا عجوزًا هرمًا للغاية، يجر عربة محملة بكمية هائلة من الحطب، وقد انثنى ظهره وتقوست قدماه من الثقل الكبير، وعلى يمينه ويساره يسير اثنان من الشياطين، يضربانه بالعصى والهراوات، ويدفعانه قُدمًا إلى الأمام.

صاح أندريه يقول للوزير:

ــ أليس هذا الرجل العجوز، هو المرحوم والد الملك؟

ــ نعم، إنه عينه الذى يسير حاملاً كل هذا الحطب.

عندئذٍ صاح أندريه قائلا للشيطانين:

ـــ أيها الشيطانان المبجلان، ألا يمكنكما تحرير العجوز من العمل لبرهة قصيرة، حتى أستطيع سؤاله عن بعض الأشياء؟

رد الشيطانان قائلين:

ـــ ومن يحمل الحطب لو أننا تركناه؟

ـــ يمكنكما أن تبادلا رفيقى هذا به ليقوم بالعمل ريثما أتحدث معه.

حرر الشيطانان العجوز من العربة، وربطا مكانه الوزير، وصارا يلهبان ظهره بالعصى، ويدفعانه لجر العربة.

أما أندريه، فجلس مع الملك العجوز يسأله عن أحواله ومعيشته، فأجاب العجوز قائلاً:

ـــ آخ يا أندريه القناص، إننى أعيش فى هذا العالم حياة وضيعة بائسة. فأخبر عن لسانى ابنى، وانقل له نصحى ألا يظلم الناس، وأن يحكم بلاده بالعدل والرحمة، وإلا فإن مصيره سوف يصبح مثل مصيرى الأسود.

وفى هذه اللحظة، عاد الشيطانان بالعربة ليأخذا العجوز، فودّع أندريه الملك العجوز، وأخذ رفيقه الوزير، وانطلق معه فى طريق العودة إلى بلادهما.

وصل أندريه إلى بلده، وذهب مسرعًا إلى قصر الملك.

وما إن شاهده الملك حتى ثار من الغضب وصاح:

ـــ كيف واتتك الجرأة على العودة من العالم الآخر؟

رد أندريه القناص:

ـــ لقد أنهيت مهمتى هناك يا مولاى بعد أن ذهبت إلى العالم الآخر، وقابلت المرحوم والدك الملك، وقد رأيته يعيش هناك فى أسوأ حال من البؤس والعذاب، وطلب منى أن أبلغك: ألا تظلم الناس، وأن تحكم بينهم بالعدل والرحمة.

ـــ وكيف تبرهن لى على صدق قولك هذا؟

ــ إن دليل ذهابى مازال واضحًا على ظهر وزيرك، ويمكنك أن ترى بنفسك آثار ضرب الشياطين له بالعصى.

تأكد الملك من صدق أندريه، وأسقط الأمر فى يده، فاضطر إلى السماح له بالعودة إلى بيته، وصاح قائلاً لوزيره:

ــ عليك أيها الوزير أن تفكر فى وسيلة أخرى للتخلص من القناص، وإلا أطحت بسيفى رأسك الفارغ.

خرج الوزير من القصر مهمومًا حزينًا، وذهب إلى الحانة منكس الرأس، وجلس يحتسى الخمر كى يطفئ بها نار أحزانه، فاقترب منه المجذوب، وقال له:

ــ لماذا أراك حزينًا مهمومًا أيها الوزير المبجل؟ ادعنى إلى كأس من الشراب، ولدى من النصح ما يفيدك.

طلب الوزير للمجذوب كأسًا من الخمر، وحكى له ما جرى مع القناص، وما طلبه الملك. عندئذ قال له المجذوب:

ــ اذهب إلى الملك، وأخبره أن يطلب من القناص القيام بعمل لا يقدر عليه أحد، ولا يعود من بعده حيًّا، فيأمره أن يرحل إلى ما وراء البحار والبلاد، ويحضر له القط بايون.

أسرع الوزير إلى الملك وأخبره بالمهمة المستحيلة، التى لن يقدر أندريه على القيام بها، ولن يعود منها حيًا مرة أخرى، فأرسل الملك على الفور فى طلب أندريه، وقال له:

ــ لقد قمت من قبل بعمل جيد يا أندريه، والآن أريد منك القيام بمهمة أخرى، فارحل إلى ما وراء البلاد، واجلب لى القط بايون، وإن لم تفعل، فسوف أطيح برأسك من على جسمك.

عاد أندريه إلى بيته حزينًا شاردًا، وحكى لزوجته ما جرى فى قصر الملك، وعن المهمة التى كلّفه بها، فقالت له الأميرة ماريا:

ــ اذهب للنوم الآن، فنور العقل يُشرق فى الصباح لا فى الليل.

رقد أندريه فى فراشه حتى راح فى النوم، أما الأميرة ماريا فخرجت إلى الحدّاد، وطلبت منه أن يصنع لها ثلاث طواق من الحديد، وثلاثة كلاليب حديدية، وثلاثة أسياخ: أحدهم من الحديد، والثانى من النحاس، والثالث من القصدير.

فى الصباح الباكر، أيقظت الأميرة ماريا أندريه، وقالت له:

ــ خذ معك هذه الطواقى الثلاث، والكلاليب الثلاثة، والأسياخ الثلاثة، وارحل فى طريقك إلى ما وراء البلاد والممالك، وبعد أن تقطع ثلاثة كيلومترات فى هذه البلاد، سوف يغالبك نوم قاهر، فلا تستسلم له بأى حال من الأحوال، بل طوِّح يديك فى الهواء، وجرجر قدميك على الأرض، فإن القط بايون سوف يسعى إلى تنويمك، وإذا استسلمت للنعاس سوف يقتلك على الفور، وكلما صادفك منحدر، انزلق بجسمك من عليه.

وظلت الأميرة ماريا تشرح لزوجها ما عليه أن يفعل فى الطريق ثم ودَّعته، وخرج القناص ساعيًا وراء القط.

مضى القناص يقطع الدروب والغابات والجبال، حتى وصل إلى ما وراء البلاد، وبعد أن قطع أندريه ثلاثة كيلومترات من السير غالبه نوم قاهر، فوضع القناص الطواقى الحديدية الثلاث فوق رأسه، وأخذ يطوح يديه فى الهواء، ويجرجر قدميه على الأرض، وصار ينزلق على المنحدرات كلما صادفه واحد منها.

ونجح أندريه فى التغلب على النعاس، ومضى يواصل طريقه، حتى وصل إلى عامود طويل يقف أمامه، ويجلس أعلاه القط بايون.

شاهد القط بايون أندريه، فأخذ يموء ويزمجر، وقفز من فوق العامود إلى رأس القناص، فحطم الطاقية الأولى والثانية، وأخذ يحاول تحطيم الثالثة، لكن أندريه لم يعطِه الفرصة، بل قبض عليه بالكلاليب الحديدية، وصار ينخسه بالأسياخ. فى أول الأمر نخسه بالسيخ الحديدى فانكسر، بعد ذلك نغزه بالسيخ النحاسى فانكسر هو الآخر، وأخيرًا مضى يضربه بالسيخ القصديرى فلم ينكسر.

وأخذ السيخ ينثنى دون أن ينكسر، والتف السيخ حول ظهر القط، واستمر أندريه فى ضربه، فبدأ القط بايون فى سرد الحكايات والحواديت المختلفة عن القساوسة والكتبة، وعن أبناء الكتبة وبناتهم، محاولاً إلهاء أندريه عنه، لكن القناص لم يستمع إلى حكاياته، ولم يتركه يفلت منه.

وعندما أدرك القط عدم جدوى حكاياته. صار يتوسل قائلا:

ــ اتركنى أيها الرجل الطيب، وسوف أقوم بما تطلبه منى.

ــ أريدك أن تذهب معى.

ــ حسنًا، سوف أرافقك إلى حيث تريد.

كَفَّ أندريه عن ضرب القط، وسار عائدًا إلى بلاده، والقط يسير خلفه، وظل يسير فى طريقه، حتى وصل إلى قصر الملك مع القط، فسئل أمامه، وقال له:

ــ لقد نفذت أوامرك، وقمت بإحضار القط بايون لك يا مولاى.

أصابت الدهشة الملك ، وقال:

ــ حسنًا، أرنى مهارتك أيها القط بايون.

أخرج القط مخالبه، وحكها فى الأرض، ثم قفز على الملك، وأنشب مخالبه فى صدره يريد تمزيقه، وانتزاع قلبه من جسمه.

صرخ الملك بفزع:

ــ أنقذنى أيها القناص، أندريه، وأبعد هذا القط عنى.

حمل أندريه القط من على صدر الملك، ووضعه فى قفص محكم، ثم عاد بعد ذلك إلى الأميرة ماريا فى بيته، وعاش سعيدًا مع زوجته فى حب ومودة. أما الملك فقد ثار حنقه وحسده أكثر من ذى قبل، وطلب وزيره، وقال له:

ــ إن لم تهتدِ إلى وسيلة للتخلص من أندريه القناص، فسوف أطيح برأسك الفارغ الأحمق.

خرج الوزير مرة أخرى مهمومًا من القصر، وذهب إلى الحانة؛ حيث شاهد المجذوب يرتدى الأسمال البالية. فدعاه إلى الشراب، وسأله العون فى محنته الجديدة. شرب المجذوب كأسه، وقال للوزير:

ــ اذهب إلى الملك، وأخبره أن يطلب من أندريه الذهاب إلى حيث لا يدرى، وإحضار ما لا يعرفه، ولن ينجح أندريه فى هذه المهمة ولو عاش قرونًا، ولن يعود منها حيًا.

أسرع الوزير إلى قصر الملك، وأخبره بالفكرة المدهشة، فأرسل الملك فى طلب أندريه، وقال له:

ــ لقد قمت لى بعملين على أحسن وجه، والآن أطلب منك القيام بمهمة ثالثة، وأريدك أن تذهب إلى حيث لا أدرى، وتحضر لى ما لا أعرفه.

عاد أندريه إلى بيته وقلبه ينفطر من الحزن، وجلس على الأرض يبكى من الأسى، فوقفت الأميرة ماريا بجانبه تسأله:

ــ ماذا يبكيك أيها الزوج الحبيب؟ هل ألمَّت بك محنة أخرى؟

رد القناص: لقد وقعت مصيبة أخرى فوق رأسى، وأمرنى الملك أن أذهب إلى حيث لا يدرى، وأحضر له ما لا يعرفه.

ــ ما باليد حيلة، وعليك تنفيذ أوامر الملك. لا تحمل همًّا، واذهب الآن للنوم ؛ فنور العقل يُشرق فى الصباح لا فى الليل.

بعد ذلك جلست الأميرة ماريا تقرأ فى كتاب السحر، وتقلب صفحاته بلا جدوى، فلم تعثر فيه على حل للغز الغامض الذى قاله الملك، فوضعت رأسها بين يديها، وصارت تفكر وتعمل ذهنها، ثم خرجت إلى باحة البيت، وصارت تلوح فى الهواء بمنديل فى يدها، فهبطت إليها مختلف الطيور بأنواعها، وركضت حولها الحيوانات المفترسة بأشكالها.

وقفت الأميرة ماريا بينهم، وصاحت تقول:

ــ يا وحوش الغابة، ويا طيور السماء. أنتم أيها الوحوش تجوبون الأحراش والأراضى والأصقاع، وأنت أيتها الطيور، تحلقين فوق الجبال والبحار. ألا يعرف أحد منكم، كيف يمكن الذهاب إلى حيث لا أعلم، وإحضار ما لا أعرف؟

ردت الطيور والوحوش قائلة:

ــ لا أيتها الأميرة ماريا. لم نسمع من قبل بما تقولين.

عندئذ، لوحت الأميرة ماريا مرة أخرى بمنديلها فى الهواء، فاختفت الطيور والوحوش على الفور، كما لو أنها لم تكن، ثم لوحت بالمنديل ثانية، فظهر أمامها ماردان عملاقان، وقالا لها:

ــ سمعًا وطاعة أيتها الأميرة ماريا. بماذا تأمريننا؟

ــ أريد منكما يا خادمىَّ الوفيين، أن تحملانى إلى قلب المحيط الهادر.

حمل الماردان الأميرة ماريا من ذراعيها، وحلّقا بها فى الهواء، حتى وصلا إلى منتصف المحيط الهادر، فوقفت الأميرة ماريا فوق الماء مثل العامود، والماردان يمسكان بها من ذراعيها، ثم أخرجت الأميرة منديلها، ولوّحت به فوق الماء، فاندفعت إليها جميع أنواع الأسماك البحرية والحيتان الضخمة، وصاحت الأميرة ماريا تقول لهم:

ـ أيتها الأسماك، أيتها الحيتان، إنكم تسبحون فى كل مكان، وتطوفون بالجزر والشواطئ، ألا يعرف أحد منكم، كيف يمكن الذهاب إلى حيث لا أعلم، وإحضار ما لا أعرف؟

ـ لا أيتها الأميرة ماريا، فنحن لم نسمع من قبل بما تقولين.

طوت الأميرة منديلها، وأمرت الماردين بحملها ثانية إلى البيت، فطارا بها الماردان، وفى لمح البصر وصلا إلى فناء البيت، وتركاها به ثم اختفيا من المكان.

وفى الصباح الباكر أيقظت الأميرة ماريا أندريه، وأعطته كرة من الخيط ومنشفة مطرزة، وقالت له:

ـ ارم بالكرة أمامك، واتبعها حيثما تسير وتتدحرج، وكلما وصلت إلى مكان عليك أن تغتسل، وتجفف نفسك بهذه المنشفة، ولا تستخدم منشفة أخرى بأى حال من الأحوال.

قام أندريه بوداع زوجته، وخرج إلى الطريق، ثم ألقى بالكرة، ومضى يسير خلفها فى طريقه المجهول.

قطع أندريه العديد من البلاد والممالك، وظل يسير ويمضى وراء الكرة وهى تتدحرج. وصغر حجم كرة الخيط شيئًا فشيئًا، حتى أصبحت فى حجم ثمرة الكرز، وما لبثت أن صغرت أكثر فأكثر، حتى أصبح القناص يراها بالكاد على الطريق، وأخيرًا وصل أندريه إلى قلب الغابة، وشاهد كوخًا يدور حول نفسه على قوائمه، فصاح أندريه قائلاً:

ـ استدر أيها الكوخ بظهرك إلى الغابة، واجعل واجهتك أمامى.

استدار الكوخ بظهره للغابة وجعل واجهته تقف أمام القناص، ودلف أندريه إلى داخل الكوخ، ونظر فشاهد امرأة عجوزًا ذات شعر أبيض تجلس أمام المغزل، وما إن رأته العجوز حتى صاحت قائلة:

ـ فو فو، لم أسمع من قبل بمخلوق روسى، ولم أر من قبل مخلوقا روسيًا، والآن جاء الروسى إلىَّ بنفسه، والآن سوف أقوم بتحميرك فى الفرن، وألتهم لحمك قبل عظامك.

رد أندريه قائلاً:

ـ ماذا بك أيتها الساحرة العجوز؟ أتريدين أكل إنسان موحل بتراب الطريق؟ إن الغبار والسواد يغطيان جسمى، فدعينى أغتسل وأنظف جسدى، ثم يمكنك التهامى بعد ذلك.

ملأت الساحرة المغطس بالماء الساخن، فاغتسل أندريه، وأخرج منشفة زوجته الأميرة ماريا، وصار يجفف جسمه بها.

عندئذ سألته الساحرة قائلة:

ـ من أين لك بهذه المنشفة؟ إن ابنتى هى التى طرزتها.

ـ إن ابنتك هى زوجتى، وهى التى أعطتنى هذه المنشفة.

ـ إذن فأنت صهرى العزيز، هيا أخبرنى ماذا أقدم لك؟

ثم مدت الساحرة مائدة الطعام، ووضعت عليها كافة أطباق المأكولات الشهية والعسل، وجلس أندريه يلتهم منها بنهم ليشبع جوعه، وأخذت الساحرة مجلسها بجواره، وصارت تسأله عن أحواله مع ماريا، وكيف تعرف إليها، فحكى لها القناص عن حياته مع ابنتها، وعن طلب الملك منه الذهاب إلى حيث لا يعلم، وإحضار ما لا يعرف. وهتف قائلاً:

ـ لهذا أيتها الجدة، فقد جئت إليكِ ألتمس العون منك.

ـ آه يا صهرى العزيز، إننى لا أعلم شيئًا عن هذا اللغز الغامض. غير أن الضفدع العجوز هو الوحيد الذى يعرف سر هذا الأمر، وهو يعيش فى المستنقع

منذ ثلاثمائة عام، لكن لا تحمل همًّا واذهب للنوم، فنور العقل يُشرق فى الصباح لا فى الليل.

نام أندريه نومًا عميقًا. أما الساحرة فحملت مكنستها وطارت بها محلقة، حتى وصلت إلى المستنقع، وأخذت تنادى:

ــ أيها الضفدع العجوز، أما زلت على قيد الحياة؟

ــ نعم، إننى مازلت حيًا.

ــ اخرج إلىَّ إذن من المستنقع.

ــ قفز الضفدع العجوز من ماء المستنقع، فسألته الساحرة:

ــ هل تعرف الذهاب إلى حيث لا أعلم، وإحضار ما لا أعرف؟

ــ نعم، أعرف.

ــ إذن، أخبرنى به من فضلك، فإن صهرى قد كلّفه الملك بالذهاب إلى حيث لا يعلم، وإحضار ما لا يعرف.

غير أن الضفدع قال:

ــ إننى أرغب فى اصطحابه، لكننى مريض للغاية، ولا أستطيع القفز إلى هناك، فليضعنى صهرك فى قدح مملوء باللبن، ويحملنى إلى النهر النارى، عندئذ أخبره بكل شىء.

وحملت الساحرة الضفدع العجوز، وطارت به عائدة إلى البيت، ثم أحضرت قدحًا مملوءًا باللبن، ووضعت الضفدع بداخله، وفى الصباح الباكر أيقظت أندريه من النوم. وقالت له:

ــ أيها الصهر العزيز، ارتدِ ملابسك واحمل معك هذا القدح المملوء باللبن. فى داخله يجلس الضفدع، ثم اركب فرسى، وسوف يمضى بك إلى النهر

النارى. بعد ذلك اترك الفرس، وأخرج الضفدع من القدح، عندئذٍ سوف يخبرك بكل شيء.

حمل أندريه القدح بالضفدع، وامتطى فرس الساحرة، وانطلق به الفرس طويلاً، حتى وصل إلى النهر النارى، وكانت النيران تشتعل ملتهبة على سطح النهر، فلم يجرؤ طير من الطيور على التحليق فوقه، ولا وحش من الوحوش على الاقتراب من شاطئه.

ترجل أندريه من على فرسه، وقال له الضفدع:

ــ أخرجنى من القدح أيها الفتى الطيب، فإن علينا عبور هذا النهر.

أطلق أندريه الضفدع العجوز من القدح، فقفز الضفدع على الأرض وصاح قائلاً:

ــ والآن أيها الفتى الطيب، عليك ان تصعد فوق ظهرى.

ــ ما هذا الذى تقوله أيها الضفدع؟ لو أننى ركبت على ظهرك لهرستك بثقلى.

ــ لا تخشَ شيئًا واصعد على ظهرى، وتمسك بى جيدًا.

جلس أندريه على ظهر الضفدع، وانتفخ جسم الضفدع أكثر فأكثر، حتى صار مثل كومة كبيرة من العشب، وانطلق الضفدع يثب به عاليًا كالكرة المطاطية.

ــ هل تمسك بى جيدًا؟

ــ نعم، أمسك جيدًا أيها الجد.

وأخذ الضفدع يقفز أعلى فأعلى، ثم صاح يقول مرة أخرى:

ــ هل تمسك بى جيدًا؟

ــ نعم، أمسك جيدًا أيها الجد.

وظل الضفدع يقفز فى الهواء، حتى ارتفع فوق قمم أشجار الغابة العالية، ثم وثب وثبة قوية للغاية، فعبر بالقناص النهر النارى، ووصل إلى الشاطئ الآخر منه، عندئذ، أخذ حجمه يصغر شيئًا فشيئًا، حتى عاد إلى هيئته الصغيرة، وقال للقناص:

ــ والآن، اذهب أيها الفتى الطيب، وسر عبر هذه الأحراش الكثيفة، حتى تصل إلى كوخ ليس بكوخ، وإنما بيت ليس ببيت، بل قصر ليس بقصر، وادخل إليه، واجلس خلف الفرن، وهناك سوف تجد ما لا أعرفه.

مضى أندريه يسير فى الأحراش الكثيفة، حتى وصل إلى كوخ ليس بكوخ. وكان الضباب يلف جوانبه، وليس له نوافذ ولا شرفات. دلف أندريه إلى داخل الكوخ، وقبع جالسًا خلف الفرن.

ومر وقت قليل، ثم دوى فى الغابة صوت مخيف كالرعد، ودخل الكوخ رجل له مخالب طويلة ذو لحية طويلة تصل إلى مرفقه، وصرخ مزمجرًا بصوت هائل:

ــ أريد الطعام أيها الخادم هاوم، فإننى جوعان للغاية.

وما إن نطق الرجل عبارته، حتى ظهرت من حيث لا ندرى مائدة طويلة عليها برميل من الجعة، وثور مشوى، وسكين كبير ذو نصل حاد. فجلس الرجل ذو المخالب إلى المائدة، ثم حمل السكين الكبير فى يده، وأخذ يقطع به لحم الثور ويغمسه فى الثوم، ويلتهمه بنهم وشراهة مدهشة، وصار يتجرع من برميل الجعة.

ظل الرجل ذو المخالب يأكل لحم الثور، حتى لم يُبق منه سوى العظام، وشرب برميل الجعة، حتى آخر قطرة به. بعد ذلك صاح يقول:

ــ أيها الخادم هاوم، ارفع المائدة من المكان.

وفى لمح البصر، اختفت الطاولة بما عليها من بقايا الطعام، وأصبحت أثرًا بعد عين، وبقى أندريه كامنًا فى مخبئه، حتى رحل الرجل ذو المخالب، فخرج من خلف الفرن، ثم استجمع شجاعته وهتف قائلاً:

ــ أريد الطعام أيها الخادم هاوم.

وما إن قال عبارته، حتى ظهرت، من حيث لا نعلم، طاولة كبيرة عامرة بمختلف أطباق الطعام الشهية، وأنواع الشراب الطيبة.

جلس أندريه إلى الطاولة، وصاح:

ــ أيها الخادم هاوم، هيا اجلس معى إلى الطاولة كى نأكل ونشرب معًا.

فرد عليه صوت خفى قائلاً:

ــ شكرًا لك على دعوتك أيها الفتى الطيب، فعلى الرغم من الأعوام الطويلة التى مرت على فى هذا العمل فإننى لم أذق الطعام فى حياتى من قبل.

نظر أندريه فى ذهول ودهشة إلى طاولة الطعام، فلم يكن هناك أحد مرئى أمامه، وفى الوقت نفسه كان الطعام والشراب يختفيان بسرعة من على المائدة، كما لو أن أحدًا يشفطه شفطًا.

قال أندريه:

ــ أظهر لى نفسك أيها الخادم.

ــ لا، فلا يمكن لأحد أن يرانى؛ فأنا ما لا يعرفه أحد.

ــ ألا تريد أن تعمل لدى أيها الخادم؟

ــ بالطبع أريد، فإنك رجل طيب حسن الخلق.

وبعد أن انتهيا من تناول الطعام قال أندريه للخادم:

ــ ارفع الطاولة، وهيا بنا نرحل معًا.

خرج أندريه من الكوخ، ثم صار يتلفت حوله قائلاً:

ـــ هل مازلت هنا أيها الخادم هاوم؟

ـــ نعم . نعم، إننى أتبعك فسر قُدمًا ولا تخشَنَّ شيئًا.

سار أندريه حتى وصل إلى النهر النارى، وهناك وجد الضفدع العجوز بانتظاره، وما إن شاهده الضفدع حتى صاح قائلاً:

ـــ هل وجدت ما لا تعرفه أيها الفتى الطيب؟

ـــ نعم وجدته أيها الجد.

ـــ إذن، اصعد فوق ظهرى.

وركب أندريه على ظهر الضفدع، فبدأ الضفدع ينتفخ ويكبر، ثم قفز عاليًا عاليًا، حتى عبر به النهر إلى الضفة الأخرى.

وهنا، قام القناص بوداع الضفدع، وشكره على صنيعه، ثم انطلق فى طريق العودة إلى بيته، وبعد فترة من السير تلفت أندريه حوله قائلاً:

ـــ هل مازلت هنا أيها الخادم هاوم؟

ـــ نعم، لا تخشَنَّ شيئًا، بل سر قُدمًا، ولن أتخلف عنك.

أخذ القناص يسير ويسير، ويقطع السهول والغابات والجبال، وطال الطريق عليه، حتى صار يجرجر قدميه بالكاد من التعب، وتدلت ذراعاه على جانبيه من الإنهاك، ثم قال بصوت خفيض:

ـــ آخ، لقد تملك منى التعب، فلم أعد قادرًا على السير.

فرد عليه الخادم هاوم قائلاً:

ـــ لماذا لم تقل لى من قبل أن التعب قد حل بك؟ فإننى قادر على حملك حتى البيت.

وعلى الفور، هبَّت دوامة من الرياح فوق أندريه، فحملته بداخلها محلقة به فى السماء، ومضت تطير به فوق الجبال العالية والغابات، وتقطع المدن والقرى

فى سرعة هائلة، ثم طار أندريه فوق البحر الواسع، وانتابه الخوف والهلع، فصاح قائلاً:

ــ أيها الخادم هاوم، هل يمكننا أن نأخذ قسطًا من الراحة؟

وفى الحال هدأت سرعة الرياح، وبدأت الدوامة تهبط بالقناص فوق الأمواج الهادرة لمياه البحر، وظهرت فى الماء جزيرة كبيرة، يقوم عليها قصر ذو قباب ذهبية يحيط به بستان بديع رائع الجمال. عندئذ، قال الخادم هاوم لأندريه:

ــ هنا يمكنك الراحة وتناول الطعام والشراب، وأيضًا تستطيع أن تُملّى عينيك بمنظر البحر الأزرق، وسوف تبحر إليك ثلاث سفن للتجار، فادعُ التجار إلى وليمة فاخرة من الطعام، وقم بإكرامهم على أحسن وجه، وسوف ترى مع التجار ثلاثة من الأشياء العجيبة فبادلهم بى، ولا تحمل همًّا، فسوف أعود إليك ثانية.

مرَّ وقت على القناص وهو يعيش فى الجزيرة، ثم ظهرت فى البحر ثلاث سفن كبيرة. نظر التجار والبحارة إلى الجزيرة، فشاهدوا القصر بقبابه الذهبية، وبستانه الرائع المحيط به، فهتفوا يقولون فى دهشة:

ــ ما هذه المعجزة؟ لقد رسونا من قبل عدة مرات على شاطئ هذه الجزيرة، ولم نرَ عليها هذا القصر. هيا بنا نذهب إليه.

وألقت السفن الثلاث بمراسيها عند الشاطئ، هبط منها فى زورق صغير ثلاثة من التجار. ومضوا يجدفون بزورقهم نحو الجزيرة حتى وصلوا إليها.

كان أندريه القناص فى استقبالهم لدى وصولهم، ورحَّب بهم قائلاً:

ــ أهلاً وسهلاً بكم أيها الضيوف الأعزاء.

سار التجار برفقة القناص نحو القصر، وأخذوا يتطلعون فى دهشة إلى القباب الذهبية التى بدت تحت أشعة الشمس كالنار المتأججة، وفى البستان كانت

الطيور تشدو وتغرد على الأشجار، والحيوانات العجيبة تقفز بين دروبه هنا وهناك، ثم قال التجار لأندريه:

ــ أخبرنا أيها الأخ الكريم، من الذى شيَّد هذا القصر الرائع؟

ــ إن خادمى هاوم هو الذى شيده فى ليلة واحدة.

بعد ذلك، قادهم أندريه إلى داخل القصر، ثم هتف قائلاً:

ــ أيها الخادم هاوم، أحضر لنا طعامًا وشرابًا.

وفى لمح البصر، ظهرت من حيث لا ندرى موائد الطعام، وعليها شتى الأطباق الشهية، وكل أنواع الشراب والخمر، فتناهت من التجار آهات الدهشة والتعجب، وقالوا للقناص:

ــ ما قولك أيها الفتى الكريم فى أن تبادل خادمك هاوم، بأحد الأشياء السحرية العجيبة التى معنا؟

ــ لا مانع لدى، لكن ما هذه الأشياء التى تحملونها؟

نهض أحد التجار من جلسته، وأخرج من ملابسه عصا، وقال:

ــ هذه العصا تعادل جيشًا بمفردها؛ فما إن تقل لها : "هيا أيتها العصا، اضربى هذا الرجل" تظل العصا تضربه مهما بلغ من بأس حتى تتكسر عظامه.

ثم أخرج التاجر الثانى من جعبته بلطة، وجعل نصلها لأعلى، فبدأت البلطة من تلقاء نفسها "توك توك توك" تصنع سفينة، فأخرى، وظهر لكل منهما شراع ومدافع وبحارة أشداء، وأبحرت السفينتان فى الماء، وانطلقت المدافع، ووقف البحارة على أهبة الاستعداد فى انتظار الأوامر بالقتال.

بعد ذلك أدار التاجر نصل البلطة لأسفل، فاختفت السفينتان بلا أثر.

وقام التاجر الثالث، فأخرج من ملابسه مزمارًا، وعندما نفخ فيه، ظهرت أمامهم فرق من الفرسان على خيولهم، وأمامهم كتائب المشاة بأسلحتهم وسيوفهم،

وسارت القوات تصاحبها دقات الطبول والموسيقى، والجميع على أهبة الاستعداد فى انتظار الأوامر بالقتال.

ونفخ التاجر فى الطرف الآخر من المزمار، فاختفت القوات والجنود فى لمح البصر.

قال أندريه للتجار:

ــ إن أشياءكم هذه مدهشة للغاية، لكن خادمى هاوم أثمن من أى واحدة منها، فإن أردتم المبادلة، أعطونى الثلاثة مقابل الخادم هاوم.

ــ لكن هذا كثير لمبادلته.

ــ كما تشاءون، لكننى لن أبادله إلا بها جميعًا.

فكر التجار ودار النقاش بينهم: "بماذا تفيدنا هذه العصا والبلطة والمزمار؟ أليس من الأفضل لنا الحصول على الخادم هاوم؟ إنه سوف يشبعنا من الطعام، ويسكرنا من الخمر طوال العمر، ولن نفكر فى طعامنا بعد ذلك".

وأعطى التجار للقناص العصا والبلطة والمزمار، ثم هتفوا قائلين:

ــ أيها الخادم هاوم، من الآن فصاعدًا سوف تصبح تابعًا لنا، تخدمنا بإخلاص وأمانة.

رد الصوت الخفى قائلاً:

ــ إننى لا أمانع فى القيام بخدمتكم؛ فالأمر لى سيان.

وعاد التجار إلى مراكبهم، وأخذوا يحتفلون ويمرحون، ومضوا فى الأكل والشرب، وهم يصيحون بين الحين والآخر:

ــ أيها الخادم هاوم، أحضر لنا كذا، هات المزيد من الطعام، والمزيد من النبيذ.

وظل التجار فى شربهم ولهوهم، حتى بلغوا من السكر مبلغًا، وراحوا جميعًا فى النوم.

أما القناص أندريه، فجلس حزينًا بالقصر يفكر فى نفسه:

"أين أنت الآن يا خادمى المخلص هاوم؟".

وفجأة صدر صوت من حوله يقول:

ــ إننى هنا تحت الأمر والطاعة.

اغتبط القناص لما سمع صوت خادمه، وصاح قائلاً:

ــ ألم يحِن الوقت للعودة إلى الديار أيها الخادم هاوم؟ لقد اشتقت كثيرًا إلى بيتى وزوجتى، فاحملنى إلى الوطن.

مرة أخرى، هبَّت دوامة من الرياح العاصفة فوق أندريه، وحملته محلقة به نحو بلاده.

واستيقظ التجار فى البحر من سباتهم، وأخذوا يضحكون ويصفقون فى مرح، ثم صاحوا:

ــ أنت أيها الخادم هاوم، هيا سريعًا أحضر لنا المزيد من الطعام والشراب.

وظلوا ينادون ويصرخون فى الهواء، لكن صراخهم راح سدى فى الهواء. ونظروا نحو الجزيرة، فلم يروا سوى المياه الزرقاء تعلوها الأمواج، ولم يشاهدوا للخادم أثرًا.

حزن التجار وأصابهم الكرب، وقالوا بأسى فيما بينهم: "لقد خدعنا الفتى الشرير"، ثم استسلموا للأمر الواقع، وفردوا الأشرعة فوق السفن، وأبحروا بها بعيدًا فى الماء.

وصل أندريه القناص إلى بلده، وهبط بالقرب من بيته، ونظر فرأى مكان البيت مدخنة محترقة، وأطلالاً متهدمة.

خرج أندريه منكس الرأس من المدينة، وذهب إلى شاطئ البحر، وظل جالسًا والحزن يعصف به، وفجأة، حطت أمامه يمامة واصطدمت بالأرض، ثم تحولت اليمامة إلى زوجته الحسناء الأميرة ماريا.

التحم الاثنان فى عناق حار، وصار كل منهما يسأل الآخر عن حاله، ويقص عليه حكايته. وقالت الأميرة ماريا:

ــ لقد تحولت بعد رحيلك إلى يمامة محلقة، وصرت أطوف فوق الحقول والغابات، وقد أرسل الملك فى طلبى ثلاث مرات، لكنه لم يعثر علىَّ، فقام أتباعه بإحراق البيت.

عندئذ صاح أندريه مناديًا:

ــ أيها الخادم هاوم، هل يمكنك إقامة قصر لنا فى مكان خالٍ على الشاطئ؟

ــ بالطبع يمكننى، وسوف يصبح جاهزًا فى ثوانٍ معدودة.

ولم يكد أندريه يطرف ببصره، حتى شاهد أمامه قصرًا منيفًا ليس له نظير فى العالم، تحيط به البساتين من كل جانب، وفوق أشجارها تصدح البلابل والطيور، وفى أركانها تركض الحيوانات النادرة.

دخل أندريه مع زوجته الأميرة ماريا إلى القصر، وجلسا معًا خلف النافذة يتطلعان إلى الخضرة الزاهية المحيطة به، وأخذا يتبادلان الحديث والغرام، ومضت أيامهما فى حب وسعادة، لا يعرف الحزن طريقه إلى قلبيهما.

وفى أحد الأيام، خرج الملك إلى الصيد عند شاطئ البحر، فشاهد القصر المنيف فى مكان كان بالأمس خاويًا، فصاح فى سورة من الغضب يقول:

ـــ من هذا الأحمق الذى شيَّد قصرًا على أرضى بلا إذن منى؟

وبعث الملك بالبصاصين والأتباع، ليستطلعوا له الأمر، فعادوا إليه وأخبروه أن أندريه القناص هو الذى قام ببناء القصر، ويعيش به مع زوجته الأميرة ماريا.

ثار الملك ثورة عارمة من الغضب، وكادت عروقه تنفجر من الغيظ، فنادى على أتباعه، وأمرهم أن يذهبوا إلى أندريه قائلا لهم:

ـــ اذهبوا إلى القناص واعرفوا منه: لماذا لم يذهب إلى حيث لا أعلم؟ ولماذا لم يحضر لى ما لا أعرفه؟

أسرع الرسل والأتباع إلى أندريه، ثم عادوا إلى الملك وقالوا له:

ـــ مولانا الملك، لقد ذهب أندريه إلى حيث لا تعلم، وأحضر ما لا تعرف.

ما إن سمع الملك الرسالة، حتى طار لبه من الغضب، وثار حنقه أكثر من ذى قبل، فأمر قواده بإعداد الجيش والقوات، والخروج إلى قصر أندريه القناص، ومحوه من على الأرض، وقتل القناص هو وزوجته الأميرة ماريا ليموتا معًا ميتة شنيعة.

شاهد أندريه قوات الملك وجنوده، يزحفون إليه عند شاطئ البحر، فأسرع بإخراج بلطته، وجعل نصلها لأعلى، وفى لمح البصر أخذت البلطة توك توك توك تصنع سفينة، فثانية، فثالثة، حتى وصل عدد السفن إلى مائة سفينة تبحر فى مياه البحر الأزرق.

ثم نفخ أندريه فى المزمار العجيب، فظهرت على الفور فرق الفرسان فوق الخيول، وكتائب المشاة المدججة بالسلاح والذخيرة، يتـقدمهم حاملو الأعلام وقارعو الطبول.

صاح القادة فى جنودهم أن يتأهبوا للقتال، وأمر أندريه قواته أن تبدأ الحرب، فعزفت الموسيقى، وقرعت الطبول مدوية، وانطلق فرسان القناص يحطمون جيش الملك ويأسرون جنوده، وارتفع صوت قعقعة المدافع من السفن المائة، وانهالت القذائف تقصف أرجاء المدينة.

رأى الملك جنوده يفرون من ساحة المعركة، فنزل إليهم بنفسه محاولاً إعادتهم للقتال، ولما شاهد أندريه الملك فى الساحة، حمل عصاه وهتف بها قائلاً:

ــ هيا أيتها العصا ، اضربى هذا الملك الظالم حتى تحطمى عظامه.

قفزت العصا على أطرافها تطارد الملك حتى لحقت به، ثم أوسعته ضربًا فوق رأسه وجسمه، ولم تتركه إلا جثة هامدة.

انتهت المعركة بعد موت الملك، وخرجت حشود الناس فى المدينة، وصاروا يهتفون منادين بأندريه حاكمًا على عرش البلاد.

أذعن أندريه القناص لرغبة الناس، وجلس على العرش، وقامت الاحتفالات فى أرجاء البلاد ابتهاجًا بالملك الجديد، وصار يحكم العالم بالعدل والمساواة، مع زوجته الأميرة الحسناء ماريا.

الابنة وزوجة الأب

كان ياما كان، رجل عجوز يعيش مع زوجته، وكانت لديهما ابنة جميلة، وشاءت الأقدار أن تموت الأم وتفارق الدنيا، وبعد أن مر زمن قليل، تزوج العجوز بامرأة أخرى. كان للمرأة ابنة فى عمر ابنة العجوز تدعى ناتاشا، وأدارت الدنيا وجهها المشرق للفتاة، وساءت حياة ابنة العجوز، فقد كانت زوجة الأب امرأة حسودًا شريرة، لا تكف عن اعطاء الأوامر للعجوز. وذات مرة قالت له:

ــ خذ ابنتك إلى الكوخ المهجور فى الغابة واتركها به، فهناك سوف يمكنها أن تغزل لنا الصوف أفضل من بقائها فى البيت.

أذعن العجوز لأوامر المرأة الحقود، فاصطحب ابنته إلى الكوخ فى الغابة، وأعطاها حجر صوان وقداحًا، وجوالاً مملوءًا بالقمح المجروش، وقال لها قبل أن يتركها:

ــ يمكنك الآن إشعال الموقد، وسلق القمح لتأكليه، ثم اجلسى إلى المغزل، واغزلى الصوف بهمة ونشاط.

وعندما هبط الليل، قامت الفتاة الجميلة بإشعال الموقد، وسلقت القمح لتصنع منه حساء، وفجأة خرج من حيث لا ندرى فأر، وقال:

ــ أعطنى ملعقة من القمح أيتها الفتاة.

ــ حسنًا أيها الفأر، فقد آنستنى فى وحدتى، وسوف أعطيك ما تريد حتى تشبع.

وأكل الفأر حتى شبع، ثم عاد إلى جحره، وبعد فترة قليلة حضر الدب، وقال:

ــ أيتها الفتاة، أطفئى موقدك، وهيا بنا نلعب معًا لعبة الغميضة. خذى هذا الجرس معك، وسوف أركض خلفك على أثر صوته.

عندئذ، قفز الفأر فوق كتف الفتاة ابنة العجوز، وهمس فى أذنها قائلاً:

ــ لا تخافى أيتها الفتاة، واقبلى اللعب معه، ثم أطفئى الموقد، وتسللى مختبئة أسفله، وسوف أقوم أنا بالركض أمامه مجلجلاً بالجرس بدلاً منك.

ومضى الأمر على هذا النحو، فأخذ الدب يطارد الفأر دون أن يمكنه الإمساك به، وصار يصيح ويزمجر، ويندفع فى كل أرجاء المكان مرة بعد الأخرى بلا جدوى، وأصابه التعب والإنهاك فهتف قائلاً:

ــ إنك ماهرة حقًا أيتها الفتاة فى لعبة الغميضة، وسوف أكافئك على مهارتك، وأرسل لك فى الصباح قطيعًا من الجياد المحملة بالفضة.

وفى الصباح قالت زوجة الأب للعجوز:

ــ هيا اذهب أيها العجوز إلى ابنتك، وأحضر ما غزلته من الخيط أثناء الليل.

وجلست المرأة الشريرة تنتظر عودة ابنة الزوج، وهى تتوقع رؤيتها عظامًا بلا لحم، بعد أن تأكلها الوحوش فى الغابة، وعندما حان وقت رجوع الزوج، نبح الكلب قائلاً:

ـــ هوهوهو، ها هى الفتاة تسير مع العجوز، ومعها قطيع من الجياد والكنوز.

ـــ كاذب أنت أيها الكلب الملعون. إن العجوز يسير حاملاً عظام ابنته.

انفتحت بوابة المنزل، وركضت الخيول إلى الفناء وهى محملة بالفضة. ومن خلفهم سارت الفتاة سليمة مع العجوز، فاشتعلت عينا المرأة الحسود بالجشع عندما رأت الثروة، وصاحت:

ـــ إنها ليست بالثروة الكبيرة. اصطحب ابنتى إلى الغابة واتركها بالكوخ، وسوف تجلب معها ضعف هذا القطيع من الجياد، وضعف هذه الكمية من الفضة.

خرج العجوز مع ابنة الزوجة إلى الغابة، وذهب بها إلى الكوخ المهجور، ثم تركها به بعد أن أعطاها حجرا من الصوان وقداحا، وجوالاً مملوءًا بالقمح المجروش، وفى المساء قامت الفتاة بسلق القمح، وصنعت منه حساء. بعد ذلك خرج الفأر من جحره قائلاً:

ـــ ناتاشا أيتها الحسناء، أحلو المذاق هذا الحساء؟ أعطنى ملعقة منه كى أتذوقه.

صرخت ناتاشا فى الفأر:

ـــ اغرب عنِ وجهى أيها القبيح.

وضربت الفأر بالملعقة، ففر هاربًا إلى جحره، والتهمت ناتاشا بمفردها الحساء حتى آخر قطرة، ثم أطفأت الموقد، ورقدت فى ركن حتى راحت فى النوم، وعندما انتصف الليل، جاء الدب وصاح:

ـــ أين أنتِ أيتها الفتاة؟ هيا بنا نلعب معًا الغميضة.

خافت الفتاة وانتابها الرعب، فجلست ساكنة تصطك أسنانها من الفزع.

ـ لقد رأيتك أخيرًا أيتها الفتاة، فخذى هذا الجرس وأنا أركض خلفك.

حملت الفتاة الجرس بيد مرتعشة، فأخذ الجرس يجلجل فى يدها، وصاح الفأر قائلاً:

ـ الفتاة الشريرة مصيرها الميتة الحقيرة.

وهجم الدب على ابنة الزوجة، وما إن أمسك بها، حتى قتلها وافترسها.

وفى الصباح أرسلت المرأة زوجها إلى الغابة قائلة له:

ـ هيا اذهب لتعود بابنتى، وسوف تجلب معها ضعف الثروة والجياد.

خرج العجوز، وجلست المرأة خلف البوابة تنتظر عودته، ثم ركض الكلب ينبح قائلاً:

ـ هوهوهو، لن تعود ابنة المرأة ثانية إلى البيت، وسوف يرجع العجوز بخفى حنين، لا يحمل معه سوى عظام بلا لحم.

ـ كاذب أنت أيها الكلب الملعون. إن ابنتى تسير مع قطيع من الجياد، مُحمّل بالفضة والزاد، ولن أعطيك طعامًا إلا بعد أن تقول: ابنة المرأة ترفل فى الذهب والفضة، وسوف يتهافت العرسان على الزواج منها.

ـ هوهوهو، ابنة العجوز سوف تزف لزوجها، وعظام ابنة المرأة لترابها.

حاولت المرأة جاهدة مع الكلب أن يغير قوله، وراحت تارة تغريه بالفطائر، وتارة تنهال عليه بالضرب، لكن الكلب ظل يردد ما قاله، حتى ظهر الزوج عند البوابة يحمل قفة على فرسه، ونظرت المرأة إلى داخل القفة، فرأت بها عظام ابنتها؛ فصارت تولول وتصرخ من الصدمة والحزن، ومن هول مصيبتها وشدة غيظها ماتت فى اليوم التالى مكلومة على ابنتها، وزوّج العجوز ابنته من رجل طيب الخلق، وعاشت معه الفتاة سنوات طويلة فى سعادة وهناء.

الأسد والسمكة والرجل

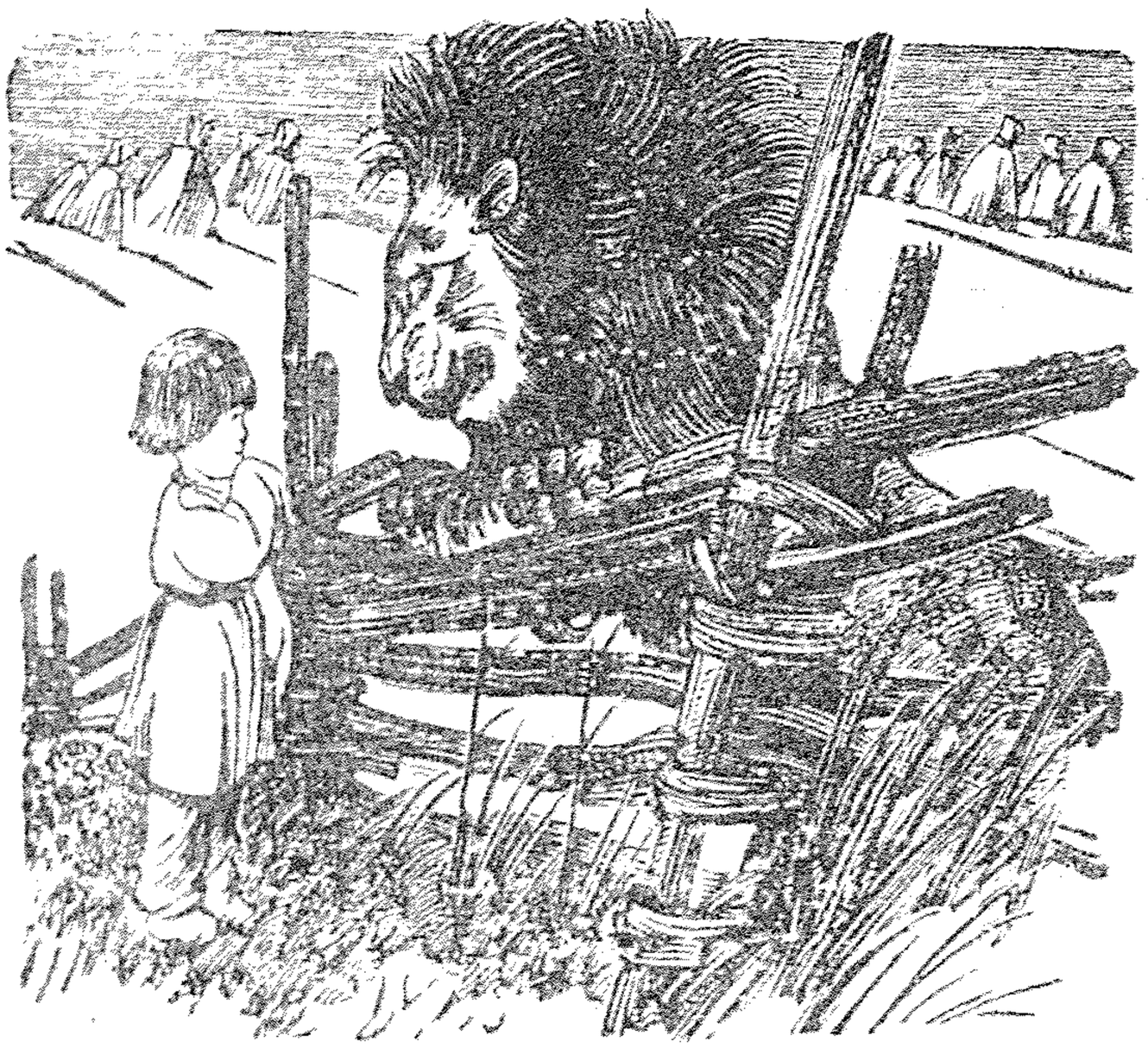

ذات مرة جلس الأسد يتحدث مع السمكة عند شاطئ النهر، بينما وقف بالقرب منهما أحد الرجال يستمع إلى حديثهما.

وما إن رأت السمكة الرجل، حتى غاصت هاربة فى قلب الماء.

نظر الأسد نحوها فى دهشة، وسأل قائلاً:

ــ لماذا غطست فى الماء؟

ــ لأننى رأيت رجلاً.

ــ وماذا يعنى هذا الأمر؟

ــ إن الرجل مخلوق ماكر.

سأل الأسد:

ــ ومن يكون الرجل هذا؟ لو أننى لقيته فسوف ألتهمه على الفور.

ثم مضى الأسد يبحث عن الرجل، وإذا بصبى صغير يسير أمامه.

ــ هل أنت رجل؟

ــ لا، إننى لست رجلاً بعد، بل ما زلت ولدًا صغيرًا، ومازال أمامى الكثير حتى أصير رجلاً.

لم يمس الأسد الولد بسوء، ومضى بجانبه مواصلاً طريقه، حتى قابله كهل عجوز.

ــ هل أنت رجل؟

ــ لا أيها الأسد المبجل، لقد كنت رجلاً فى وقت من الأوقات، أما الآن فإننى كهل.

وسار الأسد مرة أخرى دون أن يقترب من العجوز، وصاح يقول:

ــ يا للعجب، ألا يمكننى العثور على إنسان واحد فى هذا المكان؟

انطلق الأسد فى طريقه، حتى رأى جنديًا يحمل سلاحه، ويتدلى سيفه حول خصره.

ــ هل أنت رجل؟

ــ نعم، أنا رجل.

ــ إذن، سوف ألتهمك على الفور.

رد الجندى قائلاً:

ــ تريث قليلاً أيها الأسد؛ فمن الأفضل أن تبتعد عنى بعض الشىء، وأنا أقفز بنفسى إلى جوفك، لكن عليك أن تفتح فاهك على قدر المستطاع، حتى تبتلعنى بسهولة.

تراجع الأسد مسافة إلى الوراء، وفى لمح البصر شهر الجندى سلاحه، وأطلق منه رصاصة على الأسد دخلت فى جوفه، ثم هجم عليه بسيفه فقطع أذنه.

فر الأسد مذعورا إلى النهر، وطفت السمكة عائمة على سطح الماء وسألته:

ــ هل رأيت الرجل؟

رد الأسد:

ــ يا لهول ما رأيت. إن الرجل حقا كائن ماكر خبيث، حتى إن العثور عليه لم يكن سهلاً. فواحد يقول لى إنه لم يصبح رجلاً بعد، والآخر يقول إنه كان رجلاً فى الماضى، وعندما نجحت أخيرًا فى إيجاده، كان ذلك من دواعى الحزن والأسى، فقد طلب منى أن أبتعد عنه فاتحًا فمى لأبتلعه، ثم بصق فى جوفى بصقة جعلته يحترق من الألم، ثم هجم على بلسانه فجعلنى ألعق أذنى من شدة الوجع.

ــ ألم أخبرك من قبل أن الرجل كائن ماكر؟!

الأميرة الضفدعة

كان هناك ملك يحكم إحدى الممالك البعيدة، وكان له من الأبناء ثلاثة. أصغرهم يدعى الأمير إيفان.

فى أحد الأيام أحضر الملك أبناءه، وقال لهم:

ــ لقد كبرتم يا أبنائى الأعزاء، وأصبحتم فتيانًا أشداء، وحان الوقت كى تبحثوا لأنفسكم عن عرائس لتتزوجوا منهن.

ــ لمن يمكننا التقدم من الفتيات أيها الوالد؟

ــ ليحمل كل منكم قوسًا وسهمًا، وأطلقوا سهامكم فى اتجاهات مختلفة، ثم يطلب كل منكم الزواج بمن توجد فى المكان الذى يقع فيه السهم.

وخرج الأبناء إلى فناء قصر الملك، وشد كل منهم قوسه لإطلاق سهمه.

طار سهم الابن الأكبر فى الهواء، حتى سقط فى فناء لمنزل أحد الفلاحين. وأمسكت بالسهم ابنة الفلاح.

ثم أطلق الابن الوسط سهمه، فسقط بفناء منزل أحد التجار الأثرياء. وعثرت ابنة التاجر على السهم وأخذته.

ولما جاء الدور على الابن الأصغر، أطلق سهمه فطار حتى سقط فى مستنقع موحل، وحملت السهم بفمها ضفدعة تعيش به.

خرج الأخان الأكبر والأوسط يبحثان عن سهامهما، وسرعان ما عثرا عليهما فى فناء منزل الفلاح وفناء بيت التاجر. أما الأمير إيفان، فظل طويلا يبحث عن سهمه، ومضى يومان وهو يسير فى الغابات والجبال. وفى اليوم الثالث وصل إلى المستنقع الموحل، فرأى ضفدعة تسبح فى المستنقع، وهى تحمل بفمها سهم الأمير.

أراد الأمير مغادرة المكان، والهرب من أمام المستنقع، غير أن الضفدعة صاحت تنقنق، وتقول له:

ــ كواك كواك، اقترب أيها الأمير إيفان وخذ سهمك، وعليك الآن الزواج منى.

تملك الحزن من الأمير إيفان، وقال للضفدعة:

ـــ كيف لى أن أتزوج منكِ؟ لو أننى فعلت هذا فسوف أصبح أضحوكة للناس.

ـــ خذنى يا إيفان، ولن تندم على فعلك هذا.

فكر الأمير إيفان طويلاً، ثم عزم أمره، وأخذ الضفدعة، ثم وضعها فى منديل، وحملها إلى قصر أبيه الملك.

جاء كل من الابن الأكبر والأوسط، وصارا يحكيان لأبيهما عن الأماكن التى سقطت فيها سهامهما.

وعندما جاء دور الأمير إيفان، حكى لهم ما جرى معه، فأخذ شقيقاه يضحكان ويسخران منه. أما والده فقال له:

ـــ لا بد أن تأخذ الضفدعة زوجة لك، فهذا قدرك، ولا يمكن للمرء أن يغير قدره.

وقامت الأفراح فى البلاد لزفاف الأبناء الثلاثة: الأكبر على ابنة الفلاح، والأصغر على ابنة التاجر، والأصغر على الضفدعة.

وفى اليوم التالى للزفاف، نادى الملك على أبنائه، وقال لهم:

ـــ والآن، لقد تزوجتم جميعًا يا أبنائى الأعزاء، وأريد أن أختبر مهارة زوجاتكم فى خبز الخبز والفطائر، فلتحضر لى كل منهن بعض الخبز فى صباح الغد.

انحنى الأمراء أمام الملك، وغادروا مجلسه، وذهب الأمير إيفان إلى جناحه والحزن بادٍ عليه، وظل يسير منكس الرأس جيئة وذهابًا، فصاحت الضفدعة تقول له:

ـــ ما لى أراك حزينًا مكروبًا أيها الأمير إيفان؟ هل أسمعك والدك الملك ما لا يرضيك؟

رد الأمير إيفان:

ـ وكيف لا أحزن، وقد طلب منى والدى أن أجعلك تخبزين له الخبز والفطائر، وأقدمها له فى الصباح.

ـ لا تحزن أيها الأمير إيفان، ولا تحمل همًا. بل ارقد فى فراشك، ونم مطمئن البال؛ فنور العقل يُشرق فى الصباح لا فى الليل.

ثم وضعت الضفدعة الأمير فى فراشه لينام، ونزعت من على جسمها جلد الضفدعة؛ فتحولت إلى فتاة رائعة الحسن والجمال، لا مثيل لجمالها ولا فى الحكايات. كان اسمها فاسيليسا.

بعد ذلك أحضرت فاسيليسا الدقيق، وصارت تعجنه بمهارة كبيرة، وزينت جوانب الخبز بنقوش جميلة، وصور للمدن والقصور، ورسمت أعلاه الطيور المحلقة، وعلى أسفله حفرت صور الوحوش المختلفة، وقامت بخبز الخبز فى الفرن، حتى خرج باللون الوردى، ناعم طرى، شهى المذاق.

فى الصباح، أيقظت الضفدعة الأمير إيفان:

ـ لقد حان موعد استيقاظك أيها الأمير إيفان. هيا انهض واحمل لوالدك الخبز والفطائر.

ثم وضعت الضفدعة الطعام فوق صينية ذهبية، ورافقت الأمير إيفان إلى مجلس والده الملك.

بعد ذلك، حضر الشقيقان الأكبر والأوسط يحملان الخبز الذى صنعته زوجتاهما، وكان خبزًا سيئًا، تعاف النفس النظر إليه، فابنة الفلاح تركته بالفرن حتى احترق، وابنة التاجر خبزته باللون الرمادى.

نظر الملك أولاً إلى الخبز الذى أحضره الابن الأكبر، وأمر بإعطائه للخدم.

ثم أخذ الخبز الذى أحضره الابن الأوسط، وقال له:

ـ إن هذا الخبز لا يأكله إلا المرء الذى لا يجد شيئًا آخر يسد به رمقه.

وعندما جاء الدور على الأمير إيفان، أخذ منه الملك الخبز، وصاح يقول:

ــ هذا هو الخبز الذى يؤكل فى الأعياد والاحتفالات الكبيرة.

وأصدر الملك أمرًا آخر لأبنائه قائلاً:

ــ أريد أن أختبر مهارة زوجاتكم فى الحرف اليدوية، فخذوا قدرًا من الحرير والذهب والفضة، ولتصنع لى زوجة كل منكم بساطًا.

عاد الأبناء الأكبر والأوسط إلى زوجتيهما، وأخبراهما بالمطلب الجديد للملك، وأسرعت الزوجتان فى طلب الخادمات والوصيفات والفتيات، كى يصنعن بساطًا للملك، فاجتمعت الفتيات، وشرعن فى حياكة البساط، فمنهن من أمسكت بالخيوط الذهبية، وأخرى بالخيوط الفضية، وثالثة بالحرير.

أما الأمير إيفان، فذهب إلى جناحه حزينًا، وظل يسير جيئة وذهابًا منكس الرأس. فقالت له الضفدعة:

ــ لماذا أراك مهموم البال أيها الأمير إيفان؟ هل أسمعك والدك الملك ما لا يرضيك؟

أجاب الأمير إيفان:

ــ وكيف لا أحزن وقد طلب منى والدى أن أجعلكِ تصنعين له بساطًا موشيًا بالذهب والفضة، وأن أقدمه له فى الصباح.

ــ لا تحزن أيها الأمير إيفان، ولا تحمل همًا. بل ارقد فى فراشك، ونم مطمئن البال؛ فنور العقل يُشرق فى الصباح لا فى الليل.

ثم وضعت الضفدعة الأمير فى فراشه لينام، ونزعت من على جسمها جلد الضفدعة، وتحولت ثانية إلى فاسيليسا البارعة الحسن والجمال، وأخذت تحيك البساط، وما إن تضع الإبرة مرة حتى تنقش بها رسمًا لزهرة رائعة، ثم تغرس إبرتها مرة أخرى، فتنساب منها النقوش البديعة الزاهية والطيور المحلقة.

ومع ظهور أول خيوط الفجر فى السماء، كان البساط جاهزًا.

ذهب الأبناء الثلاثة إلى الملك يحمل كل منهم بساطًا. فأخذ الملك بساط الابن الأكبر، وتطلع فيه قائلاً:

ــ هذا البساط لا يصلح سوى لحماية الفرس من الوحل والمطر.

بعد ذلك أخذ الملك البساط الذى أحضره الابن الأوسط، وقال له:

ــ وهذا لا يصلح إلا لفرده فوق عتبة الحجرة فى الأعياد الكبيرة.

ثم حمل الملك بساط الأمير إيفان، ونظر إليه فى إعجاب قائلاً:

ــ أما هذا البساط، فسوف أضعه على أرض البهو فى الأعياد المهمة.

وهنا، أصدر الملك أوامره الجديدة لأبنائه، فطلب منهم الحضور مع زوجاتهم إلىٰ حفل يقيمه، وذلك كى يرى أى واحدة منهن ترتدى أفضل الثياب والزينة.

مضى الأمير إيفان حزينًا يفكر فى نفسه :"كيف لى أن أصطحب الضفدعة إلى حفل الملك؟".

وذهب إلى جناحه مهمومًا، فسألته الضفدعة:

ــ ما لى أراك يائسًا منكس الرأس مرة أخرى أيها الأمير إيفان؟ ما الذى جرى؟

أجاب الأمير إيفان:

ــ وكيف لا أحزن، وقد أمر والدى بأن أرافقك غدًا إلى حفله بالقصر؟

ــ لا تحزن أيها الأمير إيفان، بل ارقد فى فراشك، ونم مطمئن البال؛ فنور العقل يُشرق فى الصباح لا فى الليل.

وفى اليوم التالى، وعندما أزف الموعد للذهاب إلى الحفل، قالت الضفدعة للأمير:

ــ اذهب أنت بمفردك إلى الحفل أيها الأمير إيفان، وسوف ألحق بك بعد وقت قليل، وعندما تسمع صوت دقات صاخبة لا تخف، بل قل لهم : "إنها على الأرجح ضفدعتى، تسير فى عربتها الذهبية".

وذهب الأمير إيفان إلى حفل الملك بمفرده.

كما حضر الشقيقان مع زوجتيهما إلى القصر بعد فترة قصيرة، وكانت الزوجتان ترتديان ثيابًا احتفالية أنيقة مزركشة، ووقف الشقيقان بجوار الأمير إيفان يسخران منه:

ــ لماذا أتيت بدون زوجتك أيها الأخ؟ ألم يكن بوسعك أن تضعها فى منديل، وتحضرها معك؟ لقد كنا نريد أن نستمع إلى نقيقها.

وفجأة ارتفع فى المكان صوت دقات صاخبة، وانتفض الحاضرون جميعًا من أماكنهم مذعورين يتطلعون إلى مصدر الصوت، فقال الأمير إيفان مهدئًا من روع الحضور:

ــ لا تخشوا شيئًا أيها الضيوف الأعزاء، فإنها على الأرجح ضفدعتى تسير فى عربتها الذهبية.

ركض الجميع نحو النافذة ينظرون منها، فرأوا عددًا من الخدم والحراس، يركضون أمام عربة ذهبية تجرها ثلاثة خيول مسرجة بالذهب والفضة.

وقفت العربة أمام البوابة، وخرجت منها فاسيليسا الجميلة، فأضاءت بنور حسنها أرجاء القصر، وبدت مثل الشمس الساطعة فى السماء.

انبهر الجميع بجمالها، وصاروا ينظرون إليها مشدوهين بفتنتها الساحرة، حتى إنهم تسمروا فى أماكنهم، عاجزين عن النطق والكلام.

مدت فاسيليسا يدها نحو الأمير إيفان، ورافقته إلى مائدة الطعام.

وبدأ الضيوف فى تناول الأكل والشراب، ومضوا فى اللهو والمرح.

كانت فاسيليسا تشرب من الكأس إلى منتصفه، ثم تلقى ما تبقى فيه خلف يدها اليسرى، وكانت تأكل قطعة من الدجاج، ثم تلقى بالعظام خلف يدها اليمنى.

وانتبهت زوجتا الشقيقين الآخرين لما تفعله فاسيليسا، وفكرت كل منهما تتساءل فى نفسها: "لماذا تلقى بالشراب خلف يدها اليسرى؟ ولماذا تلقى بالطعام خلف يدها اليمنى؟"، غير أنهما لم يعرفا السر من وراء ذلك.

وبعد انتهاء الضيوف من تناول الطعام، بدأت الموسيقى فى العزف، وأخذت الفتيات يرقصن. وتقدمت فاسيليسا الحسناء من الأمير إيفان، لترافقه فى الرقص، وصار الاثنان يرقصان فى رشاقة وخفة، ثم لوحت فاسيليسا بيدها اليمنى، فامتدت بجانبهم بحيرة من الماء، ورفعت يدها اليسرى، فظهر البجع الأبيض يسبح فى البحيرة. أصاب الذهول الملك وكل الحاضرين لما رأوه، وبعد أن انتهت من الرقص، اختفت البحيرة والبجع.

بعد ذلك، بدأت زوجتا الشقيقين فى الرقص. وما إن لوحت كل منهما بيدها اليسرى، حتى تناثر رذاذ الشراب على الضيوف، ثم رفعت كل منهما يدها اليمنى، فانهمرت العظام فوق رءوس الحضور، وطارت عظمة بجوار عين الملك، وكادت تصيبها. ثار الملك من الحنق والغيظ، وأمر بطرد الزوجتين من الحفل.

وعندما أشرف الحفل على الانتهاء، أسرع الأمير إيفان إلى جناحه، وبحث عن جلد الضفدعة حتى عثر عليه، ثم ألقى به فى النار.

عادت فاسيليسا الحسناء إلى حجرتها، فلم تجد جلد الضفدعة، وصارت تبحث عنه وهى فى ذعر وخوف، وظلت تبحث وتفتش فى كل ركن بلا جدوى. عندئذٍ صاحت تقول للأمير إيفان:

ــ أيها الأمير إيفان، ما الذى فعلته؟ لو أنك انتظرت ثلاثة أيام فقط، لصرت لك إلى الأبد، أما الآن فإننى سوف أودعك وأرحل عنك، فابحث عنى فيما وراء البحار، وخلف الجبال، وفى أقصى البلاد تحت الشمس التى يحكمها كوشيا الخالد، وعندما تبلى ثلاثة أزواج من الأحذية الحديدية، وتأكل ثلاثة أرغفة من الحديد، حينئذٍ فقط سوف يمكن العثور علىَّ.

قالت فاسيليسا ما قالته، ثم تحولت إلى بجعة بيضاء، وحلقت طائرة من النافذة.

أصاب الأمير إيفان الحزن والكرب، فأعد عدته وحمل قوسه وسهامه، وارتدى الأحذية الحديدية فى قدمه، ووضع فى خُرْجه ثلاثة أرغفة من الخبز الحديدى، ثم خرج للبحث عن زوجته فاسيليسا الحسناء.

سار الأمير إيفان فى طريقه البعيد، وطال ترحاله وهو يقطع الجبال والغابات والأنهار، حتى بلى زوجان من الأحذية الحديدية، وقرض بفمه رغيفين من الحديد. عندئذ صادفه رجل عجوز مسن، فقال له الأمير إيفان:

ــ مرحبًا أيها الجد.

ــ مرحبًا بك أيها الفتى الطيب، إلى أين مقصدك؟ وعن أى شىء تبحث؟

قصَّ الأمير إيفان على العجوز حكايته الحزينة، فقال له العجوز:

ــ يا للأسف، لماذا قمت بإحراق جلد الضفدعة أيها الأمير إيفان؟ إنه لم يكن لك، ولم تكن مضطرًا لخلعه من على جسمك. لقد كانت فاسيليسا أكثر فطنة وأحسن خلقًا من والدها كوشيا الخالد. وعندما ثار عليها، وأراد أن يعاقبها، أمرها أن تضع جلد الضفدعة على جسمها ثلاثة أعوام بالتمام والكمال، وقد قمت بحرقه قبل انتهاء المهلة، لكن المحظور وقع، ولن يمكنك أن تغير بالكلمات شيئًا مما جرى، فخذ هذه الكرة معك، واتبعها أينما تتدحرج أمامك.

شكر الأمير إيفان العجوز، ومضى يتبع الكرة فى سيرها.

انطلقت الكرة تتدحرج فوق الجبال العالية، وفى قلب الغابات الموحشة، وعلى أرض الحقول المترامية، وعلى سطح المستنقعات والبحيرات، وفى الأصقاع البعيدة، والأمير إيفان يسير خلفها لا يفارقها، ويتبعها كظلها، فلا يتوقف للراحة، ولا يلتقط أنفاسه المتقطعة.

ظل الأمير يمضى فى طريقه، حتى بلى الزوج الثالث من الأحذية الحديدية، وأكل الرغيف الحديدى الثالث، ووصل إلى أحراش كثيفة بأشجار الصنوبر، فرأى أمامه دبًا، ففكر قائلاً فى نفسه:

"ليس لدى شيء يؤكل، فلأقتل هذا الدب وآكل لحمه".

وتحفز الأمير إيفان لقتل الدب، إلا أن الدب فجأة تحدث بصوت بشرى وقال:

ــ لا تقتلنى أيها الأمير إيفان، وسوف أصبح عونًا لك فى وقت من الأوقات.

أشفق الأمير إيفان على الدب، ولم يقتله، ومضى يواصل طريقه.

سار الأمير فى حقل مكشوف، ونظر فشاهد بطة كبيرة تطير من فوقه.

وعلى الفور، جذب الأمير إيفان قوسه، وتأهب لإطلاق سهمه على الطائر، وفجأة صاحت البطة بصوت آدمى تقول:

ــ لا تقتلنى أيها الأمير إيفان، وسوف أصبح عونًا لك فى وقت من الأوقات.

أشفق الأمير إيفان على البطة فلم يقتلها، وأعاد سهمه إلى جعبته، ومضى فى طريقه والجوع يعصف به.

وفجأة، ركض أمامه أرنب أعور العين، ففكر الأمير فى نفسه: "فلأقتل هذا الأرنب، وأشبع جوعى بلحمه".

شد الأمير قوسه مصوبًا سهمه نحو الأرنب. فهتف الأرنب بصوت بشرى قائلاً:

ــ لا تقتلنى أيها الأمير إيفان، وسوف أصبح عونًا لك فى وقت من الأوقات.

رق قلب الأمير للأرنب فلم يقتله، ومضى يواصل طريقه خلف الكرة.

وصل الأمير إلى البحر الأزرق، ونظر فشاهد سمكة راقدة فوق الرمال الصفراء، ففرح الأمير إيفان، وصاح قائلا:

ــ والآن سوف آكل هذه السمكة، وأسد بها الجوع الذى ينهش أمعائى.

توسلت السمكة بصوت آدمى تقول:

ـــ ارحمنى أيها الأمير إيفان، ولا تأكلنى، بل أعدنى إلى مياه البحر.

رأف الأمير بحال السمكة فلم يأكلها، ورمى بها فى مياه البحر، ثم واصل سيره على الشاطئ يتبع الكرة.

طال الزمن أم قصر، والكرة مازالت تتدحرج، حتى دخلت بين أحراش الغابة، ووصلت إلى كوخ يدور حول نفسه على قوائمه. فصاح الأمير إيفان:

ـــ أيها الكوخ، استدر بظهرك إلى الغابة، واجعل واجهتك أمامى.

استدار الكوخ بظهره للغابة كما طلب منه الأمير إيفان، وجعل واجهته تقف أمامه، فدلف الأمير إلى داخل الكوخ، ونظر فشاهد الساحرة ملكة الرعب تجلس على الفرن، وقدماها النحيلتان تتدليان من فوقه، وما إن رأت الساحرة الأمير حتى هتفت تقول:

ـــ ماذا أتى بك إلى هنا أيها الشاب الطيب؟ أجئت برغبتك أم مُكرهًا؟

ـــ آخ، أيتها الجدة ذات الساقين النحيلتين، أطعمينى أولاً واسقينى، ودعينى أغتسل لأزيل عن جسمى تراب الطريق، وبعد ذلك سوف أقص عليك حكايتى.

ردت الساحرة: إنك محق فى قولك.

أطعمت الساحرة الأمير إيفان وروت عطشه، ثم أحضرت له الماء فاغتسل، وحكى لها حكايته مع الضفدعة فاسيليسا. عندئذٍ قالت الساحرة:

ـــ إننى أعرفها جيدًا، وأعلم أنها الآن حبيسة لدى الشرير كوشيا الخالد، وسوف تكون مهمتك غاية فى الصعوبة للإيقاع بكوشيا الخالد، فلا سهم يقتله، ولا رصاصة يمكنها أن تصرعه، لذلك فهو لا يخشى أحدًا على الأرض.

ـــ ألا يوجد مقتل له؟

ـ إن مقتله فى طرف إبرة، والإبرة داخل بيضة، والبيضة فى بطن البطة، والبطة داخل الأرنب، والأرنب فى حُقّ محكم الإغلاق، والحق على قمة شجرة بلوط عتيقة، والشجرة فى قلب الغابة البعيدة.

وشرحت الساحرة للأمير إيفان الطريق إلى شجرة البلوط العتيقة، فشكرها ورحل فى طريقه البعيد.

توغل الأمير إيفان طويلاً فى قلب الغابة، وعبر الدروب الضيقة والمستنقعات الموحلة، حتى وصل أخيرًا إلى شجرة البلوط العتيقة. كانت قمة الشجرة شاهقة الارتفاع، تتاطح السحب فى السماء، وجذورها تضرب بعيدًا فى الأرض بعمق مائة ذراع، وأغصانها تحجب أشعة الشمس الحمراء من فرط كثافتها، وفى أعلى الشجرة يقبع الحق المنشود.

تطلع الأمير إيفان إلى الشجرة الباسقة، وهو فى حيرة من أمره، لا يدرى كيف يمكنه الوصول إلى قمتها، ثم فكر فى نفسه قائلاً:

"آه، أين أنت أيها الدب الآن؟ لو أنه كان هنا لقام بمساعدتى".

ما إن فكر الأمير حتى ظهر الدب أمامه، واقتلع الشجرة الضخمة من جذورها، فسقط الحق من فوقها على الأرض، وتحطم إلى أجزاء صغيرة، وخرج من الحق أرنب، وانطلق يركض كالسهم، فتذكر الأمير قائلاً فى نفسه:

"أين انت الآن يا أرنبى العزيز؟ لو كان هنا لاستطاع أن يلحق بالأرنب الهارب".

وما إن تذكر الأمير إيفان أرنبه، حتى ظهر الأرنب أمامه، وانطلق يركض بسرعة البرق، وأدرك الأرنب الهارب، ثم مزق جسمه بأسنانه وقطعه إلى نصفين، فخرجت من أحشائه بطة، وحلّقت عاليًا عاليًا فى السماء، وفكر الأمير قائلاً:

"أين أنت الآن يا بطتى العزيزة؟".

وفى اللحظة نفسها حلّقت بطة الأمير فى السماء، وأخذت تطارد البطة الهاربة حتى أدركتها، فأدخلت منقارها فى بطنها، وأخرجت منها البيضة، فسقطت البيضة فى مياه البحر الأزرق.

تملك الحزن من الأمير إيفان، وسار مهمومًا على شاطئ البحر يقول:

ــ أين أنت الآن يا سمكتى العزيزة؟ لو أنك بالجوار، لأحضرتى لى البيضة من قاع البحر.

وفجأة، سبحت السمكة إلى شاطئ البحر، وهى تحمل بين أسنانها البيضة، وألقت بها على الرمال قائلة:

ــ خذ بيضتك أيها الأمير إيفان.

فرح الأمير فرحًا كبيرًا، وحطم البيضة، ثم أخرج من داخلها الإبرة، وكسر طرفها، وفى اللحظة التى انكسر فيها طرف الإبرة، مات كوشيا الخالد، وذرت الرياح رماده فى الهواء.

بعد ذلك، ذهب الأمير إيفان إلى قصر كوشيا، فخرجت له الحسناء فاسيليسا، وقالت:

ــ لقد نجحت أيها الأمير إيفان فى العثور علىّ، وسوف أصبح ملكًا لك من الآن وإلى أبد الدهر.

وانتقى الأمير إيفان من إسطبل كوشيا أفضل الجياد، وركب عليه مع الحسناء فاسيليسا، وانطلق فى طريق العودة إلى بلاده.

وعاش الاثنان معًا فى سعادة ومحبة أبدية.

الأميرة ماريا

فى إحدى الممالك القديمة، عاش أمير يُدعى الأمير إيفان، وكان له شقيقات ثلاث، وكانت أسماؤهن كالتالى: الأولى: الأميرة كاتيرينا، والثانية: الأميرة أولجا، والثالثة: الأميرة آنا.

ومات والدهم ووالدتهم، وقبل موت الوالدين تركا وصية لابنهم قائلين له:

ــ عليك أن تعطى شقيقاتك لأول من يطلبهن للزواج، ولا تطيل من بقائهن معك.

وارى الأمير والديه الثرى، ومضى حزينًا مع شقيقاته يتجولون بالبستان الأخضر.

وفجأة تلبدت السماء بالغيوم السوداء، وبدأ البرق يظهر بين السحب، فصاح الأمير إيفان:

ــ هيَّا إلى البيت أيتها الأخوات.

وما إن وصلوا إلى القصر، حتى دوى صوت الرعد فى السماء، وانشق السقف ليهبط منه الصقر الساطع، وارتطم الصقر بالأرض، فتحول على الفور إلى فتى رائع الطلعة، وقال لهم:

ــ مرحبًا أيها الأمير إيفان، لقد جئت إليكم ضيفًا من قبل، أما الآن فقد حضرت لأخطب منك الأميرة كاتيرينا.

ــ بما أنك طلبت شقيقتى للزواج، فسوف ألبى لك طلبك، ولتذهب معك فى رعاية الله.

وافقت الأميرة كاتيرينا على طلب الصقر، فتزوج منها، وذهب بها إلى مملكته.

ومرت الساعات والأيام حتى انقضى عام كامل، وفى أحد الأيام، خرج الأمير إيفان إلى البستان الأخضر مع شقيقتيه يتريضون، وفجأة، تلبدت السماء بالغيوم مرة أخرى، وبدأ البرق يلمع بين السحب، فصاح إيفان قائلاً:

ــ هيا بنا سريعًا إلى البيت.

وبعد أن وصلوا إلى القصر، دوى صوت الرعد فى السماء، وانشق السقف ليهبط منه النسر الكبير، وارتطم النسر بالأرض، فتحول على الفور إلى فتى حلو الطلعة، وقال لهم:

ــ مرحبًا أيها الأمير إيفان، لقد جئت عليكم ضيفًا من قبل، أما الآن فقد حضرت إليك خاطبًا.

وطلب النسر الأميرة أولجا للزواج.

ورد الأمير إيفان:

ــ بما أنك طلبت شقيقتى للزواج، فسوف ألبى لك طلبك، ولتذهب معك فى رعاية الله.

وافقت الأميرة أولجا على طلب النسر، فتزوج منها، وحملها إلى مملكته.

انقضى عام آخر، وفى أحد الأيام قال الأمير إيفان لشقيقته الصغرى:

ــ هيا بنا نخرج إلى البستان الأخضر نتنسم الهواء العليل.

وسار الأمير يتجول مع شقيقته فى دروب البستان، ومن جديد تلبدت السماء بالغيوم، وبدأ البرق يلعلع بين السحب، فهتف إيفان قائلاً:

ــ هيا نرجع إلى البيت أيتها الأخت.

وعاد الاثنان إلى القصر، وما إن جلسا حتى علا صوت الرعد فى السماء، وانشق السقف ليهبط منه الغراب الأسود، وارتطم الغراب بالأرض، فتحول على الفور إلى فتى حسن الطلعة، أجمل من سابقيه، وقال لهما:

ــ مرحبًا أيها الأمير إيفان، لقد جئت عليكم ضيفًا من قبل، أما الآن فقد حضرت إليك لأخطب الأميرة آنًا.

ـ بما أنك طلبت شقيقتى للزواج، فسوف ألبى لك طلبك. ولتذهب معك فى رعاية الله.

وتزوجت الأميرة آنّا من الغراب الذى حملها إلى بلاده.

وعاش الأمير إيفان وحيدًا بعد رحيل شقيقاته، وبعد مرور عام من الوحدة أصابه الملل والوحشة؛ فصاح قائلاً:

ـ سوف أرحل للبحث عن شقيقاتى.

وحزم الأمير أمره، ورحل فى طريقه، وسار طويلا يقطع الدروب والأرجاء حتى شاهد كتائب مدحورة من العسكر والجنود، وقد تناثرت جثثهم الكثيرة فى بقاع الوادى، فصاح الأمير إيفان:

ـ هل مازال هناك أحد من الأحياء؟ لو كان بينكم أحد حيًا فليخبرنى عن الذى دحر هذه القوات.

نهض جندى من بين الركام، وقال:

ـ إنها الأميرة ماريا الملكة العظيمة، هى التى حطمت هذه الجيوش الكبيرة.

مضى الأمير إيفان مواصلاً طريقه، حتى شاهد خيمة بيضاء منصوبة فى الوادى، وخرجت منها لاستقباله الأميرة ماريا الملكة العظيمة.

ـ مرحبًا بك أيها الأمير، أى ريح طيبة حملتك إلى هنا؟ هل جئت مكرهًا أم بمحض إرادتك؟

ـ إن الفتيان الأحرار لا يسيرون فى الدنيا إلا بإرادتهم.

ـ إذن، فلتدخل إلى الخيمة كى أقوم على ضيافتك.

فرح الأمير إيفان باستقبال الأميرة له، فدخل إلى خيمتها وقضى بها ليلتين، ووقع فى غرام الأميرة ماريا الملكة العظيمة، وتزوج بها.

ذهبت الأميرة ماريا مع الأمير إيفان إلى مملكتها، وعاش الاثنان معًا لفترة من الوقت، ثم تأهبت الأميرة مرة أخرى للخروج إلى الحرب، فتركت شئون القصر للأمير إيفان، وقالت له وهى تودعه:

ــ تدبر أمور المملكة فى غيابى، ويمكنك الذهاب والتجول فى أروقة القصر أينما شئت، عدا هذه الحجرة، فلا تدخل إليها بأى حال من الأحوال.

ورحلت الأميرة ماريا إلى الحرب، وتملك الفضول من الأمير إيفان، فأسرع إلى الحجرة المحظورة، وفتح بابها ونظر بالداخل، ورأى كوشيا الخالد معلقا باثنتى عشرة سلسلة.

توسل كوشيا الخالد إلى الأمير قائلاً:

ــ ارحم حالى وأعطنى جرعة من الماء أشربها، فإننى حبيس هنا منذ عشر سنوات، لم أذق طوالها طعامًا ولا ماءً، وقد جفَّ حلقى من شدة العطش.

وأعطى الأمير لكوشيا دلوًا مملوءًا بالماء، فشربه عن آخره، وطلب المزيد:

ــ لم يرو الدلو عطشى، فأعطنى المزيد من الماء.

فملأ الأمير دلوًا ثانيًا بالماء، وأعطاه لكوشيا الخالد الذى شربه، وطلب الثالث، وعندما شربه عادت إليه قوته السابقة، فمزق الأغلال الحديدية فى لمح البصر، وصاح قائلاً:

ــ شكرًا لك أيها الأمير إيفان، والآن لو استطعت رؤية أذنيك فيمكن أن ترى الأميرة ماريا، وهذا معناه أنك لن ترى الأميرة ماريا أبدًا مرة ثانية.

ثم اندفع كوشيا من النافذة كالبركان الثائر، وطار محلقا فى الهواء فوق الطريق حتى وصل إلى الأميرة ماريا الملكة العظيمة، فخطفها واختفى بها فى الفضاء.

أما الأمير إيفان، فأخذ فى البكاء المرير، ثم أعد عدته، وخرج إلى الطريق للبحث عن زوجته الأميرة ماريا، وهو يقول لنفسه: "سوف أعثر على ماريا بأية وسيلة".

ومرت الأيام واحدًا بعد الآخر على الأمير وهو فى طريقه المجهول، وفى فجر أحد الأيام، شاهد الأمير قصرًا مدهشًا، نمت أمامه شجرة بلوط، يتربع فوقها الصقر الساطع، وسرعان ما حلق الصقر وارتطم بالأرض، فتحول على الفور إلى فتى جميل الطلعة، وصاح قائلاً:

ــ مرحبًا يا صهرى العزيز.

وخرجت من القصر الأميرة كاترينا، واستقبلت الأمير إيفان بالترحاب والسرور، وصارت تسأله عن أحواله ومعيشته، ونزل الأمير ضيفا عليهما فى القصر، وقضى به ثلاثة أيام، ثم صرح قائلاً لهم:

ــ لا يمكننى البقاء فى ضيافتكما أكثر من ذلك، وسوف أرحل للبحث عن زوجتى الأميرة ماريا الملكة العظيمة.

رد الصقر:

ــ من الصعب عليك العثور عليها أيها الأمير، لكن اترك لنا ملعقتك الفضية فى جميع الأحوال، كى ننظر إليها ونتذكرك.

ترك الأمير إيفان ملعقته الفضية للصقر، ثم رحل فى طريقه المجهول.

سار الأمير يومًا بعد الآخر، حتى وصل إلى قصر أروع من سابقه، وشاهد أمام القصر شجرة بلوط عالية، يتربع فوقها النسر الكبير.

حلّق النسر أمام الأمير، ثم ارتطم بالأرض، فتحول على الفور إلى فتى حلو الطلعة، وصاح مناديًا:

ــ اخرجى إلىَّ أيتها الأميرة أولجا، فقد جاء شقيقك العزيز لزيارتنا.

خرجت الأميرة أولجا مسرعة من القصر، وأخذت تُــقبّل الأمير وتعانقه بحرارة، وصارت تسأله عن صحته وأحواله.

وقضى الأمير ثلاث ليال فى ضيافتهما، ثم صرح قائلاً:

ــ لا أستطيع البقاء فى ضيافتكما أكثر من ذلك، فينبغى على الرحيل للبحث عن زوجتى الأميرة ماريا الملكة العظيمة.

أجاب النسر:

ــ من الصعب عليك العثور عليها أيها الأمير، لكن اترك لنا شوكتك الفضية، كى ننظر إليها ونتذكرك.

وترك الأمير إيفان شوكته الفضية للنسر، ثم انطلق فى طريقه البعيد.

مضى الأمير يومًا بعد الآخر، حتى وصل فى فجر أحد الأيام إلى قصر أروع من سابقيه، وشاهد أمام القصر شجرة بلوط عالية، يجلس فوقها الغراب الأسود، وطار الغراب من فوق الشجرة وارتطم بالأرض، فتحول إلى فتى ممشوق القوام، وما لبث أن صاح مناديًا:

ــ أيتها الأميرة آنّا، هيا اخرجى سريعًا إلىَّ، فقد وصل شقيقك العزيز لزيارتنا.

ــ وداعًا، فيجب علىَّ الخروج للبحث عن زوجتى الأميرة ماريا الملكة العظيمة.

رد الغراب قائلاً:

ــ إن مهمتك عسيرة للغاية، فاترك لنا علبة التبغ الفضية، كى ننظر إليها ونتذكرك.

ترك الأمير علبة التبغ الفضية، وقام بوداعهما، ثم مضى يواصل طريق البحث.

ومرت الأيام على الأمير وهو يسير فى طريقه، حتى وصل فى النهاية إلى الأميرة ماريا. فما إن رأته حتى ارتمت فى أحضانه، وانهمرت دموعها على خديها، وقالت:

ــ آخ أيها الأمير إيفان، لماذا لم تستمع إلى نصحى؟ لماذا فتحت الحجرة الموصدة وأطلقت سراح كوشيا الخالد؟

ــ اغفرى لى ما فعلت يا ماريا، ولا تذكرينى بما مضى، ومن الأفضل أن ترحلى معى على وجه السرعة، قبل أن يدركنا كوشيا الخالد.

ورحل الاثنان مسرعين من المكان، وفى هذا الوقت كان كوشيا فى رحلة للصيد، وعندما حلَّ المساء عاد إلى البيت، فرأى حصانه يتعثر فى مشيته.

ــ ما لك تسير مترنحًا أيها الحصان؟ هل أنت جوعان أم أن هناك شيئًا يحزنك؟

رد الحصان:

ــ لقد جاء الأمير إيفان، وأخذ الأميرة ماريا ورحلا معًا.

ــ وهل يمكن اللحاق بهما؟

ـــ نعم، يمكن ذلك بشرط أن تزرع الأرض بالقمح، ثم تنتظر حتى ينضج المحصول، وتجمع البذور وتطحنها، وتصنع من الطحين خبزًا يملأ ثلاثة أفران، وتأكل الخبز بعد تحميره.

فعل كوشيا ما قاله الحصان، ثم انطلق يطارد الأمير إيفان حتى أدركه، وقال له:

ـــ لقد تركتك حيًا فى المرة الأولى لأنك قدمت لى الماء، وسوف أغفر لك فعلتك فى المرة الثانية أيضًا، أما فى المرة الثالثة فحذار أيها الأمير؛ لأننى سوف أمزق جسمك إربًا إربًا.

وانتزع كوشيا من إيفان الأميرة ماريا، وطار مبتعدًا بها حتى اختفى، وجلس الأمير فوق إحدى الصخور يبكى حظه العاثر.

ظل الأمير يبكى طويلاً، ثم انطلق مرة أخرى عائدًا إلى الأميرة ماريا، ووقف بباب البيت فلم يسمع صوتًا لكوشيا الخالد. عندئذ صاح مناديًا:

ـــ أيتها الأميرة ماريا، هيا بنا نهرب سريعًا من هنا.

ـــ لكن كوشيا الخالد سوف يلحق بنا مرة أخرى.

ـــ لنقضى معًا على الأقل ساعات قليلة قبل أن يلحق بنا.

وهرب الاثنان مسرعين من المكان.

وعاد كوشيا فى المساء إلى البيت، وسار نحوه الحصان يتعثر فى مشيته.

ـــ هل أنت تترنح من الجوع أيها الحصان؟ أم أن هناك شيئًا يحزنك؟

ـــ لقد جاء الأمير إيفان، وأخذ الأميرة ماريا ورحلا معًا.

ـــ وهل يمكن اللحاق بهما؟

ــ نعم، يمكن ذلك بشرط أن تزرع الأرض بالشعير، ثم تنتظر حتى ينضج المحصول، وتجمع الشعير وتطحنه، وتصنع منه جعة، وتشرب الجعة حتى يصيبك السكر، وتخلد إلى النوم، وبعد أن تفيق من نومك يمكنك الذهاب خلفهما.

فعل كوشيا ما قاله الحصان، ثم انطلق يطارد الأمير إيفان حتى لحق به، وقال له:

ــ ألم أخبرك من قبل أنك لن ترى ماريا ثانية كما لم تر أذنيك؟

وانتزع كوشيا الأميرة ماريا من يدى إيفان، واختفى بها من أمامه.

جلس الأمير ثانية يبكى ويذرف الدمع الحار، ثم ما لبث أن ذهب مرة أخرى إلى ماريا، وعندما لم يسمع صوتًا لكوشيا بالبيت، صار ينادى قائلاً:

ــ هيا بنا نهرب سريعًا يا ماريا.

ــ لكن كوشيا سوف يلحق بنا، وفى هذه المرة سوف يمزقك إربًا.

ــ فليمزقنى إربًا، لكننى لا أستطيع العيش بدونك يا حبيبتى.

ورحل الاثنان على وجه السـرعة، وفى المساء عاد كوشيا الخـالد إلى البيت. واقترب منه الحصان يتعثر فى سيره.

ــ هل تترنح من الجوع أيها الحصان؟ أم أن هناك شيئًا يحزنك؟

ــ لقد جاء الأمير إيفان، وأخذ الأميرة ماريا ورحلا معًا.

ــ وهل يمكن اللحاق بهما؟

ــ نعم، يمكن ذلك.

انطلق كوشيا فى أثر الأمير إيفان حتى أدركه، ثم مزق جسمه قطعًا صغيرة، ووضعها فى برميل، وأحكم غلقه بالحديد، ورمى بالبرميل فى مياه البحر الزرقاء، وعاد بماريا إلى بيته.

فى هذا الوقت خبا بريق الأشياء الفضية التى احتفظ بها أصهار الأمير إيفان، واسود لونها، فهتفوا قائلين:

ــ آخ، لا بد أن هناك مكروهًا أصاب الأمير إيفان.

طار النسر محلقًا فوق مياه البحر الزرقاء والتقط البرميل بمنقاره، وحمله إلى الشاطئ، وطار الصقر لإحضار ماء الحياة، وحلق الغراب ليحضر ماء الموت.

واجتمع ثلاثتهم عند الشاطئ، فحطموا البرميل وأخرجوا منه أشلاء الأمير إيفان، ولصقوا أجزاءها معًا.

رش الغراب على الأجزاء ماء الموت، فالتحمت ثانية ببعضها حتى اكتمل الجسم كله، ثم نثر الصقر على الجسم ماء الحياة، فانتفض جسم الأمير إيفان ونهض قائلاً:

ــ يبدو أننى قد نمت طويلاً.

رد أصهار الأمير:

ــ لولانا لنمت إلى الأبد، فلتذهب معنا الآن أيها الأمير، وتمكث فى ضيافتنا لبعض الوقت.

ــ لا أيها الإخوة الأعزاء، فينبغى علىَّ البحث عن زوجتى الأميرة ماريا.

وذهب الأمير إيفان إلى زوجته ماريا، وقال لها:

ــ أريدك أن تعرفى من كوشيا الخالد عن المكان الذى جلب منه حصانه.

وأخذت ماريا تتملق كوشيا وتداعبه، حتى واتتها اللحظة المناسبة، وسألته عن مصدر الحصان، فأجاب عليها قائلاً:

ــ يبدو أننى قد نمت طويلاً.

رد أصهار الأمير:

ــ لولانا لنمت إلى الأبد، فلتذهب معنا الآن أيها الأمير، وتمكث فى ضيافتنا لبعض الوقت.

ــ لا أيها الإخوة الأعزاء، فينبغى علىَّ البحث عن زوجتى الأميرة ماريا.

وذهب الأمير إيفان إلى زوجته ماريا، وقال لها:

ــ أريدك أن تعرفى من كوشيا الخالد عن المكان الذى جلب منه حصانه.

وأخذت ماريا تتملق كوشيا وتداعبه، حتى واتتها اللحظة المناسبة، وسألته عن مصدر الحصان، فأجاب عليها قائلاً:

ـ فيما وراء البلاد والبحار، ومن وراء النهر النارى، تعيش الساحرة ملكة الرعب، لدى هذه الساحرة فرس مدهشة تحلق كل يوم حول العالم، كما لديها أيضًا قطيع كبير من الأفراس العجيبة، وقد عملت عندها ثلاثة أيام راعيًا للقطيع، ولم تشرد منى فرس واحدة، وقد كافأتنى الساحرة على عملى بإعطائى هذا الفرس.

ـ وكيف تسنى لك عبور النهر النارى؟

ـ لدى منديل سحرى، ألوح به فى الناحية اليمنى ثلاث مرات، فيمتد جسر مرتفع عال أعبر عليه النهر، ولا يطالنى لهبه.

استمعت الأميرة ماريا إلى كلام كوشيا، ونقلت ما قاله للأمير إيفان، كما سرقت المنديل السحرى من كوشيا وأعطته لإيفان.

وانطلق الأمير إيفان فى طريقه، فعبر النهر النارى مستخدمًا منديل كوشيا، وسار يبحث عن بيت الساحرة ملكة الرعب، وطال الطريق على الأمير وهو يجد فى سيره، وتملك الجوع منه، واحترق جوفه من العطش، وفجأة شاهد طائرًا بحريًا مع فراخه الصغار، فصاح الأمير إيفان:

ـ فلآكل أحد هذه الفراخ الصغيرة لأسد جوعى.

لكن الطائر قال متوسلاً:

ـ لا تأكل صغارى أيها الأمير إيفان، وسوف أكون عونًا لك فى وقت الشدة.

سار الأمير مواصلاً طريقه فى الغابة حتى رأى خلية للنحل، فتوقف أمامها قائلاً:

ـ فلآخذ بعض العسل وأسد به جوعى.

صاحت ملكة النحل تقول:

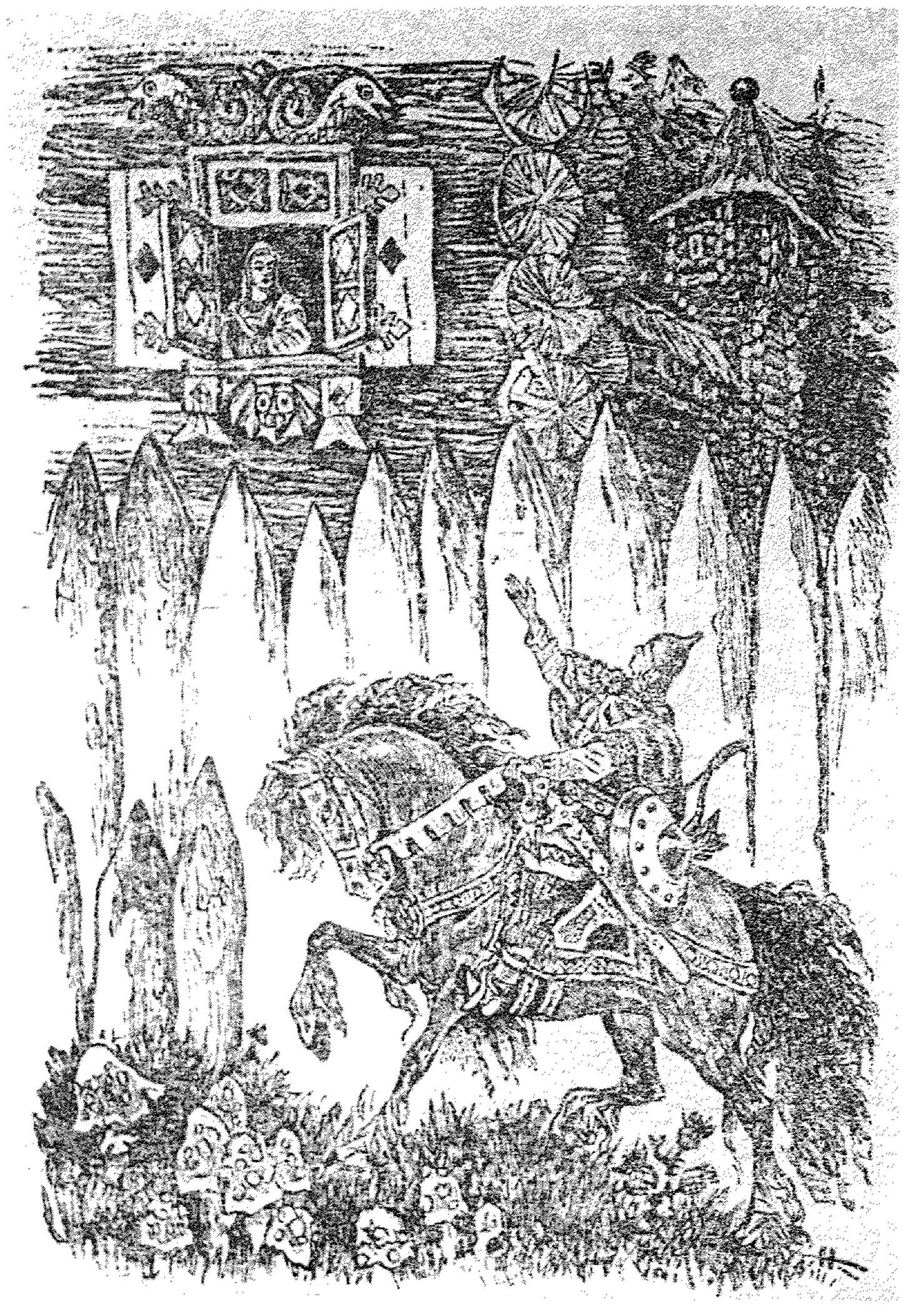

ـ لا تأكل عسلى أيها الأمير إيفان، وسوف أكون عونًا لك فى وقت الشدة.

لم يأكل الأمير من العسل، ومضى فى طريقه حتى شاهد لبؤة مع شبلها الصغير، فقال:

ــ فلآكل هذا الشبل على الأقل، قبل أن يأكل الجوع أحشائى.

لكن اللبؤة توسلت قائلة:

ــ لا تأكل صغيرى أيها الأمير إيفان، وسوف أكون عونًا لك، فى وقت شدتك.

ــ حسنًا، لن آكل صغيرك أيتها اللبؤة.

سار الأمير فى طريقه والجوع ينهش أمعاءه، وأخيرًا ظهر أمامه بيت الساحرة، يحيط به سياج من الأسياخ الحديدية عددها اثنى عشر سيخًا، وفوق أحد عشر سيخًا منها رشقت رءوس آدمية، عدا سيخًا واحدًا، صاح الأمير قائلاً:

ــ مرحبًا أيتها الجدة.

ــ مرحبًا بك أيها الأمير إيفان، ماذا أتى بك إلى هنا؟

ــ لقد جئت كى أعمل فى خدمة الفرس المدهش.

ــ على الرحب والسعة أيها الأمير، لكن العمل عندى لا يزيد عن ثلاثة أيام فقط، وليس طوال العام، وإذا نجحت فى القيام برعى قطيعى من الأفراس، فسوف أمنحك الفرس المدهش، أما لو فشلت فى رعيهم فلن ترى رأسك إلا معلقة فوق هذا السيخ الفارغ.

وافق الأمير إيفان على شرط الساحرة؛ فوضعت له العجوز الطعام والشراب، وطلبت منه الشروع فى العمل.

وما إن خرج الأمير بالقطيع إلى المرعى، حتى تفرقت الأفراس تركض متفرقة فى شتى الاتجاهات؛ فلم يستطع الأمير أن يجمعهم، أو حتى يلحق بواحد منهم.

جلس الأمير حزينًا فوق إحدى الصخور، وأخذ يبكى بمرارة، ثم راح فى نوم عميق.

أشرفت الشمس على المغيب، عندما حلق إليه الطائر البحرى يوقظه من نومه، وقال له:

ــ هيا انهض أيها الأمير من نومك، فإن القطيع بكامله قد صار بالبيت.

عاد الأمير إيفان إلى بيت الساحرة، وكانت العجوز فى هذا الوقت تصرخ فى قطيع الأفراس فى غيظ، وتقول:

ــ ما الذى أتى بكم إلى البيت ثانية؟

ــ لقد حلقت من فوقنا أسراب هائلة من الطيور، كادت تنتزع عيوننا بمناقيرها، وأرغمتنا على العودة، ولم تترك لنا مهربًا آخر.

ــ إذن عليكم فى الغد ألا تتفرقوا فى الوديان، بل اهربوا فى دروب الغابة وأحراشها.

وقضى الأمير إيفان ليلته فى بيت الساحرة ملكة الرعب، وفى الصباح قالت له:

ــ حذار أيها الأمير أن تفقد أثناء الرعى ولو فرسًا واحدًا، عندئذ سوف تفقد معها رأسك، وأغرسه فوق السيخ الفارغ.

خرج الأمير بالقطيع إلى المرعى، وفى لمح البصر تفرقت الأفراس هاربة فى دروب الغابة وأحراشها.

وجلس الأمير ثانية على الصخر، ومضى فى البكاء يذرف الدموع، ثم راح فى سبات عميق.

وبدأت الشمس فى المغيب خلف الغابة.

وظهرت اللبؤة تركض أمام الأمير وهى تنادى عليه:

ــ هيا انهض أيها الأمير إيفان، فإن القطيع بالكامل قد تم جمعه.

نهض الأمير إيفان وذهب إلى البيت، وكانت الساحرة تصرخ بوجه القطيع وهى فى سورة من الغضب:

ــ لماذا عدتم إلى البيت؟

ــ لقد حاصرتنا الوحوش المفترسة فى الغابة من كل جانب، وكادت تفتك بنا؛ فلم يكن لنا مفر من العودة.

ــ فى الغد إذن، عليكم الهروب إلى البحر الأزرق.

وللمرة الثانية قضى الأمير ليلته فى بيت الساحرة، وفى الصباح أرسلته ليرعى القطيع قائلة له:

ــ لو فشلت فى رعى القطيع، فسوف تتدلى رأسك من فوق السيخ الفارغ.

وما إن وصل الأمير بالقطيع إلى المرعى، حتى ركضوا جميعًا يسابقون الريح، واختفوا فى عرض البحر بلا أثر لهم، فجلس الأمير إيفان مهمومًا على الصخر، وصار يبكى حتى راح فى النوم.

وعندما اصفر قرص الشمس، وبدأت فى الهبوط خلف الغابة، حلقت ملكة النحل أمام الأمير توقظه، وقالت له:

ــ انهض أيها الأمير من نومك، فقد عاد القطيع بالكامل إلى البيت، وعندما تذهب إلى هناك لا تظهر نفسك أمام الساحرة ملكة الرعب، بل اختبئ فى

الإسطبل خلف المعالف، وهناك سوف تجد الفرس المدهش، فامتطِ صهوته عندما ينتصف الليل، وارحل به من البيت فى طريق العودة.

ذهب الأمير إيفان إلى الإسطبل، واختبأ خلف المعالف، بينما ارتفع صوت الساحرة تصرخ فى القطيع:

ــ لماذا عدتم إلى البيت؟

ــ لقد حلقت فوقنا أسراب هائلة من النحل، وصارت تلدغ أجسامنا بإبرها فى جميع الأنحاء، ودفعتنا إلى العودة للبيت.

وعندما راحت الساحرة فى النوم، تسلل الأمير فى منتصف الليل نحو الفرس المدهش، ووضع عليه اللجام والسرج، وانطلق به كالريح حتى وصل إلى النهر النارى، فأخرج المنديل السحرى، ولوَّح به فى الناحية اليمنى ثلاث مرات، وظهر من حيث لا ندرى جسر طويل امتد عاليًا فوق النهر.

سار الأمير فوق الجسر حتى عبر النهر، ثم لوَّح بالمنديل مرتين فى الناحية اليسرى، فأخذ الجسر يضيق حتى أصبح كشريط نحيل.

وفى الصباح استيقظت الساحرة من نومها، فلم تَرَ أثرًا لفرسها المدهش، وفى اللحظة نفسها انطلقت فى أثر الأمير بأقصى سرعتها، ومضت تتبع أثره حتى وصلت إلى النهر النارى.

نظرت الساحرة إلى الجسر الرفيع، وفكرت فى نفسها: "إنه جسر جيد، يمكننى العبور فوقه".

وسارت الساحرة ملكة الرعب فوق الجسر، وما إن وصلت إلى منتصفه، حتى انهار بها الجسر النحيل، وهوت الساحرة فى قلب النهر المشتعل؛ فكانت نهايتها المحتومة بعد أن احترقت بناره الملتهبة.

ساق الأمير إيفان فرسه المدهش إلى المرعى الأخضر؛ فالتهم الفرس من العشب حتى شبع، وبعد ذلك أخذ يصهل ممتنًا للأمير.

ثم ذهب الأمير إلى ماريا؛ فانطلقت نحوه متعلقة برقبته، وصارت تعانقه بحرارة وهي تسأله:

ــ كيف نجوت من الموت عند الساحرة؟

ــ إنها حكاية طويلة. هيا بنا نرحل من هنا.

ــ أخشى أن يلحق بنا كوشيا الخالد، ويمزق جسمك ثانية.

ــ لن يمكنه اللحاق بنا في هذه المرة، فقد أصبح لدى الفرس المدهش، الذي يحلق كالسهم مثل الطيور.

وجلس الاثنان فوق الفرس، وانطلقا عليه مثل الريح.

وعاد كوشيا إلى البيت، فسار إليه حصانه يتعثر في مشيته.

ــ هل تترنح من الجوع أيها الحصان؟ أم أن هناك شيئًا يحزنك؟

ــ لقد جاء الأمير إيفان، وأخذ الأميرة ماريا ورحلا معًا.

ــ وهل يمكن اللحاق بهم؟

ــ لا أعتقد هذا، فقد أصبح لدى إيفان الفرس المدهشة، ولا أظن أن بوسعي اللحاق به.

صاح كوشيا بغضب:

ــ وأنا لن أقبل الهزيمة، وسوف أدركه بأية وسيلة.

وانطلق كوشيا بكل قوته يحلق خلف الأمير الهارب، وطالت المطاردة حتى لحق به في النهاية، فأمسك به من رقبته، وأخرج سيفه ليمزق جسمه، وفي

هذه اللحظة اندفع الفرس المدهش نحو كوشيا، ورفسه بحوافره رفسة هائلة فأطاح برأسه، وأجهز الأمير على أنفاسه الباقية.

بعد ذلك جمع الأمير حطبًا وأشعله، ثم وضع فى النار جسم كوشيا حتى صار رمادًا، ونثره إيفان مع الريح فى الهواء.

ثم ركبت الأميرة فرس كوشيا، وامتطى الأمير فرسه المدهش، وذهب الاثنان لزيارة الغراب، ثم النسر، ومن بعده الصقر، وكانوا جميعًا يستقبلونهما بالترحاب والفرح قائلين:

ــ لقد فقدنا الأمل فى رؤيتك ثانية أيها الأمير إيفان بعد كل ما جرى معك، لكن زوجتك الرائعة الأميرة ماريا الملكة العظيمة، تستحق أن تسعى خلفها طوال العمر. فلن تجد فتاة مثلها فى العالم بأسره.

وقضى الأمير مع زوجته بعض الوقت فى ضيافة أصهاره الأوفياء، حيث احتفلوا بهما، وأقاموا لهما الاحتفــالات والأفراح، ثم عــاد الأمير وماريا إلى مملكتهما، وعاشا معًا عمرًا مديدًا فى سعادة وهناء.

البطة العوراء

كان ياما كان، رجل يعيش مع زوجته، وذات مرة خرج الاثنان إلى الغابة لجمع الفطر؛ فوجدا بطة، وكانت البطة عوراء؛ فأخـــذاها، وحملاها معهما إلى البيت، وصنعا لها عُشًا فى حظيرة البيت، وتركاها به.

فى اليوم التالى، خرج الاثنان مرة أخرى إلى الغابة لجمع الفطر.

وما إن غادرا البيت، حتى نزعت البطة ريشها، وتحولت إلى فتاة، وقامت بتنظيف البيت، وجلب الماء، وخبز الفطائر.

عاد الرجل وزوجته إلى البيت وسألا فى دهشة:

ـــ من الذى قام بكل هذه الأعمال؟

رد جارهما قائلاً:

ـــ إنها الفتاة العوراء، هى التى قامت بتنظيف البيت وجلب الماء.

وفى اليوم التالى، خرج الرجل مع زوجته، غير أنهما قاما بالاختباء فى قرار البيت، وشاهدا البطة وهى تنزع ريشها وتتحول إلى فتاة، ثم خرجت لجلب الماء؛ فجمع الرجل ريش البطة، وألقى به فى النار حتى احترق كله.

بعد ذلك عادت الفتاة، وصارت تبكى بحرارة، وطلبت منهما أن يحضرا إليها مغزلاً ذهبيًا، وجلست فى الفناء أمام المغزل تغزل خيوط الكتان، وهنا حلّق سرب من طيور الإوز فى السماء، فنادت الفتاة عليها قائلة:

ــ أيها الإوز العزيز، ألقوا إلىَّ بريشة من أجنحتكم.

لكن الإوز رد قائلاً:

ــ سوف يحلق سرب آخر، ويلقى لك بريشة.

وبعد فترة حلق سرب آخر من الإوز. فنادت الفتاة:

ــ أيها الإوز العزيز، ألقوا إلىَّ بريشة من أجنحتكم.

غير أن الإوز رد قائلاً:

ــ سوف يحلق سرب آخر، ويلقى لك بريشة.

وهنا طارت إوزة وحيدة فوق الفتاة، وألقت بريشة إلى الفتاة. فتحولت الفتاة إلى بطة مرة أخرى، وطارت محلقة فى السماء.

بكى الرجل وزوجته حزنًا على فراق البطة، لكن دموعهما لم تغير من الأمر شيئًا.

البطة البيضاء

فى إحدى الممالك البعيدة، تزوج الأمير من أميرة حسناء. لم تهنأ الأميرة بعد بزواجها من الأمير، ولم تشبع عينيها من النظر إليه، ولم تستمتع بحلو حديثه لها، حتى أخبرها بضرورة رحيله عنها، والسفر إلى أرض بعيدة، واضطر الأمير أن يترك زوجته الأميرة بمفردها.

بكت الأميرة كثيرًا لفراق زوجها، وجلس الأمير معها قبل رحيله، يسدى إليها النصح والإرشادات؛ وطلب منها ألا تغادر القصر، وألا تحادث الغرباء أو تصغى لكلامهم؛ فوعدته الأميرة أن تلتزم بنصحه وتنفذ تعليماته حتى يعود.

رحل الأمير فى سفره، ومكثت الأميرة فى جناحها لا تغادره.

مر وقت طال زمنه أو قصر على سفر الأمير، وفى أحد الأيام جاءت إليها امرأة بدت عليها سمات الطيبة والسماحة، وقالت لها:

ــ لا بد أنكِ تجلسين فى وحشة وضجر أيتها الأميرة. لِم لا تخرجين للتريض فى الهواء العليل، ولو حتى فى بستان القصر؟ سوف يخفف ذلك من شعورك بالوحدة والملل.

لكن الأميرة رفضت الخروج من جناحها، وظلت المرأة تلح عليها، حتى فكرت الأميرة فى النهاية:

"إن جولة قصيرة فى البستان لن تضير".

وخرجت مع المرأة إلى بستان القصر.

وكانت بالحديقة بركة من المياه الصافية البللورية؛ فقالت المرأة للأميرة:

ــ إن القيظ شديد، وحرارة الشمس تخنق الأنفاس، والمياه فى البركة أمامك باردة صافية؛ فلماذا لا ترطبين جسمك وتستحمين فيها؟

ــ لا، لا يمكننى الاستحمام.

قالت الأميرة قولها وهى تفكر فى نفسها:

"وما العيب فى الاستحمام والقيظ شديد؟".

ثم خلعت الأميرة ملابسها، وألقت بنفسها فى مياه البركة، وما إن لمس جسمها الماء، حتى ضربتها المرأة بيدها على ظهرها وهى تلقى بتعويذتها:

ــ اسبحى فى الماء للأبد أيتها البطة البيضاء.

وتحولت الأميرة على الفور إلى بطة بيضاء تسبح فى البركة، فقد كانت المرأة فى حقيقتها ساحرة بغيضة شريرة.

بعد ذلك، قامت الساحرة بارتداء ملابس الأميرة، وتمثلت صورتها، ثم جلست فى جناحها بالقصر تنتظر عودة الأمير من رحلته.

وفى أحد الأيام، سمعت الساحرة صوت نباح الكلاب، ورنين الأجراس، فأسرعت إلى باب القصر تستقبل الأمير العائد بالأحضان والقبلات، وفرح الأمير باستقبال زوجته، وعانقها بذراعيه دون أن يتعرف على حقيقتها.

أما البطة البيضاء فمضت تعيش فى مياه البركة، ووضعت ثلاث بيضات، ثم أفرخت البيضات، وخرجت منها ثلاثة صغار، اثنان منهم ممتلئان، لكنهما غاية فى التهور والحماقة، والثالث هزيل الجسم، لكنه آية فى الذكاء والمهارة.

قامت البطة برعاية صغارها حتى كبروا، وصاروا يلتقطون بمناقيرهم الأسماك من الماء، ويجمعون المزق وأوراق الشجر الطافية، وكانت البطة الأم لا تكف عن تحذيرهم من الخروج إلى شاطئ البركة، والركض فوق أعشاب البستان، فتقول لهم:

ــ لا تذهبوا إلى هناك يا أولادى.

لكن الصغار لم يستمعوا إلى نصيحة الأم، وأصبحوا اليوم يخرجون إلى الشاطئ، وفى الغد ساروا على العشب فى البستان، وبعد ذلك ذهبوا إلى فناء قصر الأمير.

وعندما رأتهم الساحرة تعرفت عليهم فى الحال، وأدركت أنهم صغار البطة البيضاء، فصكت أسنانها من الغضب، ونادت عليهم حتى جاءوا إليها، ووضعت لهم الطعام والماء، وفرشت لهم ركنًا لينامو به، ثم أسرعت بإشعال نار الفرن، وأمرت بوضع القدور فيه، وشحذ السكاكين الكبيرة النصال.

راح الصغيران الممتلئان المتهوران فى النوم، أما الصغير الهزيل فلم يغمض له جفن، وظل متيقظًا. يرى كل شىء، ويسمع ما يجرى حوله.

وفى الليل، وقفت الساحرة خلف الباب تنادى:

ــ هل نمتم أيها الصغار أو لا؟

رد الصغير الهزيل قائلاً:

ــ نحن لم ننم بعد، فإننا نخاف أن يقوموا بذبحنا، بعد أن شاهدنا الماء يغلى فى القدور، والسكاكين أنصالها تشحذ.

فقالت الساحرة:

ــ ناموا ولا تخشوا شيئًا.

ورحلت الساحرة، ثم عادت ثانية بعد فترة، ووقفت تنادى خلف الباب:

ــ هل نمتم أيها الصغار أو أنكم مازلتم مستيقظين بعد؟

أجاب الهزيل ثانية يقول:

ــ نحن لم ننم بعد، فإننا نخاف أن يقوموا بذبحنا، بعد أن شاهدنا الماء يغلى فى القدور، والسكاكين أنصالها تشحذ.

فكرت الساحرة:

"هل لكم جميعًا صوت واحد أيها الصغار؟".

وفتحت الساحرة الباب بحذر، وصارت تتطلع إلى الداخل؛ فرأت الصغيرين نائمين فى سبات عميق، فحملت الثلاثة إلى مصيرهم المحتوم، وقتلتهم على الفور.

فى الصباح التالى، أخذت البطة البيضاء تنادى على صغارها، إلا أنهم لم يلبوا ندائها، فخفقت البطة بجناحيها، وطارت مسرعة إلى فناء القصر.

وفى الفناء، رقد الصغار متجاورين ميتين بلا حراك، بلونهم الأبيض مثل لون المنديل، وجسمهم البارد مثل الماء فى الشتاء.

ارتمت البطة على صغارها، وفردت جناحيها فوقهم، وأخذت تردد بصوت شجى حنون:

ــ يا لوعتى على الصغار

حزنى يفيض كالأنهار

أطعمتكم بالمنقار

وسقيتكم بدمعى الحار

يا لوعتى على الصغار

قال الأمير:

ــ هل تسمعين حديث البطة يا زوجتى؟ إنه لشىء مدهش.

ردت الساحرة تقول:

ــ إنك واهم فيما تظن أيها الأمير، هيا اطردوا هذه البطة من هنا.

قام الخدم بطرد البطة. غير أنها ما لبثت أن عادت مرة أخرى، وصارت تردد:

ــ يا لوعتى على الصغار

حزنى يفيض كالأنهار

الساحرة الشريرة قتلتكم

الحية العجوز لدغتكم

خطفت منكم والدكم القريب

وأخذت منى زوجى الحبيب

فى مياه البركة أغرقتنا

وإلى بط أبيض حولتنا

ومن القلوب انتزعت بهجتنا

سمع الأمير حديث البطة البيضاء، وفكر فى نفسه: "هكذا هو الأمر إذن"، ثم صاح آمرًا:

ــ أحضروا لى هذه البطة فى الحال.

أسرع الجميع نحو البطة يحاولون الإمساك بها بلا جدوى، وطارت البطة حتى حطت فوق يد الأمير، فأمسك بها من جناحها، وقال تعويذته:

ــ فلتقفى خلفى أيتها الشجرة العالية، ولتصبحى أمامى أيتها الأميرة الغالية.

على الفور ظهرت خلف الأمير الشجرة العالية، وتحولت البطة إلى الأميرة الغالية، ووقفت أمامه، وتعرف الأمير إلى زوجته الأميرة.

ثم أمسك الأتباع بطائر العقعق، وربطوا بجناحيه جرابين، وأمروه أن يملأ أحد الجرابين بماء الحياة، والآخر بماء الكلام. وحلّق الطائر فى السماء، وبعد فترة عاد حاملاً المياه؛ فنثروا ماء الحياة فوق الصغار، وسرعان ما دبّت فيهم الحياة، وتحولوا

إلى أطفال آدميين رائعى الجمال، ثم نثروا عليهم ماء الكلام، فصاروا يتحدثون بلغة الناس.

وأصبح للأمير أسرة كاملة، وعاش الجميع فى سعادة وهناء، ونسوا الأحزان والهموم.

أما الساحرة البغيضة، فقاموا بربطها إلى ذيل حصان، وجعلوه يسحلها فى الحقول الواسعة، فتمزق جسمها إلى أشلاء متناثرة، وحلقت الجوارح والنسور فوق أشلاء الساحرة؛ فنهشت اللحم من على العظام، وذرت الرياح عظامها الباقية فى كل الأرجاء، ولم يبق من الساحرة أثرًا ولا ذكرى.

التفاح السحرى وماء الحياة

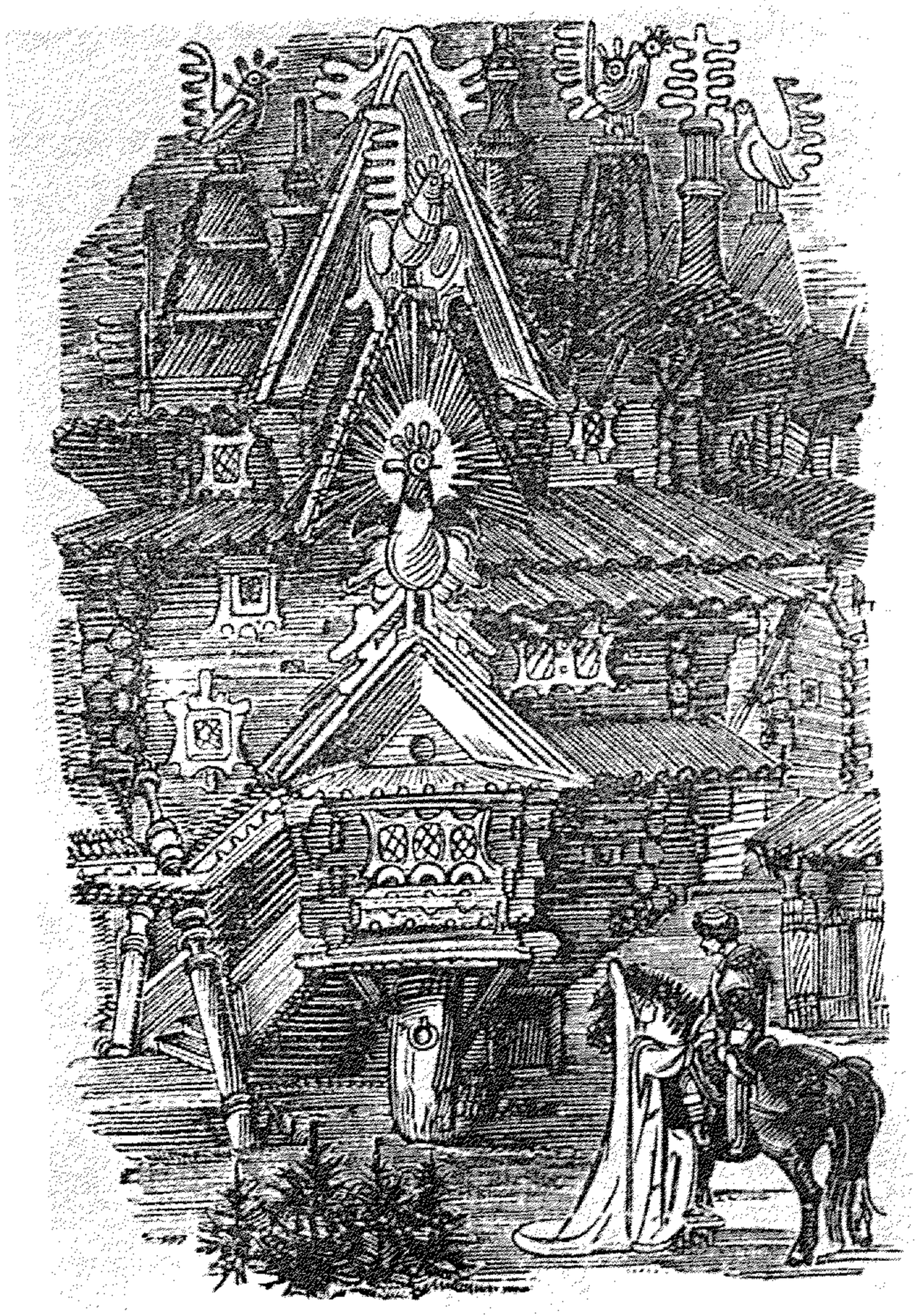

كان ياما كان، فى إحدى الممالك البعيدة، ملك عجوز له من الأبناء ثلاثة: أكبرهم يدعى فيدور، والأوسط فاسيلى، والأصغر إيفان.

أصاب الملك الهرم والعجز؛ فهزل بدنه وعمى نظره، وسمع الملك أن هناك فيما وراء البلاد بستانًا به شجرة تثمر تفاحًا سحريًا، وبئرًا به ماء الحياة. لو أكل العجوز من التفاح يعود إليه الشباب، ولو غسل الأعمى عينيه بالماء يبصر على الفور.

أقام الملك وليمة كبيرة، ودعا إليها كل الأمراء والسادة من أرجاء البلاد، ثم قال لهم:

ــ أيها السادة والفرسان، من منكم له شجاعة المختار، وجرأة الصياد، يستطيع الذهاب إلى ما وراء البلاد، وإحضار ثمار التفاح السحرى، وماء الحياة فى إبريق فخارى، له منى نصف مملكتى.

وهنا أخذ الحضور يتوارون واحدًا بعد الآخر، ولم يلبِّ أحد منهم طلب الملك.

ثم وقف الأمير فيدور، وقال:

ــ نحن لا نريد أن نقتسم مملكتنا مع أحد من الناس؛ لذلك سوف أرحل بنفسى إلى بلاد ما وراء البحار، وأجلب لك التفاح المسحور وماء الحياة.

وذهب الأمير فيدور إلى إسطبل القصر، وانتقى منه أفضل الأفراس، ثم وضع عليه الزاد والماء، وانطلق فى طريقه البعيد.

مضى الأمير طويلا يقطع الحقول والدروب، ويعبر الجبال والتلال العالية، ومرت الأيام لم يحص عددها، حتى وصل إلى مفترق لثلاثة طرق، وعلى مقربة منه رأى لوحة من الحجر نقش عليها:

"لو سرت إلى اليمين، سوف تفقد حصانك وتنجو بحالك، ولو سرت إلى اليسار، فسوف تفقد حالك، وتنجو بحصانك، أما لو سرت للأمام فسوف تعثر لنفسك على زوجة، وتودع حياة العزاب".

فكر فيدور لبعض الوقت، ثم قال لنفسه: "فلأمضى فى الطريق الذى أحصل منه على زوجة لى".

سار الأمير فى الطريق الذى يمنحه الزوجة، وظل يسير ويسير حتى وصل إلى بيت له سقف من الذهب، وهنا، خرجت من البيت فتاة رائعة الحسن والجمال، وقالت له:

ــ اسمح لى يا ابن الملك أن أساعدك فى الترجل من على فرسك، وأصحبك لتأكل بعض الخبز والملح، وأضعك بعد ذلك فى فراش وثير.

ــ لا أيتها الفتاة الجميلة، فلا أريد خبزًا ولا ملحًا، ولن يقرّب النوم من طريقى البعيد، فليس بوسعى سوى المضى قُدمًا.

ــ لا تتعجل فى الرحيل يا ابن الملك، وافعل ما يمليه عليه الطريق.

وقامت الفتاة بمساعدة الأمير فى الترجل من فوق فرسه، وقادته إلى البيت، ثم وضعت له الطعام والشراب، فأكل حتى شبع، وشرب حتى ارتوى، وبعد ذلك وضعته فى الفراش.

ما إن رقد الأمير فى الفراش، وأدار وجهه إلى الحائط، حتى ضربت الفتاة بيدها الفراش، فطار محلقًا بالأمير فوق الوديان والحقول، وهبط به فى جُبٍّ عميق.

ومر زمن طال أم قصر، وأقام الملك حفلاً ثانيًا، ودعا إليه الأمراء والسادة، وهتف بينهم قائلاً:

ـــ أيها السادة والفرسان، من منكم له شجاعة المختار، وجرأة الصياد، يستطيع الذهاب إلى ما وراء البلاد، وإحضار ثمار التفاح السحرى، وماء الحياة فى إبريق فخارى، له منى نصف مملكتى.

ومرة أخرى، أخذ الحضور يتوارون واحدًا بعد الآخر، ولم يلبِ أحد منهم طلب الملك.

ثم وقف الأمير فاسيلى، وقال:

ـــ نحن لا نريد أن نقتسم مملكتنا مع الغرباء من الناس؛ لذلك سوف أرحل بنفسى إلى بلاد ما وراء البحار، وأجلب لك كل ما تريد.

وذهب الأمير فاسيلى إلى إسطبل القصر، وانتقى منه فرسًا شهباء، ثم وضع عليها الزاد والماء، وانطلق فى طريقه البعيد.

سار الأمير طويلاً يقطع الحقول والدروب، ويعبر الجبال والتلال العالية، حتى وصل إلى مفترق لثلاثة طرق، وعلى مقربة منه رأى لوحة من الحجر نقش عليها:

"لو سرت إلى اليمين، فسوف تفقد حصانك وتنجو بحالك، ولو سرت إلى اليسار، فسوف تفقد حالك، وتنجو بحصانك، أما لو سرت للأمام فسوف تعثر لنفسك على زوجة، وتودع حياة العزاب".

فكر فاسيلى لبعض الوقت، ثم مضى فى الطريق الذى يمنحه الزوجة.

وسار الأمير حتى وصل إلى البيت ذى السقف الذهبى، وخرجت إليه من البيت الفتاة الحسناء، وعرضت عليه الذهاب معها لتناول الطعام والشراب، والنوم للراحة من الطريق. وعندما رفض الأمير قالت له الفتاة:

ـــ لا تتعجل فى الرحيل يا ابن الملك، وافعل ما يمليه عليك الطريق.

وقامت الفتاة بمساعدة الأمير فى الترجل من فوق فرسه، وقادته إلى البيت، ثم وضعت له الطعام والشراب، وبعد ذلك وضعته فى الفراش.

ما إن رقد الأمير وأدار وجهه إلى الحائط، حتى ضربت الفتاة بيدها الفراش مرة أخرى، فطار محلقا بالأمير فاسيلى فوق الوديان والحقول، وهبط به فى الجب العميق. عندئذ صدر صوت يقول:

ــ من الذى هبط هنا؟

ــ الأمير فاسيلى؟ ومن الذى سبقنى إلى هنا؟

ــ الأمير فيدور.

ــ إذن، فقد ضعنا معًا أيها الأخ.

ومر زمن طال أم قصر، وأقام الملك حفلاً ثالثا، ودعا إليه الأمراء والسادة وصاح بينهم قائلاً:

ــ أيها السادة والفرسان، من منكم له شجاعة المختار، وجرأة الصياد، يستطيع الذهاب إلى ما وراء البلاد، وإحضار ثمار التفاح السحرى، وماء الحياة فى إبريق فخارى، له منى نصف مملكتى.

وكما حدث فى المرات السابقة، أخذ الحضور يتوارون واحدًا بعد الآخر، ولم يلبِ أحد منهم طلب الملك.

ثم نهض الأمير إيفان واقفًا، وقال:

ــ امنحنى مباركتك أيها الوالد، وسوف أرحل على وجه السرعة بعقل راجح وخطو جامح، إلى ما وراء البلاد؛ لأبحث هناك عن التفاح السحرى وماء الحياة، وأفتش أيضًا عن شقيقىّ الضائعين.

بارك الملك الأمير الصغير، وذهب الأمير إيفان إلى إسطبل القصر يبحث فيه عن الفرس الجامح ذى العقل الراجح، الذى يصلح لسفره، لكنه لم يعثر على مراده بين الأفراس؛ فما إن ينظر لأحدهم حتى يرتجف بدنه، وما إن يلمس الآخر بيده حتى يوشك على الوقوع.

وسار الأمير حزينًا شاردًا، حتى صادف امرأة عجوز تعمل بالقصر. قالت له العجوز:

ــ مرحبًا أيها الأمير إيفان، ما لك تسير حزينًا شاردًا؟

ــ إننى حزين أيتها الجدة؛ لأننى لم أعثر على فرس جامح ذى عقل راجح لسفرى.

ــ ليتك سألتنى من قبل أيها الأمير. إن الفرس المطلوب الذى تريده يقف مكبلاً بالسلاسل الحديدية فى قبو القصر، فلو أمكنك ترويضه وركوبه، تكون قد نلت مرادك.

ذهب إيفان إلى القبو، وفتح بابه الحديدى المغلق، ثم دلف إلى الداخل حيث يقف الفرس الجامح، فصهل الفرس بصوتٍ عالٍ لدى رؤية الأمير، ووضع قائميه الأماميين على كتف إيفان، فظل الأمير واقفًا فى سكون لا يتحرك من مكانه. بعد ذلك، قفز الفرس قفزة عالية فى الهواء، وقطع السلاسل الحديدية التى تربطه، ثم ركض خارجًا من القبو والأمير خلفه. وضع الأمير اللجام والسرج فوق الفرس الذى استسلم له، وامتطى الأمير صهوته، ومضى به إلى الطريق البعيد.

أخذ الأمير يقطع الدروب والسهول المترامية بلا توقف ولا راحة، حتى وصل أخيرًا إلى مفترق الطرق الثلاثة، وشاهد اللوحة الحجرية المنقوش عليها الكلمات، فصار يقرأها مفكرًا:

" لو سرت إلى اليمين، فسوف تفقد حصانك وتنجو بحالك. كيف يمكننى مواصلة السير بلا حصان؟ ولو سرت للأمام فسوف تعثر لنفسك على زوجة، لكننى لم أخرج لهذا الغرض. أما لو سرت إلى اليسار، فسوف تفقد حالك، وتنجو بحصانك. إن هذا الطريق هو أفضل الطرق المناسبة لى".

وانطلق الأمير إلى الطريق الذى ينجو فيه بحصانه ويفقد حاله، وأخذ يقطع الحقول الخضراء والوديان الواسعة، ويعبر التلال والجبال الصخرية، ومضى عليه وقت طويل يصل الليل بالنهار، بلا راحة ولا نوم، حتى وصل إلى كوخ ذى نافذة واحدة يدور على قوائمه. فصاح الأمير قائلا:

ــ أيها الكوخ، استدر بظهرك إلى الغابة، واجعل واجهتك أمامى، فإننى أريد الدخول إليك.

استدار الكوخ بظهره للغابة كما طلب منه الأمير إيفان، وجعل واجهته تقف أمامه؛ فدلف الأمير إلى داخل الكوخ، ونظر فشاهد الساحرة ملكة الرعب تغزل الحرير أمام المغزل، وقدماها النحيلتان تتدليان على الأرض، وما إن رأت الساحرة الأمير، حتى هتفت تقول:

ــ فو فو، لم أرَ من قبل مخلوقا روسيًا، ولم أسمع من قبل صوتًا روسيًا، وها هو الروسى قد أتى إلىَّ بنفسه؛ فهيا أخبرنى عن سبب حضورك.

رد الأمير إيفان قائلا:

ــ يا ملكة الرعب، يا صاحبة الساقين النحيلتين، قبل أن تسألي الغريب عابر السبيل عن سبب حضوره، عليكِ أن تطعميه وتسقيه، وتضعيه فى الفراش ليرتاح من عناء الطريق، وبعد أن أشبع جوعى، وأحصل على نومى، سوف أحكى لكِ حكايتى من الألف إلى الياء.

فعلت الساحرة ما طلبه منها الأمير، فقامت بحمل الطعام والشراب إليه، ثم وضعته فى فراش مريح، وصارت تسأله:

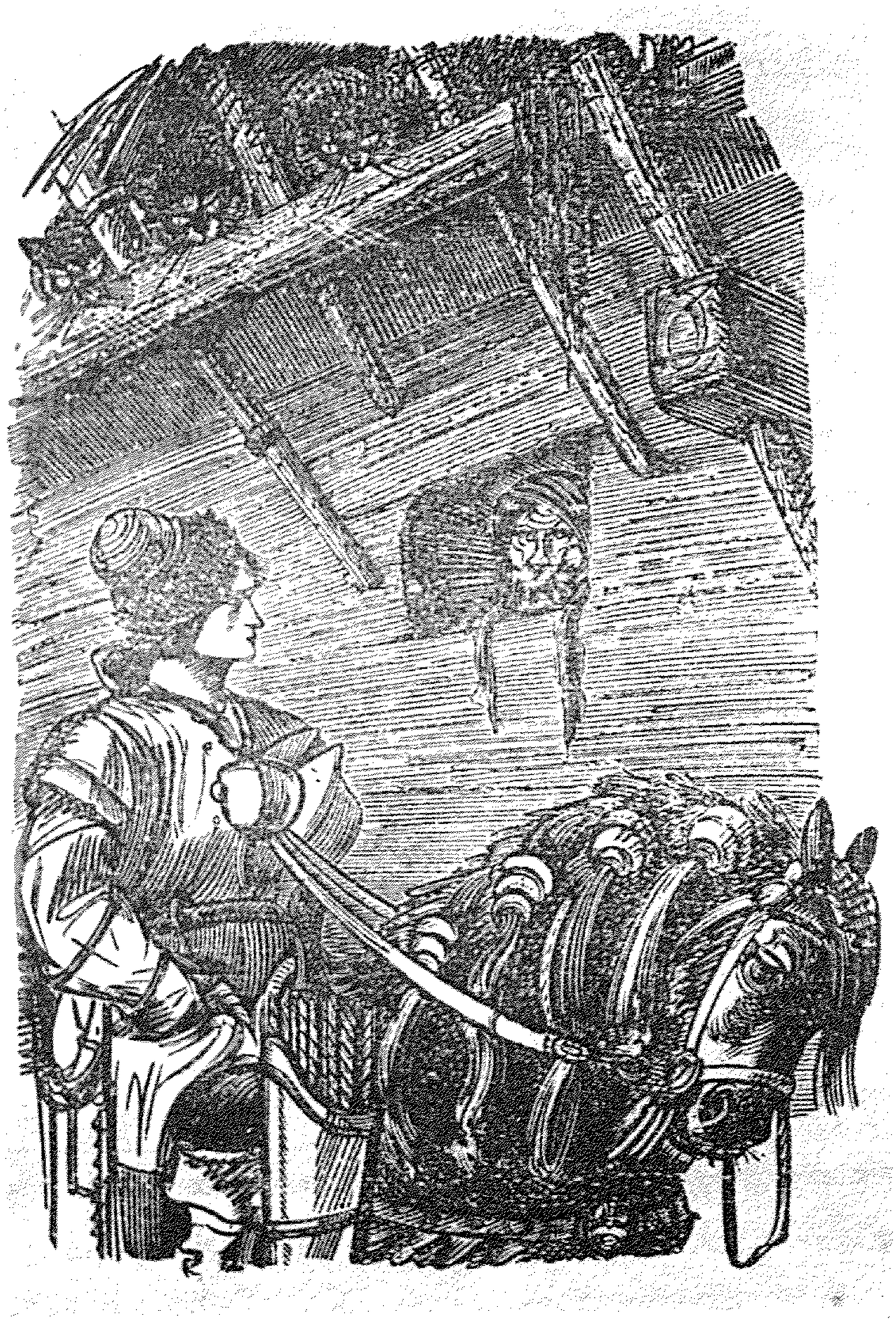

ـ من أنت أيها العابر الطيب؟ ومن أى أرض أتيت؟ وإلى أين أنت ذاهب؟ ومن يكون أبوك وأمك؟

ـ إننى أيتها الجدة من المملكة الفلانية فى البلاد الفلانية، وأنا الأمير إيفان ابن ملك تلك البلاد، وأسير قاصدًا ما وراء البلاد والبحار، ساعيًا للحصول على التفاح السحرى وماء الحياة.

ـ إن مقصدك هذا بعيد المنال يا ولدى العزيز؛ فالتفاح السحرى وماء الحياة لدى فتاة زرقاء العينين شديدة المراس، وأنا أعرفها جيدًا لأنها من قريباتى. فلا تنتظر خيرًا منها.

ـ أعطنى نصحك وحكمتك أسترشد بهما أيتها الجدة.

ـ سوف أساعدك أيها الأمير لحلاوة لسانك قبل كلامك؛ فخذ فرسى واركبه لأنه سريع كالريح، واذهب به إلى شقيقتى الوسطى، وسوف تقدم العون لك.

نهض الأمير إيفان من نومه فى الصباح الباكر، واغتسل بالماء حتى انتعش، وشكر الساحرة على ضيافتها، ثم انطلق راكبًا فرسها إلى الطريق.

وفجأة صاح الأمير فى الفرس:

ـ قف أيها الفرس، فقد سقط قفازى من يدى.

واجاب الفرس قائلاً:

ـ لقد قطعت مائتى كيلومتر منذ سقط قفازك، ولن أعود حتى لا نضيع الوقت.

وانطلق الفرس كالسهم بالأمير، وصار ينهب الطرقات والغابات ليل نهار، حتى وصل أخيرًا إلى كوخ ذى نافذة واحدة يدور حول قوائمه. فهتف به الأمير إيفان:

ــ أيها الكوخ، استدر بظهرك إلى الغابة، واجعل واجهتك أمامى؛ فإننى أريد الدخول إليك.

استدار الكوخ بظهره للغابة كما طلب منه الأمير إيفان، وجعل واجهته تقف أمامه، فدلف الأمير إلى داخل الكوخ.

وفجأة تردد صوت صهيل عال لأحد الأفراس، فأخذ فرس الأمير هو الآخر فى الصهيل وحفر الأرض بحوافره.

فقد كان الفرسان من قطيع واحد.

سمعت العجوز شقيقة الساحرة صهيل الفرسين، فصاحت قائلة:

ــ إننى أسمع صهيل فرس أختى، فلا بد أنها قد جاءت لزيارتى.

خرجت الشقيقة إلى باب الكوخ، وكانت أكثر هرمًا من شقيقتها، وعندما رأت الأمير هتفت تقول:

ــ فو فو، لم أرَ من قبل مخلوقا روسيًا، ولم أسمع من قبل صوتًا روسيًا، وها هو الروسى قد أتى إلىَّ بنفسه؛ فما الذى جاء بك أيها الروسى؟

قال الأمير إيفان:

ــ يا ملكة الرعب، يا صاحبة الساقين النحيلتين، قبل أن تسألي الغريب عابر السبيل عن سبب حضوره، عليكِ أن تأخذى منه فرسه ليرعى ويرتاح، ثم تطعمى العابر وتسقيه، وتضعيه فى الفراش ليرتاح من عناء الطريق، وبعد أن أشبع جوعى، وأحصل على نومى، سوف أحكى لك حكايتى من الألف إلى الياء.

فعلت شقيقة الساحرة الوسطى ما طلبه الأمير؛ فساقت الفرس إلى المعلف، ووضعت له الماء ليشرب، ثم حملت الطعام والشراب إلى الأمير، وبعد أن أكل وارتوى، وضعته بالفراش، وبعد ذلك أخذت تسأله عن هويته وموطنه ومقصده.

ـ لقد جئت أيتها الجدة من المملكة الفلانية فى البلاد الفلانية، وأنا الأمير إيفان ابن ملك تلك البلاد، وأسير قاصدًا ما وراء البلاد والبحار، ساعيًا للحصول على التفاح السحرى وماء الحياة من الفتاة ذات العينين الزرقاوين.

ــ إن ما تسعى إليه عسير المنال يا ولدى العزيز، وعليك التفكير بحكمة وروية فى الوسيلة التى تقودك إلى الفتاة ذات العينين الزرقاوين.

ــ أعطنى نصحك وحكمتك أسترشد بهما أيتها الجدة.

ــ سوف أساعدك أيها الأمير لحلاوة لسانك قبل كلامك؛ فخذ فرسى واركبه لأنه سريع كالريح، واذهب به إلى شقيقتى الصغرى، وسوف تجد لديها الجواب الشافى لسؤالك.

وقضى الأمير إيفان ليلته عند شقيقة الساحرة، ثم نهض من نومه فى الصباح الباكر، واغتسل بالماء حتى انتعش، وشكر الساحرة على كرمها وضيافتها، ثم انطلق راكبًا فرسها إلى الطريق، وكان الفرس أسرع من سابقه؛ فمضى به كالسهم يسابق السحب فى السماء.

وفجأة، صاح الأمير فى الفرس:

ــ قف أيها الفرس، فقد سقط قفازى من يدى.

لكن الفرس رد قائلاً:

ــ لقد قطعت ثلاثمائة كيلومتر منذ سقط قفازك، ولن أعود حتى لا نضيع الوقت.

وانطلق الفرس ينهب الطرقات بالأمير بلا راحة ولا وقوف، ويصل الليل بالنهار، حتى وصل أخيرًا إلى كوخ ذى نافذة واحدة يدور حول قوائمه، فهتف به الأمير إيفان:

ــ أيها الكوخ، استدر بظهرك إلى الغابة، واجعل واجهتك أمامى، فإننى أريد الدخول إليك، وقضاء ليلتى بداخلك.

وفجأة تردد صوت صهيل لأحد الأفراس، وصار فرس الأمير يصهل من تحته هو الآخر، فخرجت الشقيقة الصغرى للساحرة، وكانت أكثر عجزًا من شقيقتيها الأخريين، ونظرت فرأت فرس شقيقتها الوسطى، وعلى صهوته يجلس فتى غريب وسيم الطلعة.

ترجل الأمير من على فرسه، وانحنى باحترام للشقيقة العجوز، ورجاها أن تسمح له بقضاء ليلته ببيتها، وطلب منها أن تطعمه وتسقيه، وأن تضعه بالفراش ليرتاح قبل أن تسأله عن أحواله.

وفعلت الشقيقة العجوز كل ما طلبه الأمير، ثم صارت تسأله عن هويته وموطنه ومقصده.

ــ لقد حضرت أيتها الجدة قادمًا من المملكة الفلانية فى البلاد الفلانية، وأنا الأمير إيفان ابن ملك تلك البلاد، وقد عرجت فى طريقى إلى بيت شقيقتك الكبرى، فأرسلتنى إلى بيت الشقيقة الوسطى، والتى بدورها بعثت بى إليك، وذلك كى أطلب منكِ النصح والمشورة، وأستعين بحكمتكِ للحصول على التفاح السحرى وماء الحياة من الفتاة ذات العينين الزرقاوين.

ــ سوف أقدم لك العون أيها الأمير إيفان، فإن الفتاة ذات العينين الزرقاوين هى من قريباتى، وهى فتاة شديدة البأس والمراس، وقد أقامت حول قصرها المنيف سورًا عاليًا بارتفاع ثلاثة أمتار، وبعرض متر كامل، ويقف أمام بوابة القصر ثلاثون من الحراس الأشداء، ولن يسمحوا لك بأى حال من الأحوال بعبور البوابة. لذلك عليك أن تسير فى منتصف الليل، وأن تمتطى فرسى الرهوان، وعندما تصل به إلى سور القصر، عليك أن تضربه بالسوط على جانبيه، عندئذ سوف يقفز بك الفرس من فوق السور، فاربطه بعد ذلك، وسر إلى البستان،

وهناك سوف ترى شجرة التفاح السحرى، وبالقرب منها بئر ماء الحياة؛ فاقطف من الشجرة ثلاث تفاحات فقط، واملأ الإبريق من البئر بالماء. فى هذا الوقت تكون الفتاة ذات العينين الزرقاوين غارقة فى النوم، فلا تدخل إليها، بل عد إلى فرسك المربوط واركبه ثانية، ثم اضربه بالسوط على جانبيه، وسوف يقفز بك من فوق السور إلى خارج القصر.

لم يقض الأمير إيفان ليلته عند الشقيقة الصغرى، بل امتطى على الفور الفرس الرهوان، وانطلق تحت جنح الليل فى طريقه نحو القصر، وطار به الفرس فوق الأنهار والبحيرات، وعبر به الجبال والتلال وهو يسابق الريح والسحاب.

ومر زمن قصر أم طال، حتى وصل الأمير فى منتصف الليل إلى السور العالى لقصر الفتاة ذات العينين الزرقاوين. كان هناك ثلاثون من الحراس الأشداء ينامون عند بوابة القصر، فأخذ الأمير يضرب جانبى الفرس بالسوط؛ فانتفض الفرس وقفز قفزة هائلة من فوق السور، ومضى الأمير إلى البستان المحيط بالقصر، وسار به حتى شاهد شجرة التفاح، تتلألأ على أغصانها ثمار التفاح المسحور، تحيط بها أوراق فضية، ورأى بئرًا للماء أسفل الشجرة؛ فقطف الأمير إيفان ثلاث تفاحات لا أكثر ولا أقل، ثم ملأ الإبريق بماء الحياة من البئر، ودفعه الفضول لرؤية الفتاة الجبارة ذات العينين الزرقاوين.

دلف الأمير إلى حجرة الفتاة، فرأى الفتاة ذات العينين الزرقاوين فى فراشها، وعلى كل جانب من جانبيها ستة أعواد من الحطب. كانت الفتاة تغط فى النوم، وصوت أنفاسها يتردد كصوت مياه النهر الهادرة.

وقف إيفان يتطلع إليها، ثم قام بتقبيلها وخرج من الحجرة، وذهب إلى مكان فرسه وركبه؛ فقال له الفرس بصوت بشرى:

ـ لقد خالفت النصح ايها الأمير إيفان، ودخلت إلى حجرة الفتاة ذات العينين الزرقاوين، ولذلك فلن يمكننى القفز بك من فوق السور.

فصار الأمير إيفان يضرب الفرس بالسوط فى قسوة قائلاً له:

ـ ما هذا الهراء الذى تقوله أيها الجوال المملوء بالعشب؟ هيا اقفز بى من هنا، وإلا فلن تمر الليلة علىَّ بسلام، وأفقد رأسى بسببك.

قفز الفرس قفزة أقل ارتفاعًا من القفزة السابقة، فعبر السور بالكاد ولامسه بحوافره، وفى الحال دقت الأجراس وجلجل صوتها فى الأرجاء.

استيقظت الفتاة ذات العينين الزرقاوين من سباتها، وصرخت تنادى:

ـ انهضوا سريعًا أيها الحراس، فهناك سرقة كبيرة جرت فى القصر.

وأمرت الحراس أن يسرجوا لها فرسًا رهوانًا، وانطلقت خلف الأمير إيفان تطارده، يصاحبها اثنا عشر من الفرسان الأشداء المدججين بالسلاح.

مضى الأمير فى طريقه بأقصى سرعة، والفتاة ذات العينين الزرقاوين من خلفه مع الفرسان تحاول أن تدركه، ووصل الأمير إلى بيت الشقيقة الصغرى للساحرة، فترجل من على فرسه، وامتطى الفرس الآخر، وانطلق مسرعًا مواصلاً سيره، وما إن غادر البيت حتى وصلت الفتاة ذات العينين الزرقاوين، وطرقت الباب تسأل:

ـ ألم يمر من هنا وحش ضال أيتها الجدة؟

ـ لا يا ابنتى العزيزة.

ـ ألم يمر من هنا أحد الفتيان أيتها الجدة؟

ـ لا يا ابنتى العزيزة، هيا اشربى بعض الحليب لتروى عطش الطريق.

ـ أخشى أن تستغرقى وقتًا طويلاً فى حلب بقرتك أيتها الجدة.

ـــ لا يا ابنتى العزيزة، فسوف أحضر لكِ اللبن على وجه السرعة.

وخرجت شقيقة الساحرة لحلب البقرة وهى على مهل شديد، وقدمت الحليب للفتاة ذات العينين الزرقاوين، فشربته وانطلقت تواصل مطاردتها للأمير إيفان.

سرعان ما وصل الأمير إيفان إلى بيت الشقيقة الوسطى للساحرة، فترك فرسه وركب الآخر، ومضى مسرعًا فى طريقه، وما لبثت ذات العينين الزرقاوين أن وصلت إلى البيت. فطرقت الباب تسأل:

ـــ ألم يمر من هنا أحد الوحوش، أو أحد الفتيان أيتها الجدة؟

ـــ لا يا ابنتى العزيزة، هيا ادخلى لأطعمك بعض الفطائر تشبعك من جوع الطريق.

ـــ أخشى أن تستغرقى وقتًا طويلا فى صنع الفطائر أيتها الجدة.

ـــ لا يا ابنتى العزيزة، فسوف أصنعها لكِ على وجه السرعة.

وصارت الشقيقة الوسطى تعجن الفطائر ببطء دون عجلة، ولما انتهت منها أكلتها الفتاة ذات العينين الزرقاوين، ومضت تواصل مطاردتها للأمير إيفان.

سار الأمير فى طريقه حتى وصل إلى بيت الساحرة الكبرى، فنزل من على فرسها، وركب فرسه القديم، وانطلق به مرة أخرى كالسهم فى طريقه، وبعد فترة وجيزة، وصلت الفتاة ذات العينين الزرقاوين إلى البيت، وسألت الساحرة العجوز عن الأمير. فردت الساحرة قائلة:

ـــ لا يا ابنتى العزيزة. هيا ادخلى إلى الحمام لتستحمى وتزيلى من على جسمك غبار الطريق.

ـــ لكن إعداده يستغرق وقتًا طويلا.

ــ لا يا ابنتى، فسوف أعده لك بسرعة كبيرة.

ومضت العجوز تملأ المغطس بالماء فى بطء شديد، وقامت الفتاة بالاستحمام فى الماء، ثم خرجت إلى الطريق تواصل مطاردة الأمير، وأخذ فرسها يقطع الجبال واحدًا بعد الآخر، ويعبر الأنهار والبحيرات كالسهم الطائر، وأوشكت الفتاة أن تدرك الأمير وتلحق بفرسه.

ورأى الأمير أن الفرسان الاثنى عشر وعلى رأسهم ذات العينين الزرقاوين، قد صاروا قاب قوسين أو أدنى منه، فجذب لجام فرسه يهدئ من سرعته، حتى أصبحت الفتاة على مرمى البصر، عندئذ هتفت تصيح قائلة:

ــ أيها اللص، كيف تجرؤ على شرب الماء من بئرى، ثم تتركه بلا غطاء يحميه؟

وأجاب الأمير قائلاً:

ــ ما قولك أن نتبارز معًا ثلاث مرات، كى نعرف من فينا الأقوى؟

ترجل الأمير إيفان والفتاة ذات العينين الزرقاوين من على فرسيهما، وحمل كل منهما هراوة قاسية ورمحًا طويلاً وسيفًا بتّارًا، وأخذ الاثنان يتبارزان فى قتال عنيف، واشتدت بينهما المعركة حتى تحطمت الهراوات، وانكسرت الرماح دون أن يوقع أحدهما الآخر من على فرسه، فقفز الاثنان من فوق الجياد إلى الأرض، وأخذا فى القتال بالسيوف.

طال القتال بينهما، وامتد من الصباح حتى المساء، وفى النهاية استطاعت الفتاة أن تطيح بسيف الأمير إيفان الذى وقع على الأرض، وهجمت عليه ونصل سيفها فوق صدره، واستعدت لتمزيق جسمه .

فصاح الأمير إيفان قائلاً:

ـــ لا تقتليني أيتها الفتاة ذات العينين الزرقاوين، بل ارفعيني من على الأرض، وقبليني فى وجهى قبلتك الساحرة.

نظرت الفتاة ذات العينين الزرقاوين إلى الأمير، ورفعته من على الأرض، ثم قبلته قُبلة طويلة، وأقام الاثنان خيمة فى السهل الأخضر الواسع، وعاشا بها يتجولان ويلهوان فى مرح وسعادة لثلاثة أيام، وتزوج الأمير من الفتاة ذات العينين الزرقاوين، وتبادلا معًا خواتم الزفاف.

قالت الفتاة ذات العينين الزرقاوين:

ـــ سوف أرحل الآن إلى بيتى، وارحل أنت الآخر إلى دارك، ولا تلتفت إلى طريق آخر ولا تغير وجهتك، فسوف ألحق بك بعد مرور ثلاثة أعوام، فانتظرنى فى قصرك هذه المدة.

ثم ركب كل منهما فرسه، ومضى كل فى طريقه، وبعد وقت طال أم قصر، تقول لنا الحكاية إن الأمير إيفان قد وصل بعد ذلك إلى مفترق الطرق الثلاثة الذى مر به من قبل، وفكر الأمير فى نفسه قائلا:

"هل يجوز أن أعود إلى القصر وأترك شقيقىَّ ضائعين بلا خبر عنهما؟".

ولم يأخذ الأمير بنصح الفتاة ذات العينين الزرقاوين، وانطلق فى الطريق الذى يمنح الزوجة، وسار به حتى وصل إلى البيت ذى السقف الذهبى، وهنا أخذ فرس الأمير فى الصهيل بصوت عال، وارتفع فى المكان صهيل فرسىّ شقيقيه بعد أن شعرا به.

دخل الأمير إيفان فناء البيت، وطرق بابه بخاتمه. كانت جميع النوافذ مغلقة، والأبواب موصدة، وخرجت من البيت فتاة رائعة الجمال، وقالت:

— آخ أيها الأمير إيفان· كم طال انتظارى لك· اذهب معى لتأكل بعض الخبز والملح، وأضعك بعد ذلك فى فراش وثير·

ورافقت الفتاة الأمير إلى مائدة الطعام والشراب، وتظاهر الأمير بالأكل وهو يلقى بالطعام خلسة أسفل المائدة، ثم تظاهر بتناول الشراب وهو يصبه أسفل المائدة، ثم ساقته الفتاة الحسناء إلى الفراش، وقالت له:

ـــ هيا اخلد للنوم أيها الأمير إيفان.

لكن الأمير إيفان دفع الفتاة نحو الفراش، فدار الفراش فى الهواء محلقا بهما فوق الوديان والحقول، حتى وصل بهما إلى الجب العميق، فقفز الأمير فوق حافته وهتف مناديًا:

ـــ هل هناك بالحفرة أحد من الأحياء؟

فصدر من الحفرة صوت يقول:

ـــ نعم، هنا الأمير فيدور، والأمير فاسيلى.

وقام الأمير بإخراجهما من الحفرة، وكان الاثنان هزيلين يغطيهما التراب بلون السواد، بعد أن ظلا طويلاً فى الحفرة يأكلان الطين والحشرات، وصبَّ الأمير إيفان عليهما من ماء الحياة، فعادا على الفور إلى هيئتهما القديمة، معافين سليمين.

ثم ركب الأشقاء الجياد، ومضوا معًا فى طريق العودة، وبعد أن ساروا طويلاً فى الطريق قال إيفان لشقيقيه:

ـــ سوف أغفو لبعض الوقت، فاحرسا لى فرسى ريثما أصحو.

ورقد الأمير على العشب، وراح فى نوم عميق.

عندئذ قال الأمير فيدور للأمير فاسيلى:

ـــ سوف نعود معًا بدون التفاح السحرى، ولا ماء الحياة نجر أذيال خيبتنا، وسوف يرسلنا والدنا بعد ذلك لنعمل رعاة للأغنام.

رد الأمير فاسيلى:

ـــ هيا نلقى بإيفان فى الهوة العميقة، ونأخذ أغراضه لأنفسنا، ثم نعطيها لأبينا يدًا بيد.

ونفذ الشقيقان ما فكرا به؛ فانتزعا من جرابه التفاح المسحور، والإبريق المملوء بماء الحياة، ثم حملاه ورميا به فى الجب العميق، وظل إيفان طائرًا فى سقوطه بالجب ثلاثة أيام وثلاث ليال.

ثم وقع إيفان فى قاع الجب، ونظر حوله فلم يرَ أمامه سوى الماء، ومن فوقه السماء الزرقاء، وشاهد شجرة بلوط عتيقة يقبع أسفلها عدد من أفرخ طائر الرخ، والريح تضرب أجسامها.

خلع الأمير إيفان عباءته من فوق جسمه، وغطى بها الفراخ الصغيرة، وجلس بالقرب منها أسفل الشجرة يحتمى بها من الريح.

هدأت الرياح وسكن الجو، وحطَّ طائر الرخ فوق شجرة البلوط، وسأل صغاره:

ــ هل تأذيتم من الرياح العاصفة أيها الصغار؟

ــ لا أيتها الأم، فقد أنقذنا منها الفتى الروسى، وغطانا بعباءته.

عندئذٍ قال الرخ للأمير إيفان:

ــ ماذا أتى بك إلى هنا أيها الفتى الطيب؟

ــ لقد رمانى شقيقاى فى الجب العميق، كى يأخذا التفاح السحرى وماء الحياة.

ــ أنت أنقذت صغارى من الريح العاصفة، فاسألنى ما تريد ألبيه لك على الفور، واطلب ما تشاء من الذهب أو الفضة أو الأحجار الكريمة.

ــ لا أريد شيئًا من الذهب أو الفضة أيها الرخ، بل أريدك أن تساعدنى فى العودة إلى الديار.

رد طائر الرخ قائلاً:

ــ عليك إذن أن تحضر جرابين، وتملأ أحدهما بمائة كيلوجرام من اللحم.

أخذ الأمير إيفان فى اصطياد الإوز والبجع الطائر، حتى جمع منهم مائة كيلوجرام من اللحم، ثم صنع جرابين كبيرين علقهما على جسم الرخ، ووضع اللحم بأحدهما، وجلس هو فى الآخر، وصار يطعم الطائر من اللحم، فطار الرخ محلقا بالأمير فى الفضاء.

ظل الرخ طويلاً يحلق ويطير بينما الأمير يمده بالطعام، وطال تحليق الرخ حتى نفد الطعام من الجراب، وبدأ الطائر فى الهبوط، فأخرج الأمير سكينه، وقطع جزءًا من لحم ساقه، وأعطاه للطائر، فارتفع الرخ ثانية فى الهواء، ومضى الوقت طويلاً والرخ مازال فى طيره، ثم راح يهبط ثانية، فقطع الأمير بسكينه جزءًا من لحم ساقه الثانية، وأعطاه للطائر، فارتفع محلقا من جديد ولم تبق سوى مسافة قصيرة للوصول إلى البيت، لكن الرخ عاد للهبوط، فقطع الأمير جزءًا من صدره وأعطاه للرخ يأكله.

وأخيرًا وصل الرخ بالأمير إلى بلاده، ثم قال له:

ــ لقد أطعمتنى قطع اللحم بصورة جيدة للغاية أيها الفتى، وكان الجزء الأخير من اللحم أفضلها مذاقا.

عندئذ، كشف الأمير إيفان للرخ عن جروحه، فبصق الطائر قطع اللحم الثلاث، وقال:

ــ هيا أعدها إلى أماكنها ثانية.

فوضع الأمير إيفان القطع الثلاث فوق أماكنها، فالتصقت على العظام والتأمت جروحه على الفور.

ــ والآن يمكنك النزول من فوقى أيها الأمير إيفان، وكل منا يذهب إلى داره.

ارتفع طائر الرخ محلقا فى السماء حتى اختفى، ومضى الأمير إيفان فى طريقه نحو البيت.

وصل الأمير إلى العاصمة، وعرف من الناس أن الأمير فيدور والأمير فاسيلى، قد نجحا فى الحصول للملك على التفاح المسحور وعلى ماء الحياة، وأن الملك قد تعافى من مرضه وشيخوخته وأصبح مبصرًا، بعد أن أكل التفاح ورش الماء على عينيه.

لم يذهب الأمير إيفان إلى أبيه وأمه، بل جمع عددًا من السكارى والصعاليك، ومضى يتسكع معهم فى الأزقة والحانات.

فى هذا الوقت كانت الفتاة ذات العينين الزرقاوين فيما وراء البلاد والبحار، قد وضعت ولدين توأمين، وصار الولدان يكبران مع مرور الساعات والأيام، وسرعان ما انقضت الأعوام الثلاثة، فحملت الفتاة ذات العينين الزرقاوين ولديها، وخرجت مع قواتها من الجند والفرسان للبحث عن زوجها الأمير إيفان.

وصلت الفتاة إلى مشارف المملكة، فنصبت خيامها فى الوديان، وجلست هى فى خيمة بيضاء، ومدت الأبسطة المطرزة بالورود على الطريق من الخيام إلى المدينة، ثم أرسلت إلى قصر الملك رسلها، وقالوا له بلسانها:

ــ أيها الملك، ابعث لى على الفور بابنك الأمير، وإن لم تفعل فسوف أحطم مملكتك فوق رأسك، وأحرق بلادك كلها، وآخذك أسيرًا ذليلا.

تملك الخوف والرعب من الملك، فأرسل مسرعًا ابنه الأكبر الأمير فيدور. وسار فيدور فى الطريق المفروش بالأبسطة المزركشة، حتى وصل إلى الخيمة البيضاء، وركض أمامه الولدان الصغيران يصيحان:

ــ هل هذا والدنا يا أماه؟

ـــ لا، إنه ليس والدكما أيها الصغار.

ـــ وبما تأمرينا أن نفعل معه؟

ـــ أريد منكما أن تستقبلاه بالحفاوة والكرم.

وهنا، تعلق الولدان بقدمى فيدور، وصارا يضربانه ويعضانه بأسنانهما، واستطاع فيدور أن يفر منهما بالكاد.

وقامت الفتاة ذات العينين الزرقاوين بإرسال الرسل مرة أخرى إلى الملك، وقالوا له:

ـــ ابعث بالأمير.

خاف الملك أكثر من ذى قبل، وأرسل ابنه الأوسط الأمير فاسيلى، وسار فاسيلى حتى وصل إلى الخيمة البيضاء؛ فخرج إليه الولدان الصغيران يصيحان:

ـــ هل هذا والدنا القادم هناك يا أماه؟

ـــ لا، إنه ليس والدكما أيها الصغار، وأريد منكما أن تستقبلاه بالحفاوة والكرم.

ومرة أخرى انهال الولدان بالضـــرب على فاسيلى، وعضّا قدميه بأسنانهما، واستطاع فاسيلى بالكاد الهروب منهما، فقامت الفتاة ذات العينين الزرقاوين بإرسال الرسل للمرة الثالثة إلى الملك، وقالوا له:

ـــ ابحث عن الأمير إيفان وأرسله، وإن لم تفعل فسوف أهدم مملكتك فوق رأسك، وأحرقها حتى تذر رمادها الرياح.

تملك الفزع والخوف من الملك أكثر من ذى قبل، وأمر ولديه الأمير فيدور والأمير فاسيلى، بالبحث عن شقيقهما إيفان والعثور عليه بأية وسيلة. وهنا خر الشقيقان الغادران على الأرض أمام الملك، وقصّا عليه كل ما جرى، واعترفا

بسرقة التفاح المسحور وماء الحياة من أخيهما أثناء نومه، وبإلقائهما له فى الجب العميق.

سمع الملك اعتراف ابنيه فانهمرت دموعه تسيل على خديه من الحزن والأسى، وفى هذا الوقت كان الأمير إيفان يسير إلى الفتاة ذات العينين الزرقاوين.

وصل إيفان إلى الخيمة البيضاء، فخرج إليه الولدان يركضان أمامه صائحين:

ــ أماه أماه، هناك شاب يسير أمامنا.

عندئذ ردت الفتاة ذات العينين الزرقاوين:

ــ أمسكا بيديه الناعمتين، وسيرا به إلى داخل الخيمة، فإنه والدكما العزيز يا صغيرىّ. وقد عانى الكثير بلا ذنب طوال الأعوام الثلاثة.

وأمسك الولدان بيدى الأمير إيفان، وذهبا به إلى داخل الخيمة البيضاء، فقامت ذات العينين الزرقاوين بصب الماء له، وغسلت وجهه وجسمه، ثم مشطت له شعره، وألبسته ثيابًا جديدة، وبعد ذلك وضعته بالفراش لينام.

وفى اليوم التالى، ذهبت ذات العينين الزرقاوين مع إيفان إلى قصر الملك، وقامت الاحتفالات والأفراح فى أرجاء العالم بمناسبة عودة الأمير وزواجه، أما الأمير فيدور والأمير فاسيلى، فقد خرجا من القصر مكللين بالعار، فراحا يهيمان على وجوههما، لا يجدان مأوى ولا طعامًا لأمثالهما من الغادرين.

وبعد مرور فترة من الزمن، رحل الأمير إيفان مع ذات العينين الزرقاوين إلى مملكة زوجته، وصارا يعيشان فيها معًا فى سعادة وهناء.

وهنا، انتهت الحكاية.

فاسيليسا الحكيمة وملك البحار

فى إحدى الممالك البعيدة، فيما وراء البحار، كان هناك ملك يعيش مع زوجته الملكة، ولم يرزق الملك من زوجته بأبناء ولا بنات، وذات مرة رحل الملك إلى بلاد غريبة فى أقصى العالم، وطال سفره كثيرًا، وفى أثناء غيبته عن بيته، وضعت زوجته الملكة ابنًا أسمته الأمير إيفان، ولم يعرف الملك الغائب شيئًا عن طفله المولود.

انتهى الملك من سفره وترحاله، وشد الرحال صوب بلاده، وجاء يوم شديد الحرارة والقيظ، وكانت الشمس تلهب الأرض بسخونتها، فأصاب الملك عطش شديد، ومضى يبحث عن ماء ليروى عطشه ويبرد جوفه، ثم رأى بحيرة كبيرة على مرمى البصر، فذهب إليها مسرعًا حتى وصل إلى شاطئها، فترجل من على فرسه، ومضى يعب الماء العذب منها فى شوق ونهم شديد، وفجأة أمسك ملك البحار بلحية الملك، وجذبه منها، فصاح الملك قائلاً:

ــ اتركنى.

ــ لن أتركك؛ لأنك تجرأت على شرب المياه بلا إذن منى؟

ــ اتركنى وسوف أمنحك ما تريد من التعويض.

ــ أعطنى إذن ما لا تعرفه فى قصرك.

فكر الملك طويلاً طويلاً فيما لا يعرفه فى قصره، وبات له أنه يعرف كل شىء فى بيته، فقبل عرض ملك البحار، ووافق أن يعطيه ما لا يعرفه فى قصره.

وعلى الفور تحررت لحيته، فنهض من فوق الأرض، وركب فرسه منطلقًا فى طريق العودة.

وصل الملك إلى قصره؛ فاستقبلته الملكة بالترحاب والفرح، وأخبرته عن المولود الجميل الذى أنجبته، وعندما عرف الملك بذلك الخبر السعيد، انهمرت دموعه من الحزن والأسى، وحكى لزوجته الملكة ما جرى معه، فجلس الاثنان يبكيان بحرارة، لكن دموعهما لم تغير من الأمر شيئًا.

عاش الملك مع زوجته كما فى السابق، وصار ابنهما الأمير يكبر ساعة بعد أخرى، ويومًا بعد يوم، حتى أصبح شابًا جميل الطلعة، رشيق القوام.

فكر الملك فى نفسه:

"مهما طال الوقت، فعاجلاً أم آجلاً ينبغى علىَّ الالتزام بالوعد، وترك ابنى لملك البحار"، ثم خرج مع الأمير إيفان إلى البحيرة، وقال له:

ــ لقد أضعت خاتمى بالأمس فى هذا المكان، فابحث لى عنه حتى تجده.

وترك الملك الأمير الصغير بمفرده، ورحل عائدًا إلى القصر.

أخذ الأمير يبحث عن الخاتم على شاطئ البحيرة، ثم شاهد عجوزًا تسير أمامه، فقالت له العجوز:

ــ إلى أين أنت ذاهب أيها الأمير إيفان؟

ــ اغربى عن وجهى أيتها الساحرة العجوز، ولا تضايقينى بفضولك، فإننى غارق فى الهم حتى أذنى.

ــ حسنًا، فليرعك الله.

ثم فكر الأمير إيفان فى نفسه:

"لماذا قمت بسب هذه العجوز على هذا النحو؟ إن أمثالها يتصفون بالمكر والدهاء، وربما يمكنها أن تساعدنى فى مهمتى، فلألحق بها وأطيب خاطرها".

ولحق إيفان بالعجوز قائلاً لها:

ـ اغفرى لى كلماتى الحمقاء أيتها الجدة؛ فقد أخرجتنى محنتى عن طورى؛ ذلك لأن والدى أرغمنى أن أبحث له عن خاتمه الضائع، وها أنا أسير منذ وقت طويل على الشاطئ أبحث عنه بلا جدوى.

ـ إن وجودك هنا ليس من أجل الخاتم أيها الفتى، بل السبب الحقيقى أن والدك قد وهبك لملك البحار، وسوف يخرج قريبًا ليأخذك معه إلى مملكة البحر تحت الماء.

جلس الأمير يبكى بمرارة وحزن؛ فقالت له العجوز:

ـ لا تحزن أيها الأمير إيفان، فإن السعادة فى انتظارك، لكن عليك أن تأخذ بنصحى، وتستمع إلى كلمات العجوز جيدًا، فاذهب لتختبئ خلف هذه الأحراش، وامكث هناك حتى تحطَّ على الشاطئ اثنتا عشرة حمامة، جميعها من الفتيات الحسان، وسوف تتبعهن بعد ذلك الحمامة الثالثة عشرة، بعد ذلك ستراهن ينزلن كلهن إلى البحيرة للاستحمام فيها، فتسلل بحذر، واسرق ثوب الأخيرة منهن. ولا تعيده إليها إلا بشرط أن تعطيك خاتمها، وإن لم تفعل ما أقوله، يصير مصيرك الهلاك الأبدى، وسوف ترى سياجًا من الأسياخ والخوازيق الحديدية يحيط بقصر ملك البحار، ويمتد لمسافة ثلاثة آلاف متر، فوق كل خازوق منهم رشقت رأس لأحد الفتيان، عدا واحدًا منهم مازال خاليًا. فاحترس أن تقع رأسك عليه.

شكر الأمير إيفان المرأة العجوز، واختبأ بين الأحراش أمام البحيرة ينتظر وصول الحمام.

وفجأة حلقت اثنتا عشرة حمامة، وحطَّت على الأرض، وسرعان ما تحولت الحمامات إلى فتيات حسان ليس لجمالهن نظير، ومضت الفتيات يخلعن ثيابهن، ثم قفزن جميعًا إلى البركة يسبحن ويضحكن بمرح فى مائها.

وما لبثت أن حطّت على الأرض الحمامة الثالثة عشرة، فتحولت هى الأخرى إلى فتاة بارعة الجمال، وخلعت ثوبها من على جسمها الأبيض، ولحقت بهن إلى البركة، وكانت الفتاة أكثرهن جمالاً وروعة.

ظل الأمير إيفان طويلاً مبهورًا بجمال الفتاة لا يطرف بصره عنها، ثم تذكر قول العجوز، فتسلل من مخبئه، وسرق ثوبها من على الشاطئ.

خرجت الفتاة من البركة بعد ذلك، فلم تجد ثوبها، وأصابتها الدهشة والحيرة، وأخذت الفتيات يبحثن معها عن الثوب الضائع، فلم يعثرن له على أثر. عندئذ قالت الفتاة:

ــ لا تبحثن أكثر من ذلك أيتها الأخوات الطيبات، بل اذهبن إلى البيت، فأنا المهملة والمسئولة عن ضياع ثوبى، وسوف أبحث عنه بنفسى.

ضربت الفتيات الأرض بأقدامهن، فتحولن ثانية إلى حمامات، وطِرْنَ محلقات فى الهواء حتى اختفين عن الأنظار، وبقيت الفتاة بمفردها تبحث وتدور هنا وهناك، ثم صاحت متوسلة تقول:

ــ يا من سرقت ثوبى اخرج إلى أينما تكن، فلو كنت عجوزًا، سوف تصبح والدًا لى، ولو كنت فى متوسط العمر، فسوف تصير أخًا لى، ولو كنت شابًا فى عمرى، فسوف تكون حبيبًا لى.

وما إن قالت الفتاة عبارتها الأخيرة، حتى خرج إليها الأمير إيفان، فأعطته خاتمها الذهبى، وقالت له:

ــ آخ أيها الأمير إيفان، لماذا لم تحضر من قبل؟ إن ملك البحار فى سورة من الغضب عليك، فاذهب على الفور من هذا الطريق بلا خوف ولا رهبة، وسوف يفضى بك إلى مملكة البحار، وهناك سوف تجدنى أمامك؛ فأنا الأميرة فاسيليسا الحكيمة ابنة ملك البحار.

قالت الفتاة ما قالته، ثم تحولت فاسيليسا الحكيمة إلى حمامة مرة أخرى، وطارت محلقة فى الهواء حتى اختفت.

ومضى الأمير إيفان فى طريقه تحت الماء إلى مملكة البحار، فشاهد هناك أنوارًا وحقولاً ومزارع، كما على الأرض تمامًا.

وذهب إلى ملك البحار الذى صرخ فى وجهه قائلاً:

ــ ما الذى أخَّرك هكذا على الحضور إلىَّ؟ سوف أعاقبك على فعلتك، وأكلفك بمهمة تقوم بها، فإن لدى قطعة من الأرض تبلغ مساحتها مائتى فدان من الأرض البور القاحلة، تغطيها الصخور الحادة والتلال المقفرة. أريد حتى الغد، أن تصبح هذه الأرض منبسطة مثل راحة اليد، وأن تصير كلها مزروعة بالقمح الناضج والشعير النامى، حتى يمكن للغربان أن تعشش فيها، وإن لم تقم بهذه المهمة، فسوف تودع رأسك من على جسمك.

خرج الأمير إيفان من مجلس ملك البحار، وسار يبكى من الحزن، حتى غرق فى دموعه المنهمرة، ورأته الأميرة فاسيليسا الحكيمة من خلف نافذتها بالقصر، فنادت عليه قائلة:

ــ مرحبًا أيها الأمير إيفان، لماذا تبكى على هذا النحو؟

رد الأمير:

ــ كيف لا أبكى، وقد طلب منى ملك البحار أن أسوى التلال المقفرة، وأزيل الصخور الحادة من على الأرض، وأزرعها بالقمح والشعير، وأن يكون الزرع ناميًا حتى تعشش به الغربان، وذلك كله فى ليلة واحدة؟

ــ هذه ليست بالمحنة الصعبة، بل إن الأصعب من ذلك ما زال ينتظرك. اذهب أنت للنوم فى رعاية الله؛ فنور العقل يُشرق فى الصباح لا فى الليل، وسوف يصبح كل شىء جاهزًا فى الغد.

راح الأمير إيفان فى النوم، وخرجت فاسيليسا الحكيمة إلى شرفتها، وهتفت بصوت عال تنادى:

ــ يا أتباعى المخلصين الأوفياء، هيا اذهبوا لتسوية التلال، وارفعوا من عليها الصخور الحادة والأشواك، وابذروا فيها حبوب القمح والشعير، كى تنمو وتنضج حتى الصباح.

استيقظ الأمير إيفان عند الفجر، ورنا ببصره، فلم يرَ أثرًا للتلال والصخور، بل شاهد حقولاً ممتدة مثل راحة اليد، تتلألأ فيها محاصيل القمح والشعير النامية، والغربان تعشش بين أعوادها.

أسرع الأمير إلى ملك البحار وأخبره بإتمام المهمة؛ فقال له الملك:

ــ شكرًا لك على إنجاز المهمة أيها الفتى، والآن عليك القيام بعمل آخر، فهناك ثلاثمائة جرن، بكل منها ثلاثمائة كومة من الشعير. عليك حتى الغد أن تفصل لى حبوب الشعير حتى آخر حبة منه، وذلك دون أن تكسر العيدان والسيقان، وإن لم تقم بهذا العمل، فيمكن أن تودع رأسك من فوق جسمك.

أجاب الأمير إيفان:

ــ سمعًا وطاعة يا مولاى.

وسار الأمير فى طريقه يبكى مرة أخرى حتى غرق فى دموعه، ورأته فاسيليسا الحكيمة، فسألته قائلة:

ــ لماذا تبكى أيها الأمير؟

ــ لقد كلفنى ملك البحار أن أفصل له الحبوب من أكوام الشعير فى الأجران، دون كسر عود أو ساق منها، وذلك كله فى ليلة واحدة، فكيف السبيل إلى ذلك؟

ـــ هذه ليست بالمحنة الصعبة، بل إن الأصعب من ذلك ما زال ينتظرك.
اذهب أنت للنوم فى رعاية الله؛ فنور العقل يُشرق فى الصباح لا فى الليل.

راح إيفان فى النوم، وخرجت فاسيليسا الحكيمة إلى شرفتها، وصاحت بصوت عال منادية:

ـــ يا جيوش النمل الزاحفة، أيما كانت أعدادكم فى هذا العالم، تعالوا جميعًا إلىَّ هنا، وافصلوا حبوب الشعير فى الأجران، دون أن تكسروا عودًا أو ساقًا منها.

وفى الصباح التالى، أرسل ملك البحار فى طلب الأمير إيفان، وسأله:

ـــ هل قمت بالعمل المطلوب؟

ـــ نعم، لقد قمت بالعمل.

ـــ فلنذهب معًا كى أرى ما فعلت.

ذهب الملك مع الأمير إلى الأجران، وشاهد حبوب الشعير مفصولة، والعيدان كلها سليمة، فقال للأمير:

ـــ شكرا لك أيها الأخ، والآن أريد منك أن تصنع لى كنيسة من الشمع الخالص، على أن تنتهى من تشييدها عند الفجر، وسوف تكون هذه المهمة هى الأخيرة التى أطلبها منك.

من جديد سار الأمير إيفان يبكى حظه العاثر، حتى غرق فى دموعه المنهمرة، فسألته فاسيليسا الحكيمة من شرفتها العالية:

ـــ ماذا يبكيك فى هذه المرة أيها الأمير؟

ـــ لقد طلب منى ملك البحار أن أشيد له كنيسة من الشمع الخالص فى ليلة واحدة، فكيف يمكن السبيل إلى ذلك الأمر؟

ـــ هذه ليست بالمحنة الصعبة، بل إن الأصعب من ذلك ما زال ينتظرك.
اذهب أنت للنوم فى رعاية الله، فنور العقل يُشرق فى الصباح لا فى الليل.

راح إيفان فى النوم، وخرجت فاسيليسا الحكيمة إلى شرفتها، وصاحت بصوت عال منادية:

ــ يا أسراب النحل الشغالة، أيما كانت أعدادكم فى هذا العالم، تعالوا جميعًا إلىَّ، وشيدوا كنيسة لله من الشمع، على أن تنتهوا من بنائها فى الفجر.

فى الصباح التالى، صحا الأمير إيفان من نومه، ونظر فشاهد أمامه كنيسة من الشمع الخالص، فذهب مسرعًا إلى ملك البحار، وأخبره بإتمام مهمته.

ــ شكرًا لك أيها الأمير إيفان، فقد نجحت فى جميع المهام التى كلفتك بها، ولم يقدر أحد من قبل على القيام بها، لذلك، فإنى أجعلك وريثًا لمملكتى الشاسعة بكل ما بها، ويمكنك أن تختار واحدة من بناتى الثلاث عشرة لتأخذها زوجة لك.

وقع اختيار إيفان على فاسيليسا الحكيمة، وتم عقد القران بينهما، وقامت الأفراح ولياليى الملاح فى أرجاء المملكة، واستمرت الاحتفالات بالزفاف لثلاثة أيام.

مرت الأيام والشهور على الأمير إيفان، وثار به الشوق إلى رؤية والديه، والعودة إلى بلده فى روسيا، فبدا الحزن والأسى عليه، ولما رأته زوجته على حاله سألته قائلة:

ــ لماذا يبدو الحزن عليك أيها الأمير إيفان؟

ــ آه يا فاسيليسا الحكيمة، إننى أتوق شوقا لرؤية أبى وأمى، وأشعر بالحنين للعودة إلى بلادى فى روسيا.

ــ هذه محنة كبيرة، فلو أننا رحلنا من هنا فالعاقبة وخيمة، وسوف يثور علينا ملك البحار، ويلقى بنا إلى الهلاك والموت؛ لذلك ينبغى علينا التفكير برروية ودهاء.

بصقت فاسيليسا الحكيمة فى الأركان الثلاثة ثلاث بصقات، وأحكمت إغلاق باب حجرتها فى جناحها، ورحلت مسرعة مع الأمير إيفان بِنطلقان إلى بلاد روسيا.

فى صباح اليوم التالى، حضر إلى حجرتها رسل من ملك البحار، يطلبون حضورها مع زوجها إلى قصر الملك، وصاروا يطرقون الباب منادين:

ــ هيا استيقظا من نومكما، فإن الملك يريد منكما الذهاب إليه.

ردت إحدى البصقات قائلة:

ــ إن الوقت ما زال مبكرًا للنهوض، ونحن لم نأخذ كفايتنا من النوم بعد، فارجعوا بعد مرور فترة أخرى.

رحل الرسل من المكان، وبعد مرور ساعتين عادوا ثانية يطرقون الباب:

ــ لقد أزف الوقت للاستيقاظ، وانتهى وقت النوم.

ردت البصقة الثانية قائلة:

ــ انتظروا قليلاً من الوقت، حتى ننهض ونرتدى ملابسنا.

وفى المرة الثالثة، جاء الرسل وقالوا:

ــ لقد ثار غضب ملك البحار، ويريد منكما أن تذهبا إليه على الفور.

أجابت البصقة الثالثة:

ــ سوف نخرج إليه فى الحال.

وقف الرسل عند الباب ينتظرون خروج الزوجة والزوج، وطال انتظارهم وهم واقفين، فطرقوا الباب مرة أخرى ولم يجب أحد عليهم، ولم يخرج صوت من داخل الحجرة، فحطم الرسل باب الحجرة، ولم يجدوا أحدًا بداخلها.

أخبر الرسل ملك البحار بهروب الفتى والفتاة، فثار حنق الملك، وأرسل فى إثرهما جيشًا من المطاردين.

كان الأمير إيفان وفاسيليسا الحكيمة قد ابتعدا كثيرًا فى هروبهما، وانطلق الاثنان فوق الجياد بلا توقف أو راحة، وبعد مرور وقت طويل من السير، قالت الفتاة:

ــ أيها الأمير إيفان، استمع بأذنيك إلى الأرض، كى نعرف إن كان أحد يطاردنا من أتباع الملك، أم أنهم ما زالوا بالقصر.

ترجل الأمير من فوق حصانه، وانحنى على الأرض يستمع إليها، ثم صاح قائلاً:

ــ إننى أسمع ضجيج الناس، وصوت حوافر الخيل.

ــ هذا يعنى أن المطاردين يسعون خلفنا.

قالت فاسيليسا الحكيمة عبارتها، وسحرت الحصانين إلى شجرتين، والأمير إلى راع عجوز، ثم تحولت هى إلى عنزة وادعة.

بعد قليل وصل المطاردون إلى المكان، وقالوا:

ــ أيها العجوز، ألم تر شابًا وفتاة حسناء يمران بالقرب منك؟

رد الأمير إيفان قائلاً:

ــ لا أيها القوم الطيبون، فأنا أرعى هنا منذ أربعين عامًا، لم أر طوالها طيرًا يحلق فى الفضاء، أو وحشًا يركض بالجوار.

عاد المطاردون أدراجهم إلى ملك البحار، وقالوا له:

ــ مولانا الملك المعظم، لم نعثر على أحد منهم فى الطريق، ولم نجد لهم أثرًا، سوى راع عجوز مع عنزته.

صرخ الملك غاضبًا:

ــ لماذا لم تقبضوا على العجوز والعنزة؟ فإنهما الهاربان نفسهما.

وأرسل الملك بفرسان جدد خلف الأمير والفتاة.

وكان الأمير إيفان وفاسيليسا الحكيمة، قد ابتعدا كثيرًا وهما راكبان جيادهما، وبعد مضى وقت من السير، قالت فاسيليسا:

ــ أيها الأمير إيفان، استمع بأذنيك إلى الأرض، كى نعرف إن كان أتباع الملك قد اقتربوا منا.

نزل الأمير من فوق حصانه، وانحنى على الأرض يستمع إليها، ثم هتف قائلا:

ــ إننى أسمع ضجيج الناس، وصوت حوافر الخيل.

ــ هذا يعنى أن المطاردين يقتربون خلفنا.

قالت فاسيليسا الحكيمة جملتها، وسحرت نفسها إلى دير، وإيفان إلى راهب عجوز، وحولت الحصانين إلى صخرتين.

وصل المطاردون إلى المكان، ثم قالوا سائلين:

ــ أيها الأب، ألم تشاهد راعيًا يسير مع عنزته؟

ــ لا أيها القوم الطيبون لم أر أحدًا؛ فأنا أخدم الكنيسة هنا منذ أربعين عامًا، لم أشاهد طوالها طيرًا يحلق فى الفضاء، أو وحشًا يركض بالجوار.

عاد المطاردون إلى ملك البحار، وقالوا له:

ــ مولانا الملك المعظم، لم نجد أثرًا فى كل الأماكن للراعى وعنزته؛ ولم نشاهد سوى كنيسة قائمة، وراهب يقوم على خدمتها، فصرخ الملك قائلاً:

ــ لماذا لم تحطموا الكنيسة وتقبضوا على الراهب؟ فإنهما الهاربان نفسهما.

ثار الملك من الغضب، وخرج بنفسه على رأس المطاردين، يسعى وراء فاسيليسا الحكيمة والأمير إيفان.

فى هذا الوقت، كان الهاربان قد ابتعدا كثيرًا فى طريقهما.

ومرة أخرى، قالت فاسيليسا:

ـ أيها الأمير إيفان، استمع ثانية بأذنيك إلى الأرض، وأخبرنى عن المطاردين.

نزل الأمير من على حصانه، ورقد على الأرض يستمع إليها، ثم قال:

ـ إننى أسمع ضجيج الناس، وصوت حوافر الخيل أعلى من السابق.

ـ هذا يعنى أن الملك بنفسه آتٍ إلينا.

ثم حولت فاسيليسا الحكيمة الحصانين إلى بركة من الماء، وسحرت الأمير إلى إوزة، وتحولت هى إلى بطة.

سرعان ما وصل ملك البحار إلى المكان، وما إن نظر إلى البركة، حتى أدرك حقيقة البطة والإوزة، فضرب الأرض بقدميه، وتحول إلى صقر صياد. وطار حائمًا فوق البركة يحاول اصطياد الطيرين والفتك بهما، وكلما يهبط من علٍ نحو الإوزة، تسرع بالغطس فى الماء فلا يجدها، وكلما انقض على البطة، تقفز مسرعة خلف المياه فلا يراها، وظل الصقر طويلاً يحاول اصطيادهما بلا جدوى، فعاد ملك البحار أدراجه يائسًا إلى مملكته تحت الماء، أما فاسيليسا الحكيمة والأمير إيفان، فانطلقا فى طريقهما نحو بلاد روسيا.

وظل الاثنان طويلاً فى سيرهما، حتى وصلا أخيرًا إلى مشارف البلاد. عندئذٍ قال الأمير إيفان لزوجته فاسيليسا:

ـ انتظرينى فى هذه الغابة أيتها المحبوبة، ريثما أذهب إلى والدى وأخبره بزواجنا.

ـ سوف تنسانى أيها الأمير إيفان.

ـ لا، لن أنساكِ.

ـ إنى أعلم أنك سوف تنسانى، لكننى أريدك أن تتذكرنى مرة واحدة، وذلك عندما تشاهد حمامتين ينقران على نافذة حجرتك.

ذهب الأمير إيفان إلى القصر، ولما رآه والداه اندفعا يعانقانه، ويمطرانه بالقبلات الحارة، وفى غمرة فرح الأمير إيفان، نسى أمر زوجته فاسيليسا الحكيمة.

وعاش يومًا بعد الآخر مع والده وأمه، وفى أحد الأيام فكر فى التقدم للزواج من إحدى الأميرات.

أما فاسيليسا الحكيمة، فذهبت إلى المدينة، وعملت طاهية بأحد المطاعم فى المطبخ، وقف الطباخون يطهون الطعام فى المطبخ، فأخذت فاسيليسا قطعة من العجين، وشكلت منها حمامتين، ثم وضعتهما فى الفرن، وقالت لصاحب المطعم:

ــ حزر أيها السيد، ماذا تصير هاتين الحمامتين؟

ــ تصير طعامًا نأكله.

ــ لا، أنت لم تحزر الحقيقة.

رفعت فاسيليسا الحكيمة باب الفرن، ثم فتحت شباك النـــافذة، وفجأة، أخذت الحمامتان تخفقان بأجنحتهما، وحلقتا طـــائرتين عبر النافذة نحو القصـــر، وصارت تتقران فوق نوافـــذ القصـــر، ومهما حـــاول الخدم جاهـــدين طردهما، لم ينجحوا فى ذلك أبدًا.

عندئذٍ، تذكر الأمير زوجته فاسيليسا الحكيمة؛ فأرسل رسله وأتباعه يبحثون عنها فى أرجاء المدينة، حتى عثر عليها الأمير فى مطبخ المطعم، فقبّل يدها البيضاء، وذهب بها إلى والده وأمه، وصار يعيش معها فى هناء وسعادة.

العجوز والبجعة

كان ياما كان، صياد فقير الحال يعيش مع زوجته العجوز. ذات مرة خرج الرجل إلى النهر لصيد السمك، ورمى بشبكته فى الماء، وبعد فترة نظر الصياد فرأى بجعة وقعت فى الشباك. كانت البجعة تصيح وتخفق بجناحيها محاولة الفكاك من الشبكة بلا جدوى. أشفق الصياد على البجعة قائلاً لنفسه:

"بماذا يفيد قتل هذا الطائر الجميل؟".

سحب الرجل شبكته من الماء، وأخذ يساعد البجعة فى التحرر منها، حتى أطلق سراحها. عندئذ صاحت البجعة بصوت آدمى:

ــ شكرًا لك أيها العجوز، لن أنسى أبدًا صنيعك الطيب معى، رافقنى إلى البيت كى أعطيك هدية مقابل عملك الخيّر.

وسار الاثنان معًا، الصياد والبجعة.

وظلا يسيران طويلاً طويلاً، حتى وصلا أخيرًا إلى بركة البجع، حيث يقع بيت البجعة، فدخلت إليه، وحملت مفرشًا من القماش أعطته للصياد قائلة:

ــ ها هى هديتى إليك أيها العجوز، فما إن تشتهِ طعامًا أو شرابًا، افرد المفرش على طاولتك، وقل له: "أطعمنى واسقنى أيها المفرش"، وعلى الفور سوف تجد عليه كل ما تطلب.

شكر الصياد البجعة على هديتها، ورحل فى طريقه.

وفى أثناء سيره اشتد عليه الجوع، فتوقف على جانب الطريق، وفرد المفرش قائلاً:

ــ أطعمنى واسقنى أيها المفرش.

وما إن نطق عبارته، حتى اكتسى المفرش بأطباق الطعام الشهية من كل نوع وصنف، وبكل أنواع المشروبات والعصائر.

أكل العجوز وشرب حتى امتلأت معدته، ثم طوى المفرش ومضى يواصل سيره.

طال سير العجوز وهو يقطع الطرق والدروب، وأدركه الليل بظلمته، فعرج على أحد البيوت فى القرية حيث يقيم أحد الأثرياء، وقال لرب البيت:

ــ أيها السيد المبجل، دعنى أقضى ليلتى عندك.

قال الثرى:

ــ تفضل للمبيت، لكن لا تنتظر منى طعامًا ولا شرابًا.

رد العجوز:

ــ لا حاجة بى إلى الطعام، فلدى مفرش يعطينى دائمًا كل ما شئت من الطعام والشراب.

ــ دعنى أراه إذن.

وفرد العجوز مفرشه أمام الثرى قائلاً:

ــ أطعمنى واسقنى أيها المفرش.

وفى لمح البصر، ظهرت على المفرش أطيب أنواع المأكولات والشراب التى تشتهيها النفس.

اعترت الدهشة الرجل الثرى، ودفعه الجشع إلى التفكير فى سرقة المفرش.

انتظر الثرى حتى راح العجوز فى النوم، وقام بسرقة المفرش المدهش، ثم وضع بدلاً منه مفرشًا عاديًا.

فى الصباح خرج العجوز إلى بيته، ولم يدرك ما فعله الثرى بمفرشه، وبعد أن وصل إلى البيت قال لزوجته العجوز:

ــ من الآن أيتها العجوز، لن تضطرى إلى الخبز والطهى، ولا البحث عن الطعام.

ــ وكيف هذا؟ فسِّر لى قولك.

ــ لقد أصبح لدينا مفرش مدهش، سوف يلبى لنا كل مطالبنا من الطعام والشراب.

ثم فرد العجوز مفرشه على الطاولة، وهتف يقول:

أطعمنى واسقنى أيها المفرش.

لكن المفرش بقى على حاله فوق الطاولة، ولم يظهر عليه طعام أو شراب.

صاح العجوز بغضب:

ــ لقد خدعتنى البجعة. سوف أعود إليها وأعاتبها على كذبها.

رحل العجوز، ومضى نحو بيت البجعة حتى وصل إليه.

ــ ما شكواك أيها العجوز؟

رد العجوز:

ــ لقد خدعتنى أيتها البجعة، فإن مفرشك لا يطعمنى ولا يسقينى.

قالت البجعة:

ــ لا تحزن أيها العجوز، فسوف أعطيك خروفًا عجيبًا. ما إن تقل له:"انتفض أيها الخروف"، حتى يقذف إليك بالذهب من فروته.

أخذ العجوز الخروف من البجعة، وانطلق عائدًا إلى بيته.

وأدركه الليل أثناء سيره، فعرج على بيت الثرى ثانية، وقال له:

ــ هل تسمح لى بقضاء الليل فى بيتك أيها الرجل المبجل؟

ــ أسمح لك.

ــ لكننى لست بمفردى، بل معى خروف.

ــ اترك خروفك بالفناء.

ــ لا أستطيع تركه، فهو ليس بخروف عادى، بل يخرج الذهب من فروته.

أجاب الثرى فى دهشة:

ــ هذا أمر لا يصدقه العقل أيها العجوز.

ــ بل صدق ما أقوله، وسوف أريك بنفسى.

وضع العجوز بساطًا فى منتصف الحجرة، ثم جعل الخروف يقف على البساط، وقال له:

ــ انتفض أيها الخروف.

نفض الخروف فروته، فخرجت منها القطع الذهبية تتساقط على البساط.

ذهل الثرى مما رآه، ودفعه الجشع إلى التفكير فى سرقة الخروف كما سرق المفرش.

قاد الثرى العجوز إلى مرقده، وتريث حتى راح فى النوم، ثم سرق الخروف العجيب، ووضع مكانه خروفًا عاديًا.

وفى الصباح ودَّع العجوز الثرى، ومضى عائدًا إلى بيته، وبعد أن وصل إلى البيت قال لزوجته بفرح:

ـ من الآن فصاعدًا أيتها العجوز، سوف نصبح من أثرياء القوم.

ـ ومن أين لنا هذا الثراء أيها الرجل؟

ـ من هذا الخروف الواقف أمامك.

نظرت الزوجة إلى زوجها دون أن تفهم شيئًا.

أما العجوز فقال لها:

ـ هيا أحضرى بساطًا، وافرديه على أرض الحجرة.

فردت الزوجة بساطًا على الأرض، ثم ساق العجوز الخروف، ووضعه فوق البساط، وقال له:

ـ انتفض أيها الخروف.

لكن الخروف ظل فى مكانه لا يحرك ساكنًا.

ثار حنق العجوز، وصرخ يقول:

ـ لقد خدعتنى البجعة الماكرة من جديد، سوف أذهب إليها ثانية، وأوبخها بشدة على فعلتها الكاذبة.

خرج العجوز قاصدًا بركة البجع، وما إن وصل هناك حتى صار ينادى على البجعة، فخرجت إليه، وسألته:

ـ ماذا أتى بك ثانية أيها العجوز؟

ـ إن هداياك جميعها سيئة أيتها البجعة، ولا نفع منها على الإطلاق.

استمعت البجعة إلى حديث العجوز، ثم سألته قائلة:

ـ هل عرجت على أحد أثناء طريق العودة؟

ـ نعم، عرجت على أحد الأثرياء.

ـ وهل حكيت له عن هداياى لك؟

ـ نعم، حكيت له.

ردت البجعة:

ـ حسنًا، لقد أدركت الأمر. سأعطيك الآن هديتى الأخيرة لك، وسوف تمنحك الفطنة وتعيد إليك ما فقدته من قبل.

ودخلت البجعة بيتها، ثم خرجت حاملة حقيبة أعطتها للعجوز، وقالت له:

ـ خذ هذه الحقيبة، وقل لها: "أربعون من الحقيبة".

أخذ العجوز الحقيبة وصاح بها:

ـ هيا، أربعون من الحقيبة.

وفى لمح البصر، خرج من الحقيبة أربعون من الفتيان الأشداء يحملون العصى والشوم، وانهالوا ضربًا على العجوز.

أدرك العجوز سر الحقيبة، فصرخ يصيح:

ـ أربعون إلى الحقيبة، أربعون إلى الحقيبة.

وعلى الفور، دخل الأربعون فتى إلى الحقيبة مرة أخرى، واختفوا بداخلها.

حمل العجوز الحقيبة، وشكر البجعة، ثم مضى فى سبيله.

وهبط الليل أثناء سيره، فعرج على بيت الثرى للمرة الثالثة، وكان الثرى يجلس بانتظاره على أحر من الجمر، واستقبله بكل الكرم والحفاوة. اتخذ العجوز مجلسه، ثم قال:

ـ أين يمكننى ترك هذه الحقيبة حتى الصباح؟

ـ ضعها عند عتبة المنزل.

ـ لا يمكننى ذلك؛ فهذه الحقيبة ليست بحقيبة عادية. وما إن تقل لها: "أربعون من الحقيبة"، حتى يخرج منها ما لا تحلم به.

عندئذٍ قال الثرى:

ــ علقها إذن على المشجب.

وسارت الأمور على هذا النحو، فعلّق العجوز حقيبته على المشجب، ثم صعد فوق الفرن للنوم، وفى حقيقة الأمر ظل يقظًا يراقب الحال.

انتظر الثرى طويلاً، حتى ظن أن العجوز قد راح فى النوم، وبعد ذلك تسلل نحو الحقيبة وصاح فيها قائلاً:

ــ أربعون من الحقيبة.

وما إن نطق عبارته، حتى قفز من الحقيبة أربعون من الفتيان الأشداء، يحملون فى أياديهم العصى والشوم، وانهالوا عليه ضربًا، ومهما حاول الثرى الهروب منهم، لم يفلح على الإطلاق، فصرخ بأعلى صوته مستغيثًا بالضيف العجوز:

ــ استيقظ أيها الجد، استيقظ سريعًا أيها الجد وانجدنى.

صاح العجوز من فوق الفرن يقول:

ــ من الذى أبدل مفرشى المدهش؟

ــ لا أعرف.

ــ بما أنك لا تعرف، فلا تطلب العون منى.

ــ أنا الذى أبدلته بمفرش عادى، أنا الذى أبدلته، لكن أرجوك أن تهب لنجدتى.

ثم أردف العجوز سائلاً:

ــ ومن الذى أبدل خروفى العجيب؟

ــ أنا، وسوف أعيده إليك، لكن أنقذنى من الموت أتوسل إليك.

ـ هل تعدنى ألا تخدع الناس فى المستقبل؟

ـ نعم، لقد تبت إلى الأبد.

حينئذٍ صاح العجوز قائلا:

ـ أربعون إلى الحقيبة.

وفى لمح البصر، اختفى الأربعون فتى فى الحقيبة، كما لو أنهم لم يوجدوا.

بعد ذلك أحضر الثرى المفرش المدهش، والخروف العجيب، وأعطاهما للعجوز وهو يئن ويتوجع من الضرب.

حمل العجوز مفرشه، وساق أمامه خروفه، وسار عائدًا صوب بيته، وبعد أن عاد إلى منزله، صار يعيش مع زوجته العجوز فى سعادة ورخاء، وأصبح لديه كل ما يرغب فيه من ثروة وطعام، وصار يقيم الولائم العامرة، ويدعو إليها كل الناس، وقد كنت بنفسى من بين المدعوين فى منزله؛ حيث شربت وأكلت العسل والبطيخ والأطباق الشهية الأخرى.

العجوز والطائر

كان ياما كان، رجل عجوز يعيش مع زوجته العجوز، وكانا يعيشان فى فقر مدقع وعوز شديد، ولم يعد لديهما حطب، ولا عود من الأخشاب كى يشعلاه ويتدفآ به من البرد.

فقالت الزوجة لزوجها العجوز:

ــ اذهب إلى الغابة، واقطع لنا بعض الأخشاب.

خرج العجوز إلى الغابة حاملاً بلطته، واختار شجرة كبيرة من أشجار الجوز، وصار يضرب فيها بالبلطة، توك توك توك.

وفجأة، خرج طائر من داخل الشجرة، وصاح:

ــ إنى ساكن شجرة الجوز، فماذا تريد أيها العجوز؟

ــ الزوجة العجوز تحتاج إلى حطب وخشب، كى تتدفأ من البرد.

ــ عد إلى بيتك، وسوف تجد به كل ما تحتاج إليه من الحطب.

أذعن العجوز ولم يقطع الشجرة، ورجع إلى بيته فوجد البيت مملوءًا عن آخره بالحطب والأخشاب، فحكى لزوجته عن الطائر وحديثه. عندئذ قالت له الزوجة:

ــ إن بيتنا عتيق متهدم، فاذهب ثانية إلى الطائر فى الغابة كى يساعدنا على تجديده.

وافق العجوز على طلب زوجته، فخرج إلى الغابة، وبحث عن شجرة الجوز حتى عثر عليها، ثم أخذ فى ضربها بالبلطة. توك توك توك.

ومرة أخرى خرج الطائر من داخل الشجرة، وصاح:

ــ إنى ساكن شجرة الجوز، فماذا تريد أيها العجوز؟

ــ إن بيتى عتيق متهدم أيها الطـــائر، وليس به شىء من وسائل الراحة. ألا يمكنك أن تساعدنى فى إصلاحه؟

ــ عد إلى بيتك أيها العجوز، وسوف تجده جديدًا وبه كل ما تحتاج.

رجع العجوز إلى بيته فلم يتعرف إليه· كان البيت جديدًا رائع الجمال، وفى الفناء حظائر وزرائب واسعة، تفيض بقطعان لا تُحصى من الغنم والماعز والجياد·

وعاش العجوز مع زوجته لبعض الوقت فى رغد وهناء، حتى جاء يوم قالت فيه الزوجة لزوجها العجوز:

ــ لقد صار لدينا الكثير من الخير والثراء، غير أننا ما زلنا فلاحين، ولا يحترمنا أحد من الناس، فاذهب إلى الطائر أيها العجوز، واطلب منه أن يجعل منك موظفًا ذا منصب مرموق، ويجعلنى موظفة ذات منصب عال.

خرج العجوز من جديد حاملاً بلطته إلى الغابة، وبحث عن شجرة الجوز حتى عثر عليها، وأخذ يضرب فيها بالبلطة. توك توك توك، فخرج إليه الطائر وصاح:

ــ إنى ساكن شجرة الجوز، فماذا تريد أيها العجوز؟

ــ لى عندك مطلب آخر أيها الطائر المبجل. ألا يمكنك أن تجعل منى موظفًا ذا منصب مرموق، ومن زوجتى العجوز موظفة ذات منصب عال؟

ــ عد إلى بيتك، وسوف تجد نفسك موظفًا، وزجتك موظفة.

سار العجوز عائدا نحو البيت. فى أثناء سيره فى القرية، كان الناس يرفعون له قبعاتهم فى احترام وتبجيل، والكل يركض من حوله فى خوف من هيبته العالية، وفى المنزل كان الفناء مكتظًا بالخدم والأتباع، والزوجة العجوز تقف بينهم مثل الملكة، توزع عليهم أوامرها بصرامة.

وقضى العجوز مع زوجته بعض الوقت فى سعادة ورخاء، لكن الزوجة لم تكتف بذلك، فقالت للعجوز:

ــ إن الملك يستطيع فى أى وقت شاء أن يرمى بنا فى غياهب السجون، دون ذنب ولا جريرة، فاذهب إلى طائرك أيها العجوز، واطلب منه أن يجعل منك ملكًا، ويجعلنى ملكة.

أذعن العجوز لأوامر زوجته، فحمل بلطته، وخرج من جديد إلى الغابة، وأخذ يضرب بها شجرة الجوز حتى خرج إليه الطائر، وصاح:

ـ إنى ساكن شجرة الجوز، فماذا تريد أيها العجوز؟

ـ لى عندك طلب آخر أيها الطائر العزيز، ألا يمكنك أن تجعل منى ملكًا، ومن زوجتي العجوز ملكة؟

ـ عد إلى بيتك أيها العجوز، وسوف تصبح ملكًا، وتصـير زوجتك العجوز ملكة.

وما إن وصل العجوز إلى بيته، حتى قدم الرسل يبلغونه أن الملك مات، وأنهم قد اختاروه ملكًا من بعده.

وعاش العجوز ملكًا يحكم البلاد، ومعه زوجته العجوز ملكة متوجة هى الأخرى، لكن الزوجة لم تقنع بحالها. فلم يمض بعض الوقت حتى قالت للعجوز:

ـ إن الملك هو شيء عظيم حقًا، لكن الله لو أراد، فسوف يميتنا فى أى وقت شاء، فاذهب إلى طائرك أيها العجوز، واطلب منه أن يجعلنا من الآلهة.

حمل العجوز بلطته، وخرج إلى الغابة يضرب بها شجرة الجوز، فخرج إليه الطائر، وصاح يقول:

ـ إنى ساكن شجرة الجوز، فماذا تريد أيها العجوز؟

ـ لى عندك مطلب آخر أيها الطائر المبجل، أريدك أن تجعلنى من الآلهة.

ـ حسنًا أيها العجوز، سوف تصبح ثورًا، وتصير زوجتك خنزيرة.

وفى لمح البصر، تحول العجوز إلى ثور بقرنين، وبعد أن رجع إلى بيته، نظر فرأى زوجته العجوز قد تحولت إلى خنزيرة، وهنا انتهت الحكاية.

العجوز والفأس

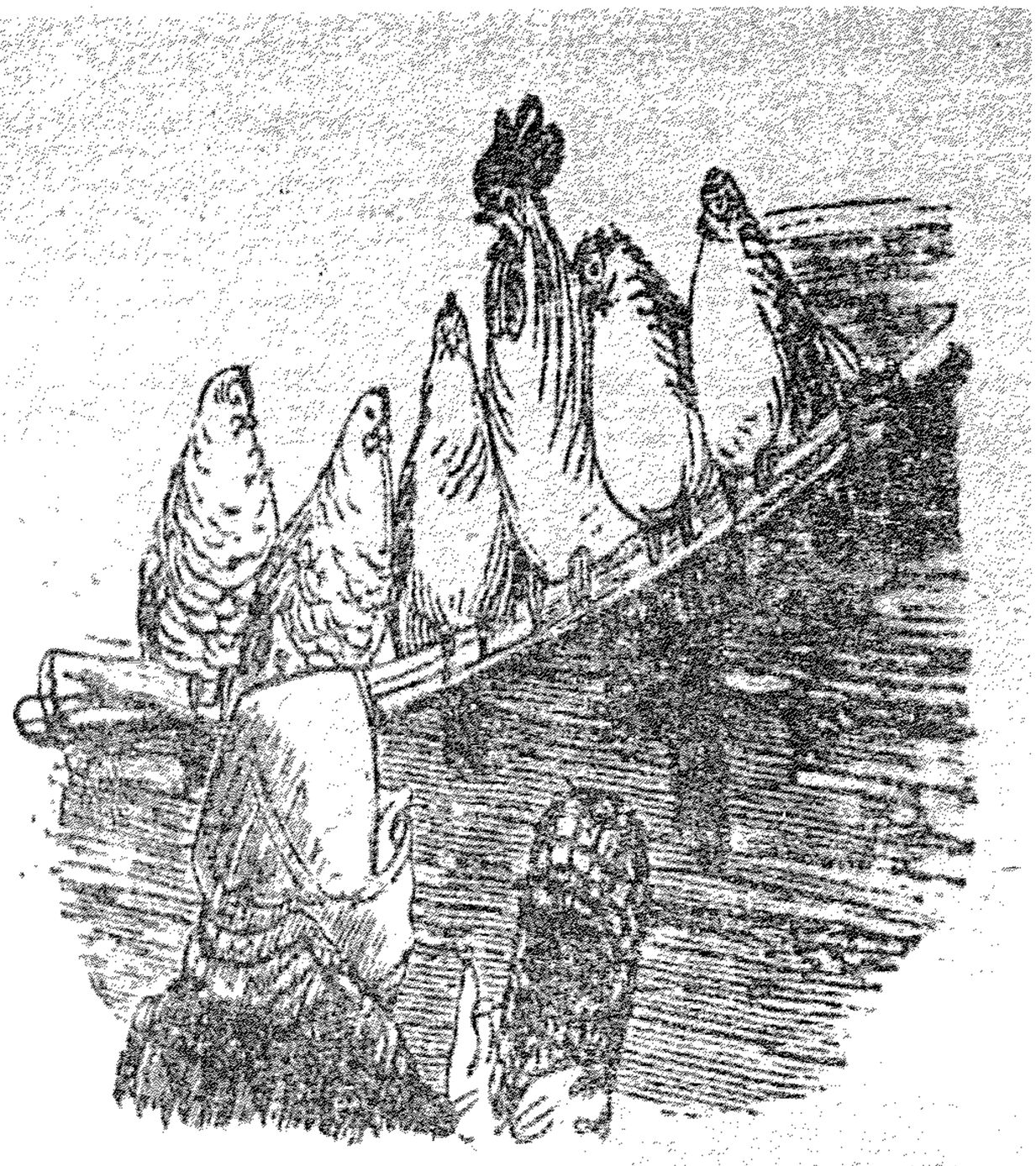

كانت العجوز تسير يومًا فى الغابة، فعثرت فى أثناء سيرها على فأس. أخذت العجوز الفأس، وذهبت إلى القرية، وطرقت باب أحد البيوت، وقالت:

ـ دعونى أقضى الليل عندكم.

ـ تفضلى، فالبيت به متسع لك.

ـ وأين يمكننى وضع فأسى؟

ـ ضعيه على الرف.

ـ لا، إن فأسى قد اعتاد النوم فى حظيرة الدجاج.

وحملت العجوز فأسها إلى حظيرة الدجاج.

فى الصباح استيقظت العجوز، وصاحت:

ـ أين دجاجتى؟

رد رب المنزل قائلاً:

ـ ماذا تقولين أيتها العجوز؟ لقد جئت إلينا بفأس، وليس بدجاجة.

ـ لا، لقد جئت بدجاجة، وإن لم تعطِنى دجاجتى فسوف أذهب إلى القاضى وأشكوك إليه، ليقوم بسجنك.

استسلم الرجل، وأعطى العجوز دجاجة.

سارت العجوز ومضت فى طريقها، حتى هبط الليل عليها.

فذهبت إلى القرية، وطرقت باب أحد البيوت، وقالت:

ـ دعونى أقضى الليل عندكم.

أجاب رب البيت قائلاً:

ـ تفضلى، فالبيت به متسع لك.

قال العجوز:

ـ وأين يمكننى ترك دجاجتى؟

ـ ضعيها مع دجاجنا فى الحظيرة.

ـ لا، إن دجاجتى قد اعتادت النوم مع الإوز.

وحملت العجوز دجاجتها إلى حظيرة الإوز.

فى اليوم التالى استيقظت العجوز وصاحت:

— اين إوزتى؟

رد رب المنزل قائلاً:

— أية إوزة أيتها العجوز؟ لقد جئت إلينا بدجاجة، وليس بإوزة.

صرخت العجوز:

ـ لا، لقد جئت بإوزة، وإن لم تعطنى إوزتى فسوف أذهب إلى القاضى وأشكوك إليه، ليقوم بحبسك.

فى النهاية اضطر الرجل أن يعطى الإوزة للعجوز، فحملتها وسارت على الطريق، وعندما حلَّ المساء، ذهبت العجوز ثانية تطلب المبيت فى أحد بيوت القرية، ثم سألت رب البيت:

ـ أين يمكننى ترك إوزتى لتقضى الليل؟

ـ ضعيها مع إوزنا فى حظيرتهم.

ـ لا، إن إوزتى قد اعتادت النوم مع الخراف.

وحملت العجوز إوزتها إلى زريبة الخراف.

ونامت العجوز فى الليل، ثم استيقظت فى الصباح تقول:

ـ هيا أعطنى خروفى.

ـ ما الذى تقولينه أيتها العجوز؟ لقد جئت إلينا بإوزة.

ـ لا، لقد جئت بخروف، وإن لم تعطنى خروفى فسوف أذهب إلى القاضى وأشكوك إليه حتى يحبسك.

أسقط فى يد الرجل، وأعطى خروفا للعجوز، فحملته ومضت فى طريقها.

ومرة ثانية ولّى النهار، فذهبت العجوز من جديد تطرق أحد بيوت القرية. وقالت لرب البيت:

ـ إن خروفى قد اعتاد المبيت مع الثيران، فأرجو أن تسمح لى بتركه معهم.

ـ ضعيه فى زريبة الثيران كما تشائين.

صحت العجوز فى اليوم التالى، وصاحت تقول:

ـ أين ثورى؟

ـ أى ثور أيتها العجوز؟ لقد جئت إلينا بخروف.

ـ لا أريد أن أسمع ما تقول. لقد كان لدى ثور، وإن لم تعده إلىَّ فسوف أذهب إلى القيصر بنفسه، وأشكوك إليه كى يقوم بسجنك.

تملك الغضب من رب البيت، لكنه اضطر فى النهاية أن يعطى العجوز ثورًا.

ربطت العجوز الثور إلى الزلاجة، وانطلقت به وهى تردد شادية:

ـ بادلت الفأس بدجاجة

وأخذت إوزة بدلاً منها

بادلت الإوزة بخروف

وأخذت ثورًا بدلاً منه

هيا انطلق أيها الثور

واحمل القش المنثور

الزلاجة على الطريق تسير

فأسرع بها حتى تطير

وفى الطريق قابلت العجوز ثعلبًا فقال لها:

ـ احملينى معك أيتها الجدة.

ـ هيا اركب الزلاجة.

ركب الثعلب مع العجوز فوق الزلاجة، وصار الاثنان يرددان معًا:

ـ هيا انطلق أيها الثور

واحمل القش المنثور

الزلاجة على الطريق تسير

فأسرع بها حتى تطير

ثم قابلهم الذئب، وصاح:

ــ احملينى معك على الزلاجة أيتها الجدة.

ــ اركب أيها الذئب.

صعد الذئب فوق الزلاجة، وصار الثلاثة يرددون معًا:

ــ هيا انطلق أيها الثور

واحمل القش المنثور

الزلاجة على الطريق تسير

فأسرع بها حتى تطير

ساروا فى الطريق حتى قابلهم الدب، فقال:

ــ دعونى أركب معكم فوق الزلاجة.

ــ هيا اركب.

وصعد الدب فوق الزلاجة، فحطم عريشها من ثقل وزنه.

صاحت العجوز قائلة:

ــ اذهب إلى الغابة أيها الثعلب، وأحضر عريشة من هناك.

ومضى الثعلب إلى الغابة، ثم عاد يحمل غصنًا من شجر الحور.

ــ لا يصلح هذا الغصن للعريشة.

وأرسلت العجوز الذئب إلى الغابة، فانطلق إلى هناك، وبعد زمن عاد يحمل جذعًا مقوسًا منخورًا من شجرة البريوزا.

ــ لا يصلح هذا الجذع المقوس المنخور للعريشة.

وبعثت العجوز بالدب إلى الغابة، فذهب الدب، ثم عاد بعد فترة يجر وراءه شجرة صنوبر كبيرة الحجم، ولا تصلح لعريشة الزلاجة أيضًا.

ثارت العجوز من الغضب، ورحلت بنفسها إلى الغابة.

وما إن اختفت العجوز عن الأبصار، حتى هجم الدب على الثور وقتله، ومزق الذئب فروة الثور وسلخها، والتهم الثعلب أحشاءه، ثم وضعوا القش داخل فروة الثور وتركوها، وفروا هاربين من المكان.

بعد ذلك عادت العجوز من الغابة تحمل العريشة، وقامت بربطها خلف الزلاجة، ثم جلست عليها تردد قائلة:

ـ هيا انطلق أيها الثور

واحمل القش المنثور

الزلاجة على الطريق تسير

فأسرع بها حتى تطير

لكن الثور لم يبارح مكانه، فدفعت العجوز الثور فى مؤخرته، وإذا به يسقط متهاويًا على الأرض. حينئذٍ أدركت العجوز أن ثورها لم يبقَ منه سوى الفروة.

بكت العجوز من الحزن، ومضت بمفردها تسير فى الطريق.

القط فاسكا

كان ياما كان، فى قرية بين الغابات، رجل ميسور الحال يعيش مع قط يُدعى فاسكا.

كان الرجل يحب قطه ويقدره، وكان القط يقوم بأعماله القططية على أكمل وجه وأحسن صورة، فيصيد الفئران والجرذان التى تتسلل إلى صوامع القمح، ويساعد صاحبه بحمل كل الأغراض فى فمه من الدكان إلى البيت؛ لذلك كان الرجل يحب قطه حبًا كبيرًا، واحتفظ بفاسكا فى بيته لعشرين عامًا.

وفى النهاية، أصاب فاسكا الهرم وصار عجوزًا، فغارت عيناه، وتساقطت شواربه، وخارت قواه، فلم يصبح قادرًا على صيد الفئران، وقتل الجرذان كما فى سابق عهده، وعندما أدرك صاحبه تدهور حال فاسكا، أمسك به من رقبته، وحمله إلى خارج فناء البيت، ثم ركله بقدمه.

ركض فاسكا فى الغابة وهو يبكي حاله، وأخذ يفكر فى الوسيلة التى تعينه على الحياة فى أيامه الأخيرة، وأخيرًا قال لنفسه:

"سوف أرقد فى مخزن الغلال متصنعًا الموت، حتى تأتى الفئران والجرذان فتراني، وتظن بأننى قد هلكت".

وفعل فاسكا ما فكر به، فرقد في مخزن الغلال متصنعًا الموت.

بعد ذلك حضرت الفئران والجرذان وشاهدوه راقدًا بلا حراك، ففرحوا واغتبطوا، وصاروا يصفرون ويصرخون قائلين:

ـ لقد مات أخيرًا عدونا اللدود. لقد مات أخيرًا عدونا اللدود.

وتجمعت أعداد كبيرة من الفئران والجرذان حول فاسكا يتصايحون، ثم قرروا أن يقوموا بدفنه حتى لا يعود إلى الحياة مرة ثانية، وكان عددهم عشرة آلاف فأر وجرذ، فأحضروا حزمة من العصى والأغصان صنعوا منها محفة، وقاموا بسحب فاسكا نحوها وهو ساكن بلا حراك، ودحرجوه ليستقر فوقها، ثم ربطو جسمه إلى المحفة بالحبال، وساروا بها يرفعونها فوق أكتافهم، ومن خلفهم سار بضع مئات من الجرذان، يحملون المعاول والجواريف، والجميع يرددون الأغانى فى سعادة وفرح، ويعزفون الموسيقى على مختلف الآلات، ومضوا فى سيرهم يجرون فاسكا إلى مثواه الأخير، حتى وصلوا إلى منطقة رملية جافة، وشرع حاملو المعاول والجواريف فى الحفر بهمة ونشاط.

كان فاسكا راقدًا بلا حراك، ثم نظر بطرف عينيه، فرأى الفئران قد حفروا حفرة عميقة، بعمق ثلاثة أمتار تحت الأرض.

خرج الحفارون من الحفرة، وحان الوقت لرمى فاسكا بداخلها، فانطلقت حشود الفئران لتنجز العمل، فمنهم من أمسك برقبته، وآخرون تعلقوا بذيله، والجميع يحاولون دفعه نحو الحفرة.

وفجاة تحرك فاسكا من مرقده، واندفعت الفئران من حوله تفر مذعورة، وهجم فاسكا على الحشود الهاربة يصيد منها ما تقع عليه مخالبه، ويلقى بهم فى الحفرة، وتدافعت الفئران تحاول النجاة بحياتها، فلم تجد لها مهربًا بين الرمال، واستطاع فاسكا أن يملأ الحفرة بأجسامهم، كما غنم مئات المعاول والجواريف، والآلات الموسيقية.

ومنذ ذلك الوقت، عاش فاسكا فى ثراء وحياة رغدة سعيدة، فكان يبيع المعاول والجواريف، ويشترى بثمنها سمكًا يأكله، وعندما يريد الترويح عن نفسه، يقوم بالعزف على الآلات الموسيقية، وبين الحين والآخر، يلتقط من الحفرة ما يشتهيه من الفئران ليأكلها.

وأصبح القط فاسكا يعيش فى حال أفضل من حاله السابق لدى صاحبه؛ فقد صار سيد نفسه ورب بيته.

وهنا انتهت حكايته.

القمر والهلال والغراب

كان رجل عجوز يعيش مع زوجته العجوز، وكان لهم ثلاث بنات، وفى أحد الأيام، خرج العجوز إلى جرن الغلال ليأخذ منه بعض الشعير، ووضع الشعير فى جوال، ثم حمله وسار به إلى المنزل، لكن الجوال كان مثقوبًا، فتساقط الشعير من الثقب على الطريق أثناء عودته.

وصل العجوز إلى بيته، فسألته زوجته العجوز:

ــ أين الشعير أيها العجوز؟

ونظر العجوز إلى الجوال، فرآه فارغًا، ورأى الشعير متناثرًا على الطريق.

أخذ العجوز يجمع الشعير من على الأرض، وصاح يقول:

لو أن الشمس تشرق بأشعتها فى الكون، لزوجتها من ابنتى الكبرى، ولو أن الهلال ينير الأرض، لزوجته من ابنتى الوسطى، ولو أن الغراب يساعدنى فى جمع الشعير، لزوجته من ابنتى الصغرى.

ونظر العجوز، فرأى الشمس قد أشرقت، وخرجت خيوطها الذهبية تدفئ الكون، وغطى الهلال بنوره على الأرض، وصار الغراب يلتقط بمنقاره الشعير المنثور من على الطريق، ويضعه فى الجوال.

عاد العجوز إلى البيت يحمل الشعير، وقال لابنته الكبرى:

ــ ارتدى أفضل ثيابك، واخرجى إلى الشرفة.

لبست الابنة أجمل ثيابها، وذهبت إلى شرفة البيت؛ فأخذتها الشمس إليها.

وأمر العجوز ابنته الوسطى أن ترتدى أيضًا أحسن ثيابها، وتخرج إلى الشرفة؛ فلبست الفتاة ثوبها، وخرجت إلى شرفة البيت؛ فأخذها الهلال لنفسه.

ثم جاء الدور على الابنة الصغرى. وقال لها أبوها:

ـ هيا ارتدى أفضل الثياب، واخرجى إلى الشرفة.

لبست الابنة ثوبها، وراحت إلى الشرفة، فحملها الغراب، وحلّق طائرًا بها.

وذات مرة قال العجوز لزوجته:

ـ أريد الذهاب لزيارة صهرى.

وذهب العجوز إلى الشمس.

فقالت له الشمس:

ـ ماذا أقدم لك من طعام؟

ـ لا أريد شيئًا.

وطلبت الشمس من الزوجة أن تخبز الدقيق، وتصنع منه "الزلابية". فخبزت الزوجة الدقيق، وصنعت منه قطع "الزلابية" المستديرة، وألقت بها فى مقلاة لتحميرها، ثم جلست الشمس على منتصف الأرض، فوضعت الزوجة المقلاة على جسم الشمس حتى نضجت "الزلابية" وقدمتها للعجوز، وأكل منها حتى شبع.

بعد انتهاء الزيارة، عاد العجوز إلى بيته، وطلب من زوجته أن تصنع له "الزلابية"، وجلس فى منتصف الحجرة، وأمرها أن تضع المقلاة وبها "الزلابية" فوق جسمه، فقالت له العجوز:

ـ وهل يمكن تحمير "الزلابية" على جسمك؟

ـ نعم، ضعيها واتركيها حتى تحمر وتنضج.

أذعنت الزوجة لطلب العجوز، ووضعت المقلاة على جسمه، ومر وقت طويل والمقلاة على حالها، لم تسخن ولم يحدث لها شيء.

وفى النهاية، حملت الزوجة المقلاة، ووضعتها بالفرن حتى نضجت "الزلابية"؛ فأطعمت منها العجوز.

وفى اليوم التالى، خرج العجوز لزيارة صهره الثانى الهلال، وعندما وصل إليه رحَّب به الهلال قائلاً:

ــ كيف يمكننى أن أكرم وفادتك؟

ــ شكرًا لك، لكننى لا أريد شيئًا.

ملأ الهلال المغطس بالماء، ودعا العجوز إلى الاستحمام فيه.

فقال العجوز:

ــ لكن الظلام حالك فى المغطس، فكيف يمكننى الاستحمام؟

رد الهلال قائلاً:

ــ إنه منير للغاية، فاذهب وكن مطمئنًا.

ذهب العجوز إلى المغطس، ومد الهلال إصبعه فى الماء، فأنار المكان على الفور، وعمَّ الضياء المغطس.

انتهت زيارة العجوز للهلال، فعاد إلى بيته، وأمر زوجته أن تملأ له المغطس بالماء، فقالت الزوجة فى دهشة:

ــ لكن الظلام يسود المغطس أيها العجوز.

ــ لا، سوف يصبح منيرًا. فافعلى ما أمرتك به.

امتثلت العجوز لأوامر زوجها، وأراد العجوز أن يقلد الهلال فيما فعله، فوضع إصبعه فى الماء لينيره، غير أن المغطس ظل على حاله غارقًا فى الظلام.

وصرخت الزوجة بغضب:

ــ ألم أخبرك أن الظلام حالك هنا؟

واضطرت الزوجة أن تحضر مشعلاً وتضعه أمام المغطس.

وفى اليوم الثالث، خرج العجوز لزيارة صهره الثالث الغراب، ولما وصل إليه قال له الغراب:

ــ كيف يمكننى أن أكرم وفادتك؟

رد العجوز:

ــ شكرًا لك، لكننى لا أريد شيئًا.

ــ فلنذهب إذن للنوم على السقف.

ثم وضع الغراب سلمًا، وصعد عليه إلى السقف يتبعه العجوز، وجعل الغراب العجوز ينام تحت جناحه.

وما إن راح العجوز فى النوم، حتى سقط الاثنان من فوق السقف وتكسرت عظامهما.

المرض المزعوم

كان ياما كان، ملك يعيش مع زوجته الملكة، وكان لهما ابن واحد يُدعى الأمير إيفان، وسرعان ما مات الملك، وترك مملكته لابنه الأمير إيفان.

حكم الأمير إيفان مملكته بالعدل والحكمة؛ فأصبح محبوبًا من كل الناس، وبعد وقت قليل، تزوج إيفان وصار لديه ابنان.

وفى وقت من الأوقات، خرج الأمير إيفان إلى بلاد بعيدة، فى حملة عسكرية مع جيشه وقواده، ودخل فى حرب ضروس مع الملك بان الأصلع، واستطاع الأمير إيفان أن يكسر شوكة العدو، وأن يهزم قواته، وأخذ الملك بان الأصلع أسيرًا لديه.

وكان بان الأصلع وسيمًا حلو اللسان؛ فوقعت الملكة الأم فى غرامه، وصارت تتردد عليه وتزوره فى زنزانته.

وفى أحد الأيام قال لها بان الأصلع:

ــ كيف السبيل إلى إزاحة ابنك الأمير إيفان عن الملك؟ لو أننا استطعنا التخلص منه، لانفردنا معًا بحكم البلاد.

وأجابت الملكة قائلة:

ــ لو أنك استطعت قتله، فسوف أصبح فى غاية السعادة والفرح.

قال بان الأصلع:

ـ ليس فى مقدورى قتله الآن؛ فإن قوتى لا تضاهى قوته، لكننى سمعت أن هناك تنينًا رهيبًا ذا ثلاثة رءوس، يعيش فى الحقل المكشوف، فتظاهرى بالمرض، واطلبى من الأمير أن يقتل التنين ذا الثلاثة رءوس، ويحضر لكِ قلوبه الثلاثة، ثم أحضريها إلىَّ كى آكلها، وسوف تمنحنى هذه القلوب قوة هائلة.

فى اليوم التالى، تصنعت الملكة المرض، ورقدت فى الفراش تئن وتصيح، ونادت على الأمير إيفان، وقالت له بصوت متحشرج:

ـ إنى مريضة للغاية يا ولدى العزيز، وأريدك أن ترحل إلى الحقل المكشوف، وتقتل التنين ذا الثلاثة رءوس، ثم تُحضر لى بعد ذلك قلوبه الثلاثة، وذلك كى آكلها، وأتعافى من مرضى.

فقال إيفان:

ـ أوامرك مطاعة يا والدتى العزيزة.

ثم انحنى الأمير إيفان على رأس أمه الملكة ولثمها، وامتطى فرسه فى الحال، وخرج إلى الطريق فى مهمته.

سار الأمير فى الطريق حتى وصل إلى الحقل المكشوف، فربط فرسه إلى شجرة بلوط عتيقة، وجلس أسفلها ينتظر.

وفجأة حلّق التنين المخيف فى الأجواء، وحط فوق شجرة البلوط، فمالت الشجرة من ثقله، وتشابكت أغصانها، وصاح التنين مزمجرًا:

ـ هاهاها، إنى أرى طعامًا يكفينى لهذا اليوم، الفرس لوجبة الغداء، والفتى للعشاء.

لكن الأمير إيفان قال:

ـ تمهل ولا تتسرع أيها الوحش الأحمق، فقبل أن تمنى نفسك بالطعام، ينبغى عليك أن تصيده فى الأول.

قال الأمير قوله، وشد قوسه مصوبًا سهامه إلى التنين، فأصاب رءوسه الثلاثة وصرعه، ثم انتزع من جسمه قلوبه الثلاثة، وحملها عائدًا إلى قصره، وأعطاها لأمه.

أمرت الملكة بطهى القلوب، وحملتها إلى بان الأصلع.

أكل الأصلع القلوب، فقالت له الملكة تسأله:

ـ والآن، هل أصبحت فى قوة ابنى الأمير؟

رد بان الأصلع:

ـ لم تبلغ قوتى مقدار قوة ابنك بعد، وقد سمعت بوجود تنين آخر يعيش فى الحقل المكشوف له ستة رءوس، فاطلبى من الأمير أن يصارعه، فإما يصرعه الوحش ويريحنا منه، أو يأتى إليكِ بقلوبه الستة لآكلها، وبذلك نضرب عصفورين بحجر واحد.

أسرعت الملكة إلى ابنها تقول بصوت متحشرج:

ـ ولدى العزيز، لقد تحسنت حالتى بعض الشىء، وإن لم أبرأ بعد تمامًا من المرض، وقد عرفت بوجود تنين آخر، يعيش فى الحقل المكشوف له ستة رءوس، فاقتله من أجلى، وأحضر لى قلوبه الستة لآكلها وأشفى من المرض.

انطلق الأمير إيفان بفرسه، حتى وصل إلى الحقل المكشوف، فربط فرسه إلى شجرة البلوط العتيقة، وجلس أسفلها ينتظر ظهور الوحش.

وبعد مرور وقت قليل، حطَّ التنين ذو الستة رءوس فوق شجرة البلوط، ومالت الشجرة من وطأة ثقله الكبير. رفع التنين رأسه يتشمم الهواء من حوله، وزمجر قائلاً بصوت مخيف:

ـــ هاهاها، الفرس للغداء، والفتى للعشاء.

ـــ لا تتسرع أيها الوحش، ولا تفكر بالطعام قبل أن تصيده.

وشد الأمير قوسه، وصوب سهامه النافذة إلى التنين، فأصاب ثلاثة رءوس من رءوسه.

وهجم التنين فى شراسة على الأمير، وطال الصراع العنيف بينهما حتى نجح الأمير فى النهاية أن يقطع له رءوسه الثلاثة المتبقية، فمزق الأمير جسم التنين بسيفه، وأخرج منه القلوب الستة، ثم حملها إلى والدته الملكة بالقصر.

على الفور أمرت الملكة بطهى القلوب وتحميرها، وبعد طهيها حملتهما إلى بان الأصلع فى محبسه.

قفز بان الأصلع على قدميه من الفرح والسرور، والتهم بسرعة القلوب الستة. عندئذ سألته الملكة قائلة:

ـــ والآن، هل أصبحت فى قوة ابنى الأمير؟

ـــ لا، لم تبلغ قوتى مقدار قوة ابنك بعد، وقد سمعت بوجود تنين ثالث، يعيش فى الحقل المكشوف، وله من الرءوس تسعة، فاطلبى من ابنك الأمير أن يقتله، ويأتى إليك بقلوبه التسعة لآكلها، وسوف أصبح بعد ذلك فى قوة الأمير، وعندئذ أستطيع القتال معه حتى أصرعه.

ذهبت الملكة إلى ابنها الأمير، وقالت له متوسلة:

ــ ولدى الحبيب الغالى، لقد صرت أفضل كثيرًا من السابق، لكننى لم أبرأ كلية من مرضى، وقد قيل لى إن هناك تنينًا ثالثًا، يعيش فى الحقل المكشوف، وله من الرءوس تسعة، فاقتله من أجلى وائتنى بقلوبه التسعة لآكلها، ويخرج المرض اللعين من جسمى.

قال الأمير:

ــ لقد أصابنى الإنهاك يا أمى العزيزة، وأخشى ألا تسعفنى قوتى لمواجهة الوحش ذى الرءوس التسعة.

ــ أرجوك يا ولدى أن تخرج إليه وتقتله، وإلا لن يفارق المرض جسمى.

ومن جديد، خرج الأمير إيفان بفرسه، حتى وصل إلى الحقل المكشوف، فربط فرسه إلى شجرة البلوط وجلس أسفلها حتى راح فى النوم.

وبعد قليل، حطَّ التنين الهائل على الشجرة، فمالت الشجرة حتى وصل جذعها إلى الأرض. رفع التنين رأسه ينظر أسفل الشجرة، وقال بصوت كالرعد:

ــ هاهاها، الفرس للغداء، والفتى للعشاء.

ــ لا تتسرع أيها الوحش فيما تقول، فلا ينبغى أن تفكر بالطعام قبل أن تصيده.

شد الأمير قوسه، وصوب سهامه ثانية إلى التنين المخيف، فأصاب على الفور ستة رءوس من رءوسه، وظل الأمير طويلا يحارب الرءوس الباقية، وأخيرًا نجح فى قطعها جميعًا، ونزع من جسمه قلوبه التسعة، ثم امتطى فرسه يحملها معه إلى القصر.

وما إن رأته الملكة، حتى صاحت تسأله:

ــ هل نجحت فى إحضار القلوب التسعة أيها الابن العزيز؟

ــ نعم، لقد أحضرتها لك بصعوبة بالغة.

ــ شكرًا لك يا ولدى الحبيب، والآن يمكن أن تذهب للراحة.

أخذت الأم القلوب من الأمير، وأمرت الخدم بطهيها، ثم حملتها مسرعة إلى بان الأصلع فى سجنه.

وفى لمح البصر، التهم الأصلع القلوب. وسألته الملكة قائلة:

ــ هل أصبحت قوتك الآن فى قوة ابنى الأمير؟

ــ نعم، لقد أصبحت الآن قوتى تضاهى قوة الأمير، لكننى لا أريد المجازفة، والدخول معه فى قتال طويل، وقد عرفت أن قوة البطل تتضاءل عندما يذهب للاستحمام فى المغطس، فاجعليه يذهب إليه ليستحم، ويفقد قوته.

أسرعت الملكة إلى الأمير إيفان، وقالت له:

ــ ولدى الحبيب الغالى، يجب أن تذهب إلى المغطس، كى تستحم وتزيل من على جسمك العرق وغبار الطريق.

أخذ الأمير إيفان بنصيحة الأم، وذهب إلى المغطس، وما إن بدأ فى الاستحمام، حتى ظهر أمامه بان الأصلع، وقطع رأسه بسيفه الحاد.

عرفت الملكة بما جرى؛ فكادت تطير من الغبطة والفرح، وعاشت مع بان الأصلع غارقة فى الحب واللهو، وحكم الاثنان البلاد.

وصار الولدان الصغيران للأمير إيفان من الأيتام وفى أحد الأيام، كان الابنان يلعبان فى فناء القصر، فكسرا دون قصد نافذة جدتهم الملكة أثناء اللعب واللهو، وصارت الملكة تسبهم صارخة من خلف النافذة:

ــ يا لكم من أوغاد صغار.

أسرع الولدان إلى أمهما، وأخذا يسألانها: "لماذا تعاملنا الجدة بهذه القسوة؟"

ردت الأم قائلة:

ــ لأن والدكما الأمير قد مات، وصرتما أيتامًا، بعد أن قتله بان الأصلع، وواروه الثرى الرطيب.

ــ أعطينا بعض الزاد يا أمى، وسوف نذهب ونبعث والدنا ثانية إلى الحياة.

ــ لا يا أبنائى، فلن يمكنكما أن تعيداه إلى الحياة.

ــ باركينا إذن يا أمى، فسوف نذهب إليه فى كل الأحوال.

ــ اذهبا إذن، وإنى أباركما فى سعيكما.

حمل الولدان ما استطاعا من الزاد والماء، وخرجا إلى الطريق.

طال سيرهما أم قصر لا ندرى. تقول الحدوتة إن الولدين قابلا فى سيرهما رجلاً عجوزًا أبيض الشعر.

ــ إلى أين تذهبان أيها الأميران؟

ــ نحن ذاهبان إلى قبر والدنا الأمير، كى نبعثه ثانية للحياة.

ــ آخ أيها الأميران، لن يمكنكما إحياءه بمفردكما. هل تريدان أن أساعدكما فى ذلك؟

ــ نعم، ساعدنا أيها الجد الطيب.

ــ خذا جذر هذا النبات، واجعلا الأمــير إيفان يشم رائحته، ثم امسحا جسمه به.

أخذ الولدان الجذر من العجوز، ووصلا إلى قبر الأمير إيفان، فصارا يحفران حتى أخرجاه من قبره، ووضعا الجذر تحت أنفه ليشمه، ثم مسحا جسمه بالجذر، فنهض الأمير إيفان من مرقده، وصاح قائلاً:

ــ مرحبًا يا ابنىَ الحبيبين، يبدو أننى رحت فى النوم لوقت طويل.

أسرع الأمير إيفان إلى قصره، وكان بان الأصلع يجلس فى حفل أقامه. فما إن شاهد الأمير حتى تملك الرعب منه، وأخذت أوصاله ترتعد من الخوف، فهجم عليه الأمير، وصرعه على الفور، وألقى بجثته فى الغابة كى تلتهمها الوحوش والضوارى، وسقطت الملكة من المرض طريحة الفراش، إلا أن مرضها كان مرضًا حقيقيًا فى هذه المرة، ولم تبرأ منه أبدًا.

أليونوشكا وإيفانوشكا

كان ياما كان، رجل عجوز يعيش مع زوجته العجوز، وكان لهما ابنة تُدعى أليونوشكا، وابن يُدعى إيفانوشكا.

مات العجوز وزوجته، وبقيت أليونوشكا وإيفانوشكا وحيدين فى الدنيا.

خرجت أليونوشكا للعمل، واصطحبت معها شقيقها، وسار الاثنان مَعا فى الحقل الواسع نحو الطريق البعيد، وحلَّ العطش بإيفانوشكا فقال:

ــ أيتها الأخت أليونوشكا، أريد أن أشرب.

ــ اصبر قليلاً يا أخى، حتى نصل إلى البئر.

وظلا يسيران ويسيران، وكانت الشمس تسطع عاليًا، والبئر ما زال بعيدًا، والقيظ شديدًا، وصار العرق ينهمر غزيرًا من الأجسام، وظهرت أمامهما بركة من الماء تشرب منها الأغنام.

ــ أيتها الأخت أليونوشكا، دعينى أشرب من هذه البركة.

ــ لا تشرب منها أيها الأخ، وإلا تحولت إلى خروف.

أخذ الأخ بنصيحة أخته، ومضى الاثنان يواصلان السير.

كانت الشمس تسطع عاليًا، والبئر ما زال بعيدًا، والقيظ شديدًا، وصار العرق ينهمر غزيرًا من الأجسام، وظهرت أمامهما بركة كبيرة من الماء تشرب منها الجياد.

ــ أيتها الأخت أليونوشكا، دعينى أشرب من هذه البركة.

ــ لا تشرب منها أيها الأخ، وإلا تحولت إلى مهر.

تنهد إيفانوشكا بحسرة، ثم واصل الاثنان سيرهما.

سارا طويلاً، وامتد الطريق بلا نهاية، وسطعت الشمس عاليًا فى السماء، والبئر ما زال بعيدًا، والقيظ شديدًا، وصار العرق ينهمر غزيرًا من الأجسام. وظهرت أمامهما بركة من الماء تشرب منها التيوس.

صاح إيفانوشكا قائلاً:

ــ أيتها الأخت أليونوشكا، إننى أكاد أحترق من العطش، فدعينى أشرب من هذه البركة.

ــ لا تشرب منها أيها الأخ، وإلا تحولت إلى تيس.

لكن إيفانوشكا لم يصغ إلى تحذير أخته، وشرب من البركة حتى ارتوى، وفى هذه اللحظة نفسها تحول إلى تيس.

نادت أليونوشكا على أخيها، فركض إليها تيس أبيض اللون بدلاً من شقيقها إيفانوشكا.

انهمرت الدموع على وجه أليونوشكا، وجلست تبكى أسفل إحدى الأشجار، بينما أخذ التيس يركض ويقفز من حولها.

ومر بها فى جلستها أحد التجار فقال لها:

ــ لماذا تبكين أيتها الفتاة الجميلة؟

فحكت أليونوشكا للتاجر عن محنتها.

عندئذٍ قال لها التاجر:

ــ اقبلى الزواج منى، وأنا أجعلك ترفلين فى الذهب والفضة، ونأخذ التيس يعيش معنا.

فكرت أليونوشكا طويلاً، ثم وافقت على الزواج من التاجر.

وصاروا جميعًا يعيشون معًا، وأصبح التيس يقيم معهم، شاربًا آكلاً مع أليونوشكا.

وفى إحدى المرات خرج التاجر من البيت، وظهرت ساحرة شمطاء من حيث لا ندرى، فوقفت أسفل النافذة، وأخذت تنادى وتداعب أليونوشكا، وتدعوها إلى الخروج للاستحمام فى ماء النهر.

وذهبت الساحرة مع أليونوشكا إلى النهر، وهناك هجمت عليها، وربطت حجرًا ثقيلاً برقبتها، ثم ألقت بها فى ماء النهر.

بعد ذلك تحولت الساحرة إلى صورة طبق الأصل من أليونوشكا، فارتدت ثيابها، واتخذت هيئتها، وعادت إلى البيت، ولم يكتشف أحد حيلة الساحرة، ولما رجع التاجر إلى المنزل ظن هو الآخر أنها أليونوشكا.

كان التيس فقط هو الوحيد الذى أدرك حقيقة الأمر، فنكس رأسه، وامتنع عن تناول الطعام والشراب، وظل يسير صباحًا ومساء على شاطئ النهر ينادى قائلاً:

ــ أليونوشكا أليونوشكا يا أختى الحبيبة

اخرجى إلى الشاطئ فالغابة رحيبة ..

وعندما عرفت الساحرة بأمر التيس، طلبت من زوجها قائلة:

"أريدك أن تذبح لى التيس، أريد أن أتذوق لحمه".

أشفق التاجر على التيس بعد أن ألفه واعتاد وجوده فى البيت. غير أن الساحرة لم تكف عن الإلحاح عليه لذبحه، وفى النهـاية قبل التاجر صـاغرًا، وقال لها:

ــ ما دامت هذه رغبتك فاذبحيه.

على الفور أمرت الساحرة بإشعال النار، وتسخين الماء فى القدور، وشحذ السكاكين.

أدرك التيس أن نهايته قد دنت، ولم يبق له فى الحياة سوى القليل، فقال للجزار:

ــ أرجوك أن تدعنى أخرج إلى النهر قبل موتى، وذلك كى أشرب منه الماء وأروى به جوفى.

ــ حسنًا، اذهب إلى النهر.

ركض التيس مسرعًا إلى النهر، وأخذ يسير على الشاطئ، وصاح راجيًا وهو يردد:

أليونوشكا أليونوشكا يا أختى الحبيبة

اخرجى إلى الشاطئ فالغابة رحيبة

شعلة النار تتوهج عاليًا

والسكاكين نصلها قاسيًا

والماء فى القدور يغلى ويفور

يريدون ذبحى كى لا أرى النور

ردت أليونوشكا من قلب الماء تقول:

ــ إيفانوشكا إيفانوشكا يا أخى الملتاع

الصخرة الثقيلة تسحبنى إلى القاع

تحت الأقدام الطحالب ناعمة

وفوق الجسم الرمال جاثمة

فى هذا الوقت كانت الساحرة تبحث عن التيس فى كل مكان، لكنها لم تجد له أثرا، فنادت على الخادم، وصرخت فيه قائلة:

ــ اذهب على الفور وأحضر لى التيس.

وخرج الخادم إلى النهر، وشاهد التيس يركض على الشاطئ، ويردد مناديًا:

اخرجى إلى الشاطئ فالغابة رحيبة

شعلة النار تتوهج عاليًا

والسكاكين نصلها قاسيًا

والماء فى القدور يغلى ويفور

يريدون ذبحى كى لا أرى النور

وردت أليونوشكا من قلب الماء تقول:

ــ إيفانوشكا إيفانوشكا يا أخى الملتاع

الصخرة الثقيلة تسحبنى إلى القاع

تحت الأقدام الطحالب ناعمة

وفوق الجسم الرمال جاثمة

عاد الخادم أدراجه مسرعًا إلى البيت، وأخبر التاجر بما سمعه عند النهر، فجمع التاجر عددًا من الناس، وخرجوا إلى الشاطئ، ورموا فى الماء بشبكة كبيرة من الحرير، وأخرجوا بها أليونوشكا إلى البر، ثم نزعوا الحجر المربوط برقبتها، وألقوا به فى الماء، وبعد ذلك ألبسوها ثيابًا جميلة جديدة، وبعثت أليونوشكا إلى الحياة ثانية، وصارت أجمل وأروع من السابق.

أما التيس فقد قفز فى الهواء من فرط سعادته، ودار ثلاث دورات حول رأسه، فعادت إليه هيئته السابقة، وأصبح إيفانوشكا من جديد.

لم يبقَ سوى القصاص من الساحرة الشريرة، فقاموا بربطها إلى ذيل فرس، وأطلقوها فى العراء ليقوم بسحلها.

إيفان الأحمق و إيلينا الحكيمة

كان ياما كان، فلاحة تعيش فى إحدى القرى، ولم يكن للمرأة سوى ابن وحيد يُدعى إيفان، فكرست حياتها لتربيته ورعايته.

وجاء الوقت الذى كبر فيه إيفان وترعرع، وفرحت الأم بأن ولدها صار شابًا كبيرًا، لكنها حزنت لقلة عقله وعدم فطنته، وفى حقيقة الأمر لم ينجح إيفان فى أى عمل من الأعمال، ولم يفلح فى صنعة ولا حرفة، وفى أحد الأيام استعد إيفان للخروج ليحرث الأرض ويبذر بها حبوب القمح، فقالت الأم له محذرة:

ــ انتبه يا إيفان، بعــد أن تحرث الأرض لا تضــع البذور على عمق كبير منها.

لكن إيفان حرث الأرض حتى وصل إلى بطن التربة، ودفن بها البذور عميقًا عميقًا، ولم تنبت البذور بعد ذلك لا قمحًا ولا شعيرًا، ومضت جميع أحواله على هذا النحو، فكان يقدم على العمل جاهدًا بإخلاص وحسن طوية، ثم سرعان ما يفسده بحماقته وقلة عقله، وأمه العجوز قد صارت طاعنة فى العمر، ولم يعد بمقدورها القيام بالعمل، فكيف يمكنهم العيش؟ عاش الاثنان بالطبع فى فقر شديد وعوز مضن.

أكل الاثنان آخر كسرات من الخبز بالبيت، وأخذت الأم تفكر فى مصير ابنها: كيف يمكنه الحياة بعقله الأحمق وبلادته؟ ليس هناك وسيلة لنجاته إلا الزواج

من امرأة حكيمة، لكن من هى المرأة التى يمكنها القبول بزوج عاطل عن الموهبة، وعاجز عن القيام بأى من الأعمال؟ لن تقبل واحدة بإيفان وهو بهذا الحال.

وفى أحد الأيام خرجت الأم لأمر من الأمور، وجلس إيفان على قارعة الطريق لا يفكر فى شىء ولا يحمل همًا.

نظر إيفان فشاهد عجوزًا يسير متكئًا على عكاز رفيع، والريح تضرب وجهه بتراب الأرض وتعفره بالغبار، ثم وقف العجوز أمام إيفان، وقال له:

ــ أعطنى بعض الطعام آكله يا ولدى؛ فقد قطعت طريقًا طويلاً ونفد الزاد منى.

رد إيفان قائلاً:

ــ للأسف أيها الجد، لم يبق لدينا فى البيت كسرة خبز واحدة أدعوك إليها، ولو كنت أدرى بمجيئك لما أكلت الخبز واحتفظت لك به، لكن يمكنك الذهاب معى لتستحم بالماء، وأغسل لك ثوبك المتسخ.

ملأ إيفان المغطس بالماء، وذهب بالعجوز إليه ليستحم، ويزيل من على جسمه تراب الطريق، ثم قام بتنظيف ثياب العجوز وغسلها، ووضعه فى الفراش.

نام العجوز وارتاح من عناء السفر، وعندما استيقظ من نومه قال:

ــ لن أنسى صنيعك الطيب معى، فإذا ألمت بك ضائقة أو محنة، اخرج إلى مفترق الطرق بالغابة حتى ترى صخرة رمادية كبيرة، فادفعها بكتفيك مناديًا: "السد أمامى أيها الجد"، وعندئذٍ سوف تجدنى أمامك على الفور.

قال العجوز ما قاله ورحل فى طريقه، وساءت الأحوال عند إيفان وأمه، فلم يعد لديهما فى البيت حتى كسرة خبز يأكلانها، وصارا يتضوران جوعًا، فصاح إيفان قائلا لأمه:

ـ انتظرينى بعض الوقت يا أمى. فسوف أخرج للحصول على الخبز.

ردت الأم بصوت واهن:

ـ إلى أين تريد الذهاب أيها البائس بليد العقل؟ وكيف لك الحصول على الخبز؟ لا تشغل بالك بطعامى فإننى سوف أموت فى جميع الأحوال، بل حاول العثور على زوجة حكيمة صالحة لك، وعندئذٍ سوف تدبر لك طعامك وأمورك بنفسها.

تنهد إيفان وخرج إلى الغابة، وذهب إلى مفترق الطرق حيث عثر على الصخرة الرمادية، فدفعها بكتفيه مناديًا: " السد أمامى أيها الجد". وفى لمح البصر ظهر العجوز أمامه، وقال له:

ـ هل هناك ما تريده أيها الفتى الطيب؟ أم أنك جئت لزيارتى؟

وسار العجوز مع إيفان فى الغابة، حتى وصلا إلى منزل كبير فخيم، وعرف إيفان أن العجوز هو صاحب المنزل.

وذهب العجوز مع إيفان إلى المطبخ، حيث كان الطاهى يشوى خروفا، ودعا العجوز الفتى للطعام، فأكل إيفان الخروف وطلب المزيد، فصاح العجوز فى الطاهى:

ـ أعد له خروفا ثانيًا.

وعندما شوى الطاهى الخروف الثانى، قدمه العجوز لإيفان قائلا:

ـ كُلْ أيها الفتى ما شئت حتى تشبع.

رد إيفان:

ـ لقد شبعت أيها الجد، لكننى أريد من طاهيك أن يحمل الخبز والخروف إلى أمى، فهى تعانى من الجوع منذ أيام.

أمر العجوز طاهيه أن يحمل الخروف والخبز إلى أم إيفان، ثم قال له:

ــ لماذا تعيش فى جوع مع أمك؟ وكيف يمكنك إطعام أسرتك عندما تتزوج؟

أجاب إيفان:

ــ لا أدرى أيها الجد، لكننى لم أتزوج بعد حتى الآن.

قال العجوز:

ــ هذا أمر مؤسف للغاية أيها الفتى، لكننى سوف أعطيك ابنتى زوجة لك؛ فلها عقل راجح وبصيرة نافذة.

ونادى العجوز على ابنتــه، فدخلت إليهما فتــاة رائعة الحسن والجمــال، لا نظير لحسنها فى العالم بأسره، فنظر إليها إيفان، وخفق قلبه لها حتى كاد يتوقف.

رمق الوالد العجوز ابنته بنظرة صارمة قائلاً لها:

ــ خذى هذا الفتى زوجًا لك، ولتصبحى زوجةً له.

ردت الفتاة الحسناء فى إذعان:

ــ الأمر أمرك أيها الوالد.

وتزوج الاثنان وصارا يعيشان معًا، ومضت أيامهما فى رغد وسلام، فكانت زوجة إيفان تدبر شئون البيت، وكان الوالد العجوز كثير الترحال فى بلاد الله، يبحث عن العلم والحكمة، ونادرًا ما يعود إلى البيت، وكان يجلس فى أوقات تواجده القليلة مستغرقًا فى القراءة والكتابة.

وفى إحدى المرات، عاد العجوز من سفره حاملاً مرآة سحرية مستديرة، جلبها من الصانع الساحر المقيم فوق الجبال الباردة، وقام العجوز بإخفاء المرآة فى ركن بالبيت.

وعاشت أم إيفان فى شبع ورضى ببيتها القديم فى القرية كما كانت سابقا، وطلب الابن منها أن تقيم معه، غير أنها لم ترغب فى العيش ببيت زوجة إيفان. وقالت له:

ــ إن نفسى لا تطاوعنى على الإقامة هناك، فإن زوجتك الحسناء إيلينا من أسرة مرموقة ثرية، ولا أعلم كيف صرت جديرًا بها، ونحن من الفقراء المعدمين.

ظلت أم إيفان تقيم ببيتها القديم، وأقام إيفان فى بيته الفاخر وهو يفكر: "إن أمى محقة فيما قالته". فعلى الرغم من أنه عاش فى رغد وثراء، مع زوجة رائعة الجمال لا تنطق إلا بأجمل العبارت، فإنه كان يشعر دائمًا ببرودة شديدة فى حياته، وبأن علاقته بزوجته هى علاقة غير مكتملة ينقصها شىء ما.

وفى أحد الأيام جاء العجوز إلى إيفان، وقال له:

ــ سوف أرحل فى هذه المرة إلى بلاد بعيدة للغاية، ولن أعود من سفرى قريبًا، فاحتفظ بهذا المفتاح معك، وقد كنت أحمله معى دائمًا فى السابق، أما الآن فأخشى ضياعه منى أثناء سفرى الطويل، فهذا مفتاح للسرداب المغلق، وإذا دفعك الفضول لفتحه فلا تصطحب معك زوجتك، ولو ذهبت بزوجتك إليه، فلا تعطيها الثوب المزركش الموجود فى السرداب بأى حال من الأحوال، وعندما يحين الوقت المناسب، فسوف أعطيها الثوب بنفسى. انتبه وتذكر جيدًا ما قلته لك، وإلا فسوف تعرض نفسك للموت المحتوم.

قال العجوز ما قاله، ومضى فى طريقه.

وبعد مرور بعض الوقت جلس إيفان يفكر:

"لن يضيرنى شىء لو ذهبت إلى السرداب لإلقاء نظرة عليه، ولن أصطحب معى زوجتى".

ذهب إيفان إلى السرداب الموصد دائمًا، وفتح بابه ودلف إلى الداخل، ونظر فرأى كميات هائلة من الذهب والأحجار الكريمة التى تلألأت بنورها، وغيرها من النفائس التى لم يعرف إيفان لها اسمًا، وكان فى ركن السرداب باب يقود إلى مكان سرى، وما إن فتح إيفان الباب وتطلع بنظره إلى الداخل، حتى هتف بصوت عالٍ مناديًا:

ــ زوجتى العزيزة إيلينا، تعالى سريعًا إلى هنا.

كان بالداخل ثوب معلق مزركش بألوان زاهية، ومرصع بالماس والأحجار الكريمة، وكانت ألوانه تأج بأضواء ساطعة تغمر المكان، وفرح إيفان بالثوب فرحًا كبيرًا، وفكر قائلاً فى نفسه: "إن هذا الثوب قد صنع خصيصًا ليلائم زوجتى إيلينا".

عندئذ، تذكر إيفان تحذير العجوز له بعدم إعطاء الثوب لزوجته، ففكر قائلاً: " لن يحدث شىء للثوب، فسوف أريه فقط لزوجتى كى أشاهد ابتسامتها". وكان إيفان يحب زوجته حبًا عظيمًا، وكان يشعر بسعادة كبيرة عندما يشاهد ابتسامتها تضىء ثغرها الصغير.

جاءت الزوجة إلى السرداب، وشاهدت الثوب فحملته بيديها وهى تقول بإعجاب:

ــ يا له من ثوب رائع الجمال.

وقالت لإيفان راجية:

ــ أريد أن أجرب هذا الثوب على جسمى ولو مرة واحدة.

لكن إيفان رفض السماح لها بارتداء الثوب، فمضت الزوجة فى البكاء قائلة:

ــ لو أنك تحبنى كما تدعى لما بخلت علىَّ بهذا الثوب الجميل. دعنى أجربه فقط على الأقل، فربما لا يناسبنى مقاسه.

وفى النهاية أذعن إيفان لإلحاح الزوجة، وقال لها:

ــ حسنًا، ارتديه حتى تعرفى إن كان مقاسه يناسبك.

ارتدت الزوجة الثوب الجميل، ووضعت يدها فى جيبه فعثرت على مرآة به، فأخرجتها من الجيب، وأخذت تتطلع إليها لترى صورتها، ثم هتفت تقول وهى تنظر إليها:

ــ يا للخسارة، كيف تعيش حسناء مثلى مع زوج قليل العقل مثل إيفان؟ لو أننى كنت طائرًا، لحلقت بعيدًا بعيدًا عنه.

وما إن نطقت الزوجة بعبارتها، حتى تحولت إلى حمامة بيضاء، وطارت فى الثوب عبر النافذة، محلقة بعيدًا بعيدًا فوق مياه البحر الأزرق، وأدرك إيفان أن الثوب كان ثوبًا سحريًا.

تملك الحزن من إيفان، لكن الوقت لم يكن مناسبًا لأن يجلس متجرعًا أحزانه، فحمل زاده من الخبز، وخرج للبحث عن زوجته، وسار يحدث نفسه قائلاً:

ــ يا لها من امرأة حمقاء لا تصغى لنصيحة أبيها. كيف تخرج طائرة من البيت بلا إذن؟ سوف أعثر عليها وألقنها الحكمة والبصيرة.

قال إيفان قوله وتذكر بلادة عقله فأخذ فى البكاء.

ومضى إيفان يقطع الطرق والدروب، ويعبر الغابات والوديان ولا تغيب عن ذهنه صورة زوجته الحبيبة، حتى وصل إلى شاطئ البحر، فرأى سمكة ملقاة فوق الرمال تحتضر وهى تحاول العودة إلى الماء بلا جدوى. نظر الفتى إلى السمكة وفكر قائلاً:

"إن حال هذه السمكة أسوأ من حالى بكثير".

ثم حمل السمكة برفق، ورمى بها فى قلب الماء، فغطست السمكة فى البحر لبعض الوقت، ثم عادت إلى سطح الماء، ورفعت رأسها قائلة:

ــ لن أنسى لك صنيعك الطيب أيها الفتى إيفان، وعندما تلم بك ضائقة صح قائلاً: "سمكتى يا سمكتى، هل تذكرين إيفان؟"، وسوف ألبى نداءك على الفور.

أكل إيفان كسرة من الخبز، ومضى يواصل طريقه حتى بدأ الليل فى الهبوط، ونظر إيفان فرأى حدأة تقبض على غراب بمخالبها، وتستعد لالتهامه، فقال الفتى فى نفسه:

"إن حال هذ الغراب المسكين أسوأ من حالى بكثير".

وركض إيفان نحو الحدأة يخيفها، حتى أفلتت الغراب من بين مخالبها.

حطَّ الغراب على غصن الشجرة، وصاح قائلاً لإيفان:

ــ عندما تحتاج للعون صح قائلاً: "أيها الغراب، هل تذكر صنيعى الطيب؟".

قضى إيفان ليلته أسفل الشجرة، وفى الصباح مضى يواصل طريقه، وطال سيره حتى ابتعد كثيرًا عن بيته، وأصابه التعب والإنهاك، فنحل بدنه حتى اتسعت ملابسه على جسمه، وبدا الطريق أمامه بلا نهاية، فظل يسير لمدة عام ونصف

العام، وعبر الأرض بطولها حتى وصل إلى البحر، ولم تعد هناك أرض لم تطأها قدماه.

فسأل إيفان أحد السكان من أهل المكان:

ــ لمن هذه الأرض؟ ومن هو الملك والملكة على هذه البلاد؟

رد الرجل:

ــ إن مملكتنا تحكمها إيلينا الحكيمة التى تعرف كل شىء، ولديها كتاب مدون به كل الأحداث والأخبار، كما أنها ترى كل ما يجرى، فلديها مرآة تشاهد فيها كافة الأمور، ولا بد أنها تراك الآن فى مرآتها العجيبة.

وكان هذا بالفعل ما حدث، فقد رأت إيلينا الحكيمة إيفان فى المرآة، وذلك عندما أخذت خادمتها داريا تمسح الغبار من فوق المرآة، فشاهدت بها صورة لأحد الغرباء، وأسرعت الخادمة إلى إيلينا الحكيمة قائلة لها:

ــ إنى أرى فى المرآة رجلاً غريبًا هزيلاً مثل العود اليابس يسير على الشاطئ.

نظرت إيلينا الحكيمة إلى المرآة وصاحت قائلة:

ــ هذا ليس بغريب على الإطلاق. إنه زوجى إيفان.

وذهب إيفان إلى القصر، فوجده غارقًا فى الضباب، وشاهد سورًا من الأسياخ الحديدية يحيط به من كل جانب، وفوق كل سيخ منهم رأس آدمية معلقة. عدا واحدًا منهم كان خاليًا.

سأل إيفان أحد السكان قائلاً:

ــ لمن هذه الرءوس؟

رد عليه الرجل:

ــ إنها لخطاب الملكة إيلينا الحكيمة، الذين تقدموا للزواج منها؛ فإن ملكتنا تتمتع بجمال لا نظير له فى العالم، وعقل راجح لا مثيل لحكمته فى الدنيا؛ لذلك يتقدم إليها العديد من السادة والأمراء للزواج منها، وهى تشترط فيمن يتقدم إليها، أن يتفوق عليها فى الحكمة والعقل، ومن يفشل فى ذلك يصبح مصيره القتل، وقد ظل سيخ واحد فارغًا من الرءوس، بانتظار من يتقدم إليها من العرسان.

قال إيفان:

ــ حسنًا، سوف أتقدم لها للزواج منها.

أجاب الرجل ساخرًا:

ــ لا بد أنك بلا عقل حتى تُقدم على هذا الأمر.

ومضى الرجل فى حال سبيله. أما إيفان فأسرع إلى قصر الملكة إيلينا الحكيمة.

دخل إيفان على إيلينا فى بهو القصر، وكانت جالسة على عرشها ترتدى ثوب أبيها السحرى الذى ارتدته فى السرداب، ولما رأت إيفان قالت له:

ــ ماذا تريد؟ وما الذى أتى بك إلى هنا؟

رد إيفان:

ــ جئت كى أملى عينى من وجهك، بعد أن اشتقت إليكِ.

ــ لقد جاء قبلك كل هؤلاء ليملوا عينيهم من وجهى، ودفعهم الشوق إلىَّ.

قالت إيلينا الحكيمة قولها لإيفان، وهى تشير له نحو أسياخ السور التى علقت فوقها رءوس القتلى من الأمراء والسادة.

ــ هل نسيتى أنكِ زوجتى؟

أجابت الملكة:

ــ لقد كنت زوجة لك فى الماضى، أما الآن فقد تغيرت الأحوال، ولا يمكن أن أصبح زوجة لأبله بليد العقل مثلك، ولو أنك تريد الزواج منى فعليك تنفيذ شروطى، وإن لم تنجح فى القيام بها، فسوف تفقد رأسك فوق هذا السيخ هناك، ويعلق بجوار الرءوس الأخرى.

قال إيفان: لن أتخلى عن حبى لك مهما جرى، فأخبرينى بما تطلبين وأنا أفعله.

ردت الملكة:

ــ عليك الاختباء منى ولو فى آخر الدنيا كى لا أعثر عليك، ولو وجدتك فلا أتعرف عليك، عندئذٍ سوف أدرك أنك أكثر حكمة منى، وأقبل الزواج بك، أما لو فشلت فى الاختباء منى، فسوف تفقد رأسك.

طلب إيفان راجيًا:

ــ أرجو تأذنى لى بقضاء ليلتى فى جرن القصر وتناول بعض الخبز، وفى الصباح أنفذ لك ما تطلبيه.

وافقت الملكة على طلب إيفان، وعندما حلَّ المساء، وضعت الخادمة داريا كومة من القش فى الجرن لمبيت الفتى، وأحضرت له الخبز والعصير، فأكل إيفان وشرب، ثم رقد فوق القش يفكر: "ترى ماذا يحمل الغد لى؟" ثم سمع إيفان صوت بكاء فى الخارج، فنهض خارجًا إلى مصدر الصوت، ونظر فرأى داريا فى شرفتها تحمل ثوب الملكة السحرى، وتحاول رفأ الثقوب فيه بالخيط والإبرة وهى تبكى. فسألها إيفان:

ــ لماذا تبكين يا داريا؟

ردت داريا:

ـ وكيف لا أبكى وفى الغد ينتظرنى الموت المحتوم؟ فقد أمرتنى الملكة أن أرفأ الثقوب فى ثوبها وأرتقها، لكن الإبرة لا تصلح معه؛ لأن نسيجه رقيق للغاية، وإن لم أنجز العمل فسوف تقتلنى فى الصباح.

قال إيفان:

ـ أعطنى الثوب أجرب بنفسى، فربما أنجح فى ذلك الأمر وأنقذ رقبتك.

أجابت داريا:

ـ كيف أعطيك مثل هذا الثوب، وقد وصفتك الملكة بالأبله قليل العقل؟ على أية حال جرب فى جزء صغير منه وأنا أراقبك.

جلس إيفان حاملاً الثوب الثمين، وبدأ فى رتق الثقوب به، ثم أدرك أن الإبرة لا تصلح معه لرقة نسيجه، بل إنها قد تمزقه، فترك الإبرة جانبًا، وأخذ يدخل الخيط بين الثقوب بيده ويرفأها. عندئذ صاحت فيه داريا بغضب قائلة:

ـ أليس لك قدر قليل من العقل؟ كيف يمكنك أن ترتق كل هذه الثقوب بيديك؟ إن عددها كثير للغاية.

رد إيفان:

ـ سوف أجلس بصبر وتؤدة على العمل حتى أنجزه. أما أنت فيمكنك الذهاب للنوم، وفى الصباح سوف يصبح الثوب جاهزًا.

جلس إيفان طوال الليل تحت ضوء القمر يرتق الثقوب بالثوب، وظل يعمل بصبر شديد حتى اكتمل العمل، وصار الثوب يتلألأ بنوره من جديد.

وفى الفجر أخذ إيفان يتطلع إلى الثوب الذى أصبح قطعة واحدة بلا أى ثقب، ثم حمله بين يديه فشعر بشىء فى جيوب الثوب، ورأى فى أحد جيبيه كتاب

العجوز الذى سجل به كل الحكم والعلوم، وفى الجيب الآخر كانت هناك المرآة المستديرة التى جلبها العجوز من الصانع الساحر المقيم فوق الجبال الباردة، ونظر إيفان إلى المرآة فرأى صورته غائمة غير واضحة، وفتح الكتاب يحاول أن يقرأ فيه، فلم يفهم من كلماته شيئًا. حينئذ أخذ يفكر قائلاً فى نفسه: "يقول الناس إننى أبله بليد العقل، ويبدو أنهم محقون فى قولهم".

عند الصباح جاءت الخادمة داريا إلى إيفان، وأخذت منه الثوب، وصارت تتطلع إليه فى دهشة، وقالت:

ــ إننى شاكرة لك صنيعك هذا، فقد أنقذتنى من موت محقق، ولن أنسى عملك الطيب.

وأزف الوقت ليخرج إيفان إلى مخبأ لا تصل إليه عيون الملكة إيلينا، وخرج إلى الفناء وشاهد كومة من الدريس، فأسرع إليها واندس بداخلها وهو يفكر: "لن يجدنى أحد فى هذه الكومة". وفى الوقت نفسه اندفعت كلاب القصر تنبح ناحيته بصوت عال، وأخذت داريا تنادى عليه قائلة:

ــ اخرج من كومة الدريس أيها الأحمق، فإننى أراك من هنا، ما بالك بالملكة وكلابها.

خرج إيفان من مخبئه وهو يفكر: "إلى أين يمكننى الذهاب والاختباء من الملكة؟" ثم ركض حتى وصل إلى البحر الأزرق، وتذكر السمكة التى أنقذها فهتف مناديا: "سمكتى يا سمكتى، هل تذكرين إيفان؟".

على الفور خرجت السمكة برأسها من الماء، وقالت:

ــ هيا اقفز إلىَّ، وسوف أخفيك فى قاع البحر.

قفز إيفان إلى الماء، وسحبته السمكة إلى قاع البحر، وصارت تردم فوقه الرمال بذيلها حتى غطته تمامًا.

أما الملكة إيلينا الحكيمة، فجلست تنظر فى مرآتها تبحث عنه فى الأرض فلا تراه، ثم فى السماء فلم تجد له أثرًا، ثم أدارت المرآة تبحث عنه فى مياه البحر. فلم تر سوى المياه الزرقاء، وفكرت الملكة قائلة: "كنت أظن أننى ملكة الدهاء والمكر، وإذا بإيفان الأحمق أشد منى مكرًا وفطنة".

ثم فتحت كتاب الوالد العجوز، وأخذت تقرأ فيه: "إن مكر العقل قوى، لكن الخير أقوى من المكر، والخير يتذكر دائمًا من صنعه". قرأت الملكة هذه الكلمات خطيًا، ثم قرأتها ثانية شفاهة، وعندئذ، أخبرها الكتاب عن مكان إيفان فى قاع البحر، وعن السمكة التى قامت بإخفائه تحت رمال القاع. فصاحت الملكة قائلة:

ــ سوف أمسك بكِ أيتها السمكة، وأجعلك طعامًا لى فى الغداء إن لم تخرجى إيفان.

ونادت الملكة على خادمتها داريا، وقالت لها:

ــ اذهبى فورًا إلى البحر، واطلبى من السمكة أن تخرج إيفان من القاع.

عاد إيفان إلى الملكة إيلينا الحكيمة، وقال لها:

ــ يمكنك أن تأمرى بإعدامى، فإننى لست جديرًا بكِ.

فكرت إيلينا الحكيمة بعض الوقت، ورقَّ قلبها لإيفان الذى كان زوجها فى أحد الأيام، وفكرت فى نفسها: "إن قتله متاح فى جميع الأوقات، فلأمنحه فرصة ثانية".

وقالت له الملكة:

ـــ اختبئ مرة ثانية، وحاول أن تتفوق على مكرى وذكائى، وإن لم تنجح فى هذه المرة، فسوف تفقد رأسك مهما رجوتنى.

خرج إيفان يبحث عن مكان يختبئ به من الملكة، لكنه فكر فى نفسه: "أين يمكننى الاختباء منها ولديها المرآة السحرية التى تكشف لها كل شىء؟ وإن لم ترنى بها فسوف يخبرها كتاب الحكمة عن مكانى".

ثم صاح إيفان قائلاً:

ـــ أيها الغراب، هل تذكر صنيعى الطيب؟

وفى لمح البصر ظهر الغراب أمامه قائلاً:

ـــ اجلس على الأرض، وسوف تصبح بذرة.

جلس إيفان على الأرض، وتحول إلى بذرة ابتلعها الغراب بمنقاره.

وجلست إيلينا أمام المرآة السحرية تبحث عنه فى الأرض والسماء والبحار فلا تراه، وشاهدت فى المرآة كل شىء آخر عدا إيفان. ثارت إيلينا غاضبة، ورمت المرآة على الأرض فكسرتها، ونادت على الخادمة داريا التى حملت أجزاء المرآة المكسورة، وألقت بها فى ركن من فناء القصر.

عندئذ فتحت إيلينا الحكيمة كتاب والدها، وقرأت فيه: "لقد صار إيفان بذرة، والبذرة فى جوف الغراب، والغراب فوق الشجرة".

أمرت إيلينا خادمتها داريا بالذهاب إلى الغراب، وقالت لها:

ـــ اطلبى من الغراب أن يخرج البذرة من جوفه، وإلا أكلته حيًا على العشاء.

وخرجت داريا إلى الغراب عند الشجرة تنادى عليه، وما إن سمع الغراب صوتها، حتى أصابه الخوف، وبصق البذرة من جوفه، فسقطت البذرة على الأرض، وعلى الفور تحولت إلى إيفان مرة ثانية.

ذهب إيفان مرة أخرى إلى إيلينا الحكيمة، وقال لها:

ــ يمكنك قتلى الآن أيتها الملكة، فإننى حقا قليل العقل، ولا أضاهيك فى الحكمة والمكر.

قالت الملكة: غدًا أقتلك، وأعلق رأسك فوق السيخ الفارغ.

رقد إيفان ليلاً فوق القش يفكر فى مصيره، وفى الموت الذى ينتظره عند الصباح، وأخذ يتذكر أمه الحنون، وتذكر حبه الكبير لها، فارتاحت نفسه بعض الشىء.

ونظر إيفان فرأى داريا تسير نحوه حاملة بعض الطعام.

أكل إيفان الطعام، وقالت له داريا:

ــ لا تخش ملكتنا، فهى ليست بهذا الشر الذى تبدو عليه.

أجاب إيفان قائلاً:

ــ إن الزوج لا يخشى زوجته، بل يسعى لتلقينها الحكمة والعقل.

ــ لا تتعجل الموت غدًا، بل أخبر الملكة عن رغبتك الأخيرة فى القيام بزيارة أمك قبل الموت.

فى الصباح، قال إيفان للملكة إيلينا الحكيمة:

ــ أرجو أن تمنحينى قليلاً من العمر كى أرى أمى. فهل يمكن دعوتها للحضور إلى هنا؟

تطلعت إليه الملكة قائلة:

ــ سوف أمنحك الفرصة الأخيرة للحياة، فاختبئ منى حيث لا أجدك، وإذا نجحت فى ذلك تكتب لك النجاة.

خرج إيفان للمرة الثالثة يبحث عن مكان يتوارى فيه عن أعين الملكة، وفجأة شاهد الخادمة داريا تركض خلفه منادية:

ــ انتظر، فسوف أخفيك عن عينيها؛ لأننى لم أنسَ صنيعك الطيب معى.

ونفخت الفتاة فى وجه إيفان، فتلاشى على الفور، وتحول إلى أنفاس دافئة، استنشقتها داريا إلى رئتيها فى صدرها، ثم ذهبت بعد ذلك إلى حجرة الملكة، وأخرجت كتاب الحكمة من درج الطاولة، ومسحت التراب من عليه ونفخت فيه أنفاسها، فتحولت الأنفاس إلى حروف وفقرات جديدة مبهمة فى الكتاب، فاختلطت العبارات والحكم بعضها البعض، وصار إيفان حُروفًا بداخله، فأعادت داريا الكتاب إلى مكانه بالدرج، وخرجت من الحجرة.

سرعان ما دخلت إيلينا الحكيمة إلى حجرتها، وفتحت الكتاب تقرأ فيه لتعثر على إيفان، لكن الكتاب لم يخبرها بشىء، وكانت كل عباراته مبهمة بالنسبة للملكة التى لم تفهم شيئًا من كلماته وجمله.

ثارت إيلينا الحكيمة وتملك الحنق منها، ورمت بالكتاب فى سورة من الغضب، فوقعت منه الحروف وخرجت على الأرض، وتحول أحدها إلى إيفان بهيئته السابقة.

نظر إيفان إلى زوجته إيلينا الحكيمة ولم يرفع بصره عنها، ونظرت الملكة إليه بدورها، وعلت وجهها ابتسامة ساحرة زادت من جمالها، وقالت له:

ــ كنت أظن زوجى قليل العقل بليد الذهن، وإذا بك تنجح فى الاختفاء عن عيون المرآة السحرية، وتقهر كتاب الحكم بمكرك.

وعاش الاثنان معًا فى سلام وسعادة، ومضى وقت طويل والسعادة تحلق فوقهما، وفى أحد الأيام قالت الملكة لإيفان:

ــ لماذا لا تدعو أمك لزيارتنا؟

رد إيفان قائلاً:

ـ والدك أيضًا لم نسمع عنه منذ زمن طويل، لذلك سوف أرحل فى الصباح إلى أمى وإلى والدك.

وفى الصباح الباكر، وقبل رحيل إيفان، وصلت أم إيفان ووالد إيلينا لرؤية أبنائهما وزيارتهما. وكان العجوز والد إيلينا يعرف طريقًا مختصرًا إلى مملكتها. فلم يرهقهما السفر إليهما.

عانق إيفان أمه بحرارة، وركع عند قدمى العجوز قائلاً له:

ـ اغفر لى أيها الوالد حماقتى، فقد خالفت نصحك وعصيت أوامرك.

عانقه العجوز وغفر له خطأه قائلاً له:

ـ شكرًا لك يا ولدى العزيز، فقد كان الثوب يضم كتاب الحكمة، ومرآة لكل شىء فى العالم. لقد فكرت وجمعت كل حكمة وعلم فى الثوب، كى أعطيه لابنتى فى الوقت المناسب، ووضعت لها فى الكتاب والمرآة كل شىء. ولم أضع لها أهم الأشياء وأثمنها، وهو القدرة على العطاء والخير اللذين بداخلك، ورحلت بعيدًا للبحث عن هذه القدرة دون أن أعلم أنها قريبة منى هذا القرب، ويبدو أن موهبة الخير والعطاء لا يمكن منحها أو وضعها لأحد، بل فقط يمكن للإنسان أن يكتسبها بنفسه.

عندئذ أخذت إيلينا الحكيمة فى البكاء، وصارت تقبل زوجها إيفان الطيب، وتطلب منه الصفح والغفران.

وعاش الاثنان مع والديهما ترفرف عليهم أجنحة السعادة والسلام، وما زالوا يعيشون حياة هانئة حتى وقتنا هذا.

إيفان الأحمق

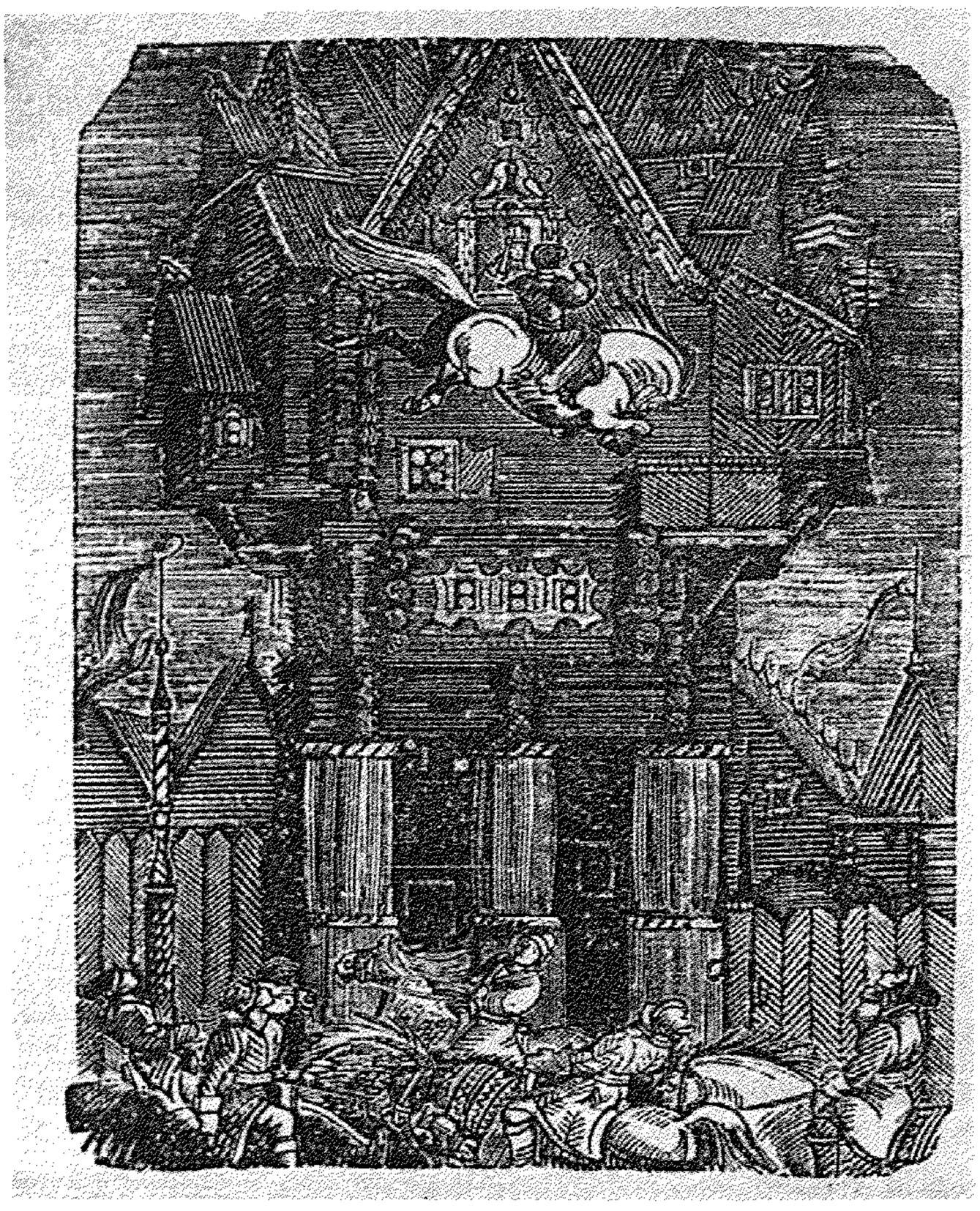

كان ياما كان، رجل عجوز لديه من الأبناء ثلاثة. كان أصغرهم يدعى إيفان، وأطلق عليه الجميع اسم إيفان الأحمق.

وفى إحدى المرات، زرع العجوز شعيرًا، وكلما نمت عيدان الشعير ونضجت سنابله، يتأهب العجوز لجمعها، فيجدها عيدانًا مهروسة بلا سنابل.

قال العجوز لأبنائه:

ــ أبنائى الأعزاء، أريد منكم أن تقوموا بحراسة الشعير فى كل ليلة بالتناوب فيما بينكم، حتى توقعوا بالسارق.

خرج الابن الأكبر لحراسة الشعير، لكن النوم غالبه، فرقد على العشب، وراح فى سبات عميق حتى الصباح.

ثم ذهب الابن إلى البيت، وقال لأبيه:

ــ لقد بقيت ساهرًا طوال الليل أحرس القمح، وعلى الرغم من ذلك اختفى الشعير ولم أر اللص.

وفى اليوم التالى خرج الابن الأوسط للحراسة، وراح فى النوم هو الآخر طوال الليل، ولم يعرف هوية السارق.

وفى اليوم الثالث جاء الدور على إيفان الأحمق.

خرج إيفان للحراسة حاملاً معه حبلاً طويلاً، وجلس فوق صخرة بجوار صبارة ذات أشواك حادة، وكانت الصبارة تغزه بأشواكها كلما غالبه النعاس فيفيق ثانية، ويجلس فى انتظار السارق.

وعندما انتصف الليل تمامًا، ظهر فرس يسير فوق عيدان القمح بحوافره. كان له عرف ذهبى، وأذنان منتصبتان يخرج الدخان منها فى أعمدة، ومنخران ينفثان اللهب، وكانت الأرض ترتج من وقع حوافره.

ومضى الفرس يأكل من الشعير بشراهة، وكان يدهس العيدان النامية أكثر مما يأكل.

تسلل إيفان بحذر نحو الفرس، وبسرعة رمى حبله فوق رقبته، وأمسك به.

حاول الفرس جاهدًا بكل قوته الفكاك من قبضة إيفان، غير أن الفتى قفز على ظهره بمهارة، وأمسك بعرفه فى قوة، ولم يفلته من يده.

ورمح الفرس بالفتى فى الحقول الشاسعة، وأخذ يقفز ويثب بقوائمه محاولاً إيقاع إيفان من على ظهره بلا جدوى.

وفى النهاية صار الفرس يتوسل قائلاً:

ــ اتركنى حرًا يا إيفان، وسوف أرد لك صنيعك وأكافئك مكافأة عظيمة.

رد إيفان:

ــ حسنًا، سوف أطلق سراحك، لكن كيف يمكننى العثور عليك فيما بعد؟

ــ لا عليك سوى الخروج إلى الحقل الواسع، ثم صفِّر بفمك ثلاث مرات، واهتف مناديًا: "يا فرس الأبطال، اظهر أمامى فى التو والحال"، وسوف تجدنى أمامك على الفور.

أخذ إيفان وعدًا من الفرس بألا يعود ثانية لسرقة الشعير ولا دعسه بأقدامه، ثم أطلق له العنان، وتركه لحال سبيله.

وفى الصباح ذهب إيفان إلى البيت، فسأله شقيقاه:

ــ هيا احكِ لنا عما رأيته هناك يا إيفان؟

رد إيفان:

ــ لقد أمسكت بفرس رائع الجمال ذى عرف ذهبى.

ــ وأين هذا الفرس؟

ــ لقد تركته يرحل، بعد أن قطع لى وعدًا ألا يسرق الشعير مجددًا.

لم يصدق الشقيقان حرفًا مما قاله إيفان، وصارا يضحكان ويسخران منه. ومنذ ذلك اليوم لم يُسرق الشعير مرة ثانية.

وبعد فترة وجيزة، أرسل الملك رسله إلى المدن والقرى ينادون معلنين:

ـ على جميع السادة والتجار وكل الفلاحين البسطاء، الحضور فى اليوم الفلانى إلى فناء قصر الملك أمام البرج العالى للقصر، حيث تجلس ابنة الملك إيلينا الحسناء، ومن منهم يقدر على الصعود إليها بفرسه، وخلع خاتمها من إصبعها، يصبح زوجًا لها.

وفى اليوم المحدد، تأهب شقيقا إيفان للذهاب إلى قصر الملك، ولم يكن ذهابهما من أجل الصعود إليها بالفرس، وإنما للفرجة على محاولات الآخرين، وصار إيفان يرجوهما قائلاً:

ـ أعطيانى فرسًا أنا الآخر يا أخوىّ، كى أذهب معكما وأشاهد الأميرة إيلينا الحسناء.

ـ إلى أين تريد الذهاب أيها الأحمق؟ هل تريد أن يضحك الناس عليك؟ ابقَ هنا بالبيت، واجلس فوق الفرن، وسلِّ نفسك بصيد الذباب.

ـ إذن، أعطيانى سلّة من الخوص، كى أخرج إلى الغابة لجمع الفطر.

أعطى الشقيقان لإيفان الأحمق سبتًا، وخرجا إلى القصر.

ذهب إيفان إلى الحقل الواسع، ثم وضع السلة بجواره على العشب، وصار يصفر ثلاث مرات بفمه؛ ونادى بصوته قائلاً:

"يا فرس الأبطال، اظهر أمامى فى التو والحال".

وفى لمح البصر، شاهد إيفان الفرس ذا العرف الذهبى يركض أمامه على الأرض، فترتج من وقع حوافره، ومن أذنيه يخرج الدخان فى أعمدة، ومن منخريه ينفث اللهب، ووقف قبالته قائلاً:

ـ سمعًا وطاعة يا إيفان.

رد إيفان:

ـ أريد الذهاب لرؤية الأميرة إيلينا الحسناء.

فقال الفرس:

ــ ادخل إذن من أذنى اليمنى، واخرج من اليسرى.

قفز إيفان إلى الأذن اليمنى للفرس، ثم خرج من اليسرى فتى رائع الهيئة والجمال، فى ثياب أنيقة مزركشة، تعجز الحكايات عن وصف جماله، ولا تقدر ريشة على رسم صورته، ثم امتطى صهوة الفرس، وانطلق به صوب المدينة.

أدرك إيفان شقيقيه على الطريق، فعبرهما مثيرًا سحابة من الغبار غطت أجسامهما، ومرَّ بجانبهما كالسهم الطائر.

وصل إيفان إلى ساحة قصر الملك، ورأى حشدًا كبيرًا من الناس قد تجمعوا فى الساحة، وفى أعلى البرج جلست الأميرة إيلينا الحسناء تطل بوجهها خلف النافذة، وفى يدها يتلألأ الخاتم الذى لا يقدر بثمن ولا مال، وكانت الأميرة حقًا جميلة الجميلات فى العالم كله.

كان الجميع يرفعون أبصارهم مشدوهين نحو الحسناء إيلينا، دون أن يجرؤ أحد منهم على الصعود إليها بفرسه فى برجها، خشية أن تتكسر رقبته.

ونخس إيفان بقدميه جانبى الفرس؛ فصهل الفرس ورفس الأرض بحوافره، وانطلق به صاعدًا البرج، وعندما صار على مبعدة ثلاثة أمتار من الأميرة، قفل راجعًا إلى الساحة.

أصابت الدهشة الحضور، ودار إيفان بفرسه، ومضى به مسرعًا كالبرق.

أخذ الجميع يصيحون متسائلين:

ــ من هذا الفتى؟ ومن يكون؟

واختفى إيفان من الساحة، ونظر الحضور فلم يروا له أثرًا.

سار إيفان بفرسه حتى وصل إلى الحقل الواسع، وقفز داخل أذنه اليسرى، ثم خرج من اليمنى فى هيئته السابقة، هيئة إيفان الأحمق.

ترك إيفان فرسه، ومضى يجمع الطحالب والأعشاب حتى ملأ بها السلة.

ثم عاد أدراجه إلى البيت، وصاح قائلاً:

ــ انظرا إلى الفطر الطيب الذى جمعته لكما.

نظرت زوجتا الشقيقين إلى الطحالب والأعشاب بالسلة، ثم صاحتا تسبانه:

ــ ما هذا الذى أحضرته أيها الأحمق؟ عليك أن تأكله بمفردك هنيئًا مريئًا.

ضحك إيفان فى سعادة، وقفز جالسًا فوق الفرن.

وبعد زمن قليل عاد الشقيقان إلى البيت، وصارا يحكيان لزوجتيهما عما شاهداه فى المدينة، وقالا:

ــ آه أيتها الزوجتان، لقد رأينا شابًا فى ساحة القصر، لا مثيل لشجاعته فى الدنيا، فقد قفز كالأسد صاعدًا البرج العالى فى رشاقة ومهارة، وصار على مبعدة ثلاثة أمتار فقط من الأميرة.

ضحك إيفان من مجلسه فوق الفرن، وقال:

ــ أخوىّ العزيزين ، ألا تعرفان أن هذا الفارس لم يكن سواى بشحمه ولحمه؟

ــ كيف يمكن أن تكون هناك أيها الأحمق؟ إن مكانك فوق الفرن تصيد الذباب من عليه.

وفى اليوم التالى، خرج الشقيقان ثانية إلى المدينة. أما إيفان فحمل سلته، وخرج إلى الغابة يجمع الفطر.

ذهب إيفان إلى الحقل الواسع، ثم وضع السلة على العشب، ومضى يصفر ثلاث مرات بفمه، ونادى قائلاً:

"يا فرس الأبطال، اظهر أمامى فى التو والحال".

وفى لمح البصر، ظهر الفرس ذو العرف الذهبى يركض على الأرض، فترتج من وقع حوافره، ومن أذنيه يخرج الدخان فى أعمدة، ومن منخريه ينفث اللهب، ووقف أمام الفتى كالتمثال.

قفز إيفان إلى أذن الفرس اليمنى، وخرج من اليسرى فتى مهيب الطلعة فى ثياب مزركشة، وامتطى صهوة الفرس منطلقًا إلى ساحة القصر.

وصل إيفان إلى الساحة، فشاهد حشدًا من الناس أكبر من المرة السابقة، والجميع يتطلعون بأبصارهم فى إعجاب نحو الأميرة الحسناء، لكن أحدًا منهم لم يجرؤ على المخاطرة بالصعود إليها، حتى لا ينكسر عنقه.

ضرب إيفان الفرس على جانبيه بقدميه، فصهل الفرس ورفس الأرض بحوافره، وقفز به قفزة عالية نحو البرج، وعندما صار على مبعدة مترين فقط من الأميرة، قفل راجعًا إلى الساحة.

ثم دار إيفان بفرسه وانطلق به، واختفى فى لمح البصر من المكان.

ولما وصل إيفان إلى الحقل الواسع، أطلق فرسه ذا العرف الذهبى، وذهب عائدًا إلى بيته، ثم جلس فوق الفرن ينتظر وصول شقيقيه.

عاد الشقيقان إلى البيت، وصارا يحكيان عما جرى:

ــ آه لو شاهدتما ما رأينا أيتها الزوجتان، لقد عاد الفارس ثانية إلى ساحة القصر، وقفز كالنمر صاعدًا البرج العالى فى مهارة شديدة، حتى وصل إلى مبعدة مترين فقط من الأميرة.

قال إيفان لهما:

ــ ألا تعرفان أيها الأخوان أن هذا الفارس لم يكن سواى بشحمه ولحمه؟

ــ لا تثرثر كثيرًا أيها الأحمق.

وفى اليوم الثالث، استعد الشقيقان مرة أخرى للخروج إلى المدينة، فقال لهم إيفان:

ــ أعطيانى ولو أضعف الأفراس، كى أذهب معكما إلى الساحة.

رد الشقيقان فى سخرية:

ــ أمثالك من الحمقى ليس لهم سوى المكوث فى البيت، وليس لك من عمل هناك.

ورحل الشقيقان تاركين إيفان بمفرده.

ذهب إيفان إلى الحقل الواسع، وأخذ يصفر ثلاث مرات بفمه، ونادى قائلاً:

ــ يا فرس الأبطال، اظهر أمامى فى التو والحال.

وفى لمح البصر، ظهر الفرس ذو العرف الذهبى يركض على الأرض، فترتج من وقع حوافره، ومن أذنيه يخرج الدخان فى أعمدة، ومن منخريه ينفث اللهب، ووقف أمام الفتى كالتمثال.

وثب إيفان إلى أذن الفرس اليمنى، وخرج من اليسرى فارسًا حلو الطلعة، وانطلق يسابق الريح إلى قصر الملك.

أخذ إيفان يقفز بالفرس صاعدًا البرج، وضرب بسوطه الفرس حتى صار يصهل صهيلاً عاليًا، ويرفس الأرض بحوافره، ثم وثب وثبة هائلة، ووصل إلى نافذة البرج.

قبّل إيفان الأميرة الحسناء إيلينا فى جبهتها وشفتيها، ثم خلع من إصبعها الخاتم المنشود، وهبط بفرسه من فوق البرج، وانطلق بفرسه فى الساحة.

وهنا أخذ الحضور يصيحون وينادون ملوحين بأياديهم:

ــ أمسكوا به، أوقفوه قبل أن يهرب.

غير أن إيفان اختفى فى لمح البصر بلا أثر له.

بعد ذلك، أطلق إيفان فرسه، وعاد أدراجه إلى منزله، ولف مزقة من القماش حول إحدى يديه.

ولما وصل إلى البيت سألته زوجتا شقيقيه:

ــ ماذا جرى ليدك أيها الهمام؟

ــ لقد جرحت يدى بين الصخور أثناء بحثى عن الفطر.

ثم صعد فوق الفرن، وأخذ جلسته عليه.

بعد برهة من الوقت عاد الشقيقان، وتحدثا عن الفارس الذى نجح فى صعود البرج بفرسه الرهوان، وانتزع الخاتم من إصبع الأميرة الحسناء.

هتف إيفان من فوق الفرن قائلاً:

ــ ألا تعرفان أن هذا الفارس لم يكن سواى بشحمه ولحمه؟

ــ اصمت أيها الأحمق، ولا تصدع لنا رؤوسنا بحديثك الأجوف.

هنا أراد إيفان النظر إلى الخاتم، فنزع المزقة من على يده ليراه، وإذا بنور ساطع يغمر أرجاء الحجرة، فصاح الشقيقان:

ــ لا تعبث بالنار أيها الأحمق، حتى لا تحرق البيت بلهوك الأخرق، ويبدو أن الوقت قد حان لطردك خارج المنزل.

لم يجب إيفان بشىء على شقيقيه، وإنما لف الخاتم فى يده بالمزقة مرة أخرى.

وبعد مرور ثلاثة أيام، خرج إلى المدينة رسل الملك والمنادون يعلنون:

"على كل أفــراد المملكة وناسها الذهــاب إلى حفل الملك الذى يقيمــه، فلا يبقَ أحد منكم فى بيته أو داره، ومن يخالف ذلك الأمر، فسوف يفقــد رأسه على الفور".

استسلم الجميع لأوامر الملك، فخرج الشقيقان إلى الحفل الملكى، واصطحبا معهما إيفان الأحمق.

وصل الجميع إلى القصر، واتخذوا مجالسهم حول موائد الطعام الفاخرة، ومضوا فى الأكل والشرب والضحك.

وسارت الأميرة إيلينا الحسناء بين المدعوين، تقدم لهم الطعام، وتصب لهم الشراب، وهى تتطلع ببصرها إلى أياديهم تبحث بعينيها عن خاتمها؛ لتعرف الزوج الذى نجح فى انتزاعه من إصبعها.

غير أن الأميرة لم تر أحدًا يضع الخاتم فى يده.

ومرت الحسناء على جميع الحضور من الضيوف حتى وصلت إلى آخرهم الذى لم يكن سوى إيفان. كان إيفان منزويًا فى الركن يرتدى أسمالاً بالية ممزقة، وإحدى يديه ملفوفة فى خرقة من القماش.

نظر الشقيقان وصارا يفكران: "يا للمهزلة، إن الأميرة بعظمتها تحمل الشراب لأخينا إيفان الأحمق".

وضعت الأميرة الحسناء كأسًا من الشراب أمام إيفان، وقالت له:

ــ لماذا تلف يدك بهذه المزقة أيها الفتى؟

ــ لأنى جرحتها بين الصخور أثناء جمع الفطر فى الغابة.

ــ انزع هذه المزقة، واكشف لى يدك إذن.

نزع إيفان الخرقة من على يده، فتلألأ فى إصبعه خاتم الأميرة المنشود، وغمر المكان بضوئه الساطع.

فرحت إيلينا الحسناء فرحًا كبيرًا، وأمسكت بيد إيفان، وقادته معها إلى الملك قائلة:

ــ لقد عثرت على خطيبى أيها الوالد.

بعد ذلك أخذوا إيفان إلى الحمام، وجعلوه يغتسل بالماء والعطور، ثم مشطوا شعره وألبسوه ثيابًا وجيهة، فتبدلت هيئته ولم يعد إيفان الحمق، بل صار شابًا جميلاً تسر طلعته العين.

ولم ينتظروا طويلاً، ولم يجادلوا فى الأمر كثيرًا، بل سرعان ما أقيمت الأفراح وليالى الملاح، وتم زفاف الأميرة إيلينا الحسناء على إيفان.

وقد كنت بنفسى من بين المدعوين للزفاف؛ فأكلت هناك أطايب الطعام والشراب.

إيفان والذئب الرمادى

كان الملك بريندى يحكم بلادًا واسعة، وكان له من الأبناء ثلاثة، أصغرهم يُدعى إيفان.

كان للملك بستان رائع الجمال، به شجرة مدهشة تثمر تفاحًا من الذهب.

وفجأة، اكتشف الملك أن هناك من يتسلل إلى بستانه، ويسرق تفاحاته الذهبية؛ فتملكه الغضب، وأرسل حراسه إلى البستان ليوقعوا بالسارق، لكن أحدًا منهم لم ينجح فى الإمساك به.

أصاب الحزن الملك؛ فامتنع عن الطعام والشراب، وحضر إليه أبناؤه يواسونه فى محنته:

ــ لا تحزن يا والدنا العزيز، فسوف نقوم على حراسة البستان بأنفسنا.

وصاح الابن الأكبر:

ــ سوف أقوم أنا اليوم بحراسة البستان من اللصوص.

أخذ الابن يسير فى دروب البستان طوال الليل، لكنه لم ير أحدًا، ثم رقد على العشب الناعم، وراح فى النوم.

فى الصباح التالى سأله الملك:

ــ كيف سارت الأمور معك؟ ألن تدخل البهجة إلى قلبى اليوم؟ هل استطعت الإمساك بالسارق أو رؤيته؟

رد الابن:

ــ لا يا والدى العزيز. لقد بقيت ساهرًا طوال الليل، ولم يغمض لى جفن، ورغم ذلك لم أر أحدًا.

وفى اليوم التالى، خرج الابن الأوسط للحراسة، لكنه نام هو الآخر طوال الليل، وفى الصباح أخبر والده بأنه لم يشاهد أحدًا فى البستان.

وجاء الدور على الابن الأصغر للحراسة؛ فخرج الأمير إيفان إلى البستان، ومضى يسير فى الممرات والدروب يتفقدها، وهو فى خشية من الجلوس على

العشب، حتى لا يغالبه النوم، وكلما حلَّ به النعاس، كان يغسل وجهه بالماء فيطرد النوم من عينيه.

وبعد أن انتصف الليل، رأى إيفان ما أذهله، فقد ظهر ضوء باهر فى البستان، وصار يزداد شيئًا فشيئًا حتى غمر البستان كله، وسطع المكان بالضوء القوى. نظر إيفان فشاهد الطائر النارى يحط فوق الشجرة الذهبية، ويلتقط منها الثمار بمنقاره.

تسلل الأمير إيفان بحذر نحو الطائر القابع فوق الشجرة، واستطاع الإمساك به من ذيله، لكن الطائر النارى خفق بجناحيه وتملص من يدى إيفان، ثم حلَّق مبتعدًا فى الفضاء، ولم تبقَ فى يده سوى ريشة من ذيل الطائر.

وفى الصباح، ذهب الأمير إيفان إلى والده الملك:

ــ كيف سارت الأمور معك يا ولدى العزيز؟ هل رأيت السارق بالأمس؟

أجاب إيفان:

ــ أستميحك عذرًا يا والدى؛ فلم أتمكن من الإمساك بالسارق، لكننى قد عرفت هوية السارق الذى يتسلل إلى بستانك، وأحضرت لك هذه الريشة تذكارًا منه. إنه الطائر النارى.

أخذ الملك الريشة من إيفان، ومنذ ذلك الحين، فارقه الحزن والأسى، وعاد إلى تناول الطعام والشراب، حتى جاء يوم من الأيام الرائعة، تذكر الملك الطائر النارى، ولم يتوقف عن التفكير به.

فنادى الملك أبناءه الثلاثة، وقال لهم:

ــ أبنائى الأحباء، أريد منكم أن تسرجوا أفضل الخيول، وتخرجوا إلى بقاع الأرض للبحث عن الطائر النارى.

سجد الأبناء أمام الملك فى طاعة وخشوع، وأسرجوا أفضل الخيول، وانطلقوا للبحث عن الطائر، كل منهم يسير فى اتجاه مختلف؛ فمضى أكبرهم فى طريق، والأوسط فى طريق ثان. أما إيفان فسار فى طريق ثالث.

مضى إيفان على حصانه يقطع الطريق، ومرَّ عليه وقت طويل وهو فى سيره. كان الوقت صيفًا، ولما حلَّ التعب بإيفان، ترجل من على حصانه، وأطلقه يرعى بحرية فى المكان، ثم رقد على الأرض وراح فى نوم عميق.

لم يدر الأمير إيفان كم من الوقت مر عليه فى نومه، وعندما استيقظ لم يجد أثرًا لحصانه، فمضى يبحث عنه وينادى عليه، حتى عثر عليه فى النهاية عظامًا منزوعة اللحم.

اغتم إيفان وأصابه الكرب، فكيف يمكنه السير فى هذه الأصقاع الموحشة بلا فرس؟

وفكر فى نفسه قائلاً:

"لا يمكننى بعث الحصان إلى الحياة مرة أخرى، ولا بد لى من مواصلة السير بدونه".

ومضى إيفان طويلاً يسير على قدميه، حتى تخدرت قدماه من فرط التعب، ولم يقدر على مواصلة السير؛ فجلس على العشب الطرى متكدرًا.

وفجأة، ركض نحوه الذئب الرمادى من حيث لا ندرى، وقال له:

ــ أيها الأمير إيفان، لماذا تجلس متكدرًا حزينًا منكس الرأس؟

ــ وكيف لى لا أحزن أيها الذئب الرمادى، وقد فقدت للتو حصانى العزيز؟

ـ إنه أنا من التهم حصانك أيها الأمير إيفان، وقد حزنت لحالك الآن. فاحكِ لى حكايتك، وأخبرنى عن السبب الذى جاء بك إلى هذا المكان.

ـ لقد أرسلنى والدى الملك بريندى، للبحث عن الطائر النارى فى أرجاء العالم.

ـ هاهاها، لو أنك سرت على حصانك، لاستغرق منك هذا الأمر أكثر من ثلاث سنوات، كما أننى الوحيد الذى يعرف مكان إقامة الطائر، وبما أننى التهمت حصانك، فسوف أعوضك عنه بكل الإخلاص والأمانة، فاصعد راكبًا فوق ظهرى، وتمسك بى جيدًا.

ركب الأمير إيفان على ظهر الذئب، وانطلق الذئب يعدو به بسرعة البرق، وصار يقطع الغابات المترامية، ويعبر البحيرات الواسعة، ومضى الاثنان طويلاً فى طريقهما، حتى وصلا إلى قلعة عالية. عندئذ صاح الذئب قائلاً:

ـ تذكر جيدًا ما أقوله لك أيها الأمير إيفان. عليك أن تتسلق سور القلعة دون خوف من أحد؛ فالوقت مناسب وجميع الحراس يغطون فى النوم، وعندما تصل إلى نافذة القلعة، سوف ترى عليها قفصًا ذهبيًا بداخله يجلس الطائر النارى. فاحمل الطائر وضعه بين طيات ملابسك، واحترس من أن تلمس القفص بيديك.

تسلق الأمير إيفان سور القلعة حتى وصل إلى النافذة، وشاهد عليها القفص الذهبى وبه الطائر النارى، فأخذ منه الطائر ووضعه داخل قميصه، ثم نظر إلى القفص مشدوهًا من جماله، وتسارعت دقات قلبه من روعته، وقال فى نفسه:

"يا له من قفص ذهبى رائع بديع الصنع، كيف لى أن أتركه؟".

ونسى نصيحة الذئب له؛ فمد يديه نحو القفص، وما إن لمسه بأنامله، حتى دوى فى القلعة صوت الأبواق عاليًا، ودقت الطبول تصم الآذان؛ فانتبه الحراس لوجود الأمير إيفان، وقبضوا عليه، وساقوه إلى الملك أفرون.

ثار الملك من الغضب وصاح قائلاً:

ــ من أنت أيها البغيض؟ وما الذى أتى بك إلى هنا؟

رد إيفان:

ــ أنا الأمير إيفان ابن الملك بريندى.

ــ يا للعار، كيف يمكن لابن ملك مثلك أن يقدم على السرقة؟

ــ ذلك لأن طائرك يحطُّ فى بستاننا، ويسرق ثمار التفاح منها.

قال الملك:

ــ لو أنك جئتَ إلىَّ طالبًا الطائر بشكل لائق، لأعطيتك إياه عن طيب خاطر، واحترامًا لمكانة والدك ملك بريندى. أما الآن فسوف أعلن فى أرجاء المدينة عن فعلك القبيح، وعملك السيئ، ولا يمكننى الصفح عنك إلا فى حالة واحدة.

سأل إيفان:

ــ ما هى يا مولاى؟

ــ أن تحضر لى الفرس ذا العرف الذهبى الذى يعيش فى بلاد الملك كوسمان، وعندئذٍ سوف أمنحك الطائر النارى.

خرج الأمير إيفان يلفه الحزن واليأس من مجلس الملك، وذهب إلى الذئب الرمادى، وحكى له ما جرى مع الملك. فقال له الذئب:

ــ ألم أحذرك من لمس القفص؟ لماذا لم تستمع إلى تحذيرى؟

ـــ أرجو أن تغفر لى خطئى أيها الذئب الرمادى، وأن تسامحنى على تهورى.

ـــ حسنًا أيها الأمير، لقد غفرت لك، والآن اصعد على ظهرى ثانية.

وانطلق الذئب بالأمير يقطع الجبال والغابات والدروب، وطال سيرهم حتى وصلا أخيرًا إلى القلعة التى يعيش بها الفرس ذو العرف الذهبى، وعندئذٍ هتف الذئب قائلا للأمير:

ـــ هيا أيها الأمير إيفان، عليك تسلق سور القلعة، والقفز عبره إلى الداخل. فالحراس يغطون فى نومهم، ثم تسلل بحذر إلى الإسطبل، وامتطى صهوة الفرس ذى العرف الذهبى، وعد به إلى هنا، لكن حذار من أن تلمس اللجام بيدك.

تسلق الأمير إيفان سور القلعة، وقفز إلى الداخل، وكان الحراس نائمين، ثم ذهب إلى الإسطبل حيث يوجد الفرس ذو العرف الذهبى، وامتطى صهوة الفرس، ونظر إلى اللجام الذهبى المحيط برقبته. كان اللجام رائع الجمال مرصعًا بالألماس والأحجار الثمينة، التى صارت تتلألأ ببريقها أمام عينى الأمير إيفان.

نسى الأمير تحذير الذئب له، وامتدت يداه نحو اللجام، وما إن لمسه حتى دوت أصوات الأبواق والطبول فى أرجاء القلعة، فاستيقظ الحراس، وأسرعوا إلى الإسطبل، وأمسكوا بالأمير إيفان، ثم ساقوه مكبلاً إلى الملك كوسمان.

ـــ من أنت؟ ومن أين أتيت إلينا؟

ـــ أنا الأمير إيفان.

ـــ وكيف واتتك الجرأة على القيام بفعلك الأحمق، وسرقة الفرس ذى العرف الذهبى؟ إن هذا عمل مشين لا يقوم به الرجل العادى، فكيف لأمير مثلك أن يقدم عليه؟ لكننى سوف أغفر لك فعلتك بشرط واحد.

ـ ما هو؟

ـ أن تحضر لى الحسناء إيلينا، ابنة الملك دلمات، وعندما تتجح فى مهمتك، سوف أمنحك الفرس ذا العرف الذهبى، واللجام الذهبى أيضًا.

خرج الأمير إيفان من مجلس الملك يائسًا محبطًا، وذهب إلى الذئب الرمادى وحكى له ما جرى، فقال له الذئب:

ـ ألم أحذرك من قبل أيها الأمير إيفان، ألا تلمس اللجام بيديك؟ لماذا لم تستمع إلى تحذيرى؟

ـ أرجو أن تغفر لى خطئى أيها الذئب الرمادى، وأن تسامحنى على تهورى.

ـ حسنًا أيها الأمير، لقد غفرت لك، والآن اقفز على ظهرى من جديد.

انطلق الذئب بالأمير يقطع الطرقات والدروب، حتى وصلا إلى مملكة الملك دلمات، وكانت الحسناء إيلينا تتجول فى بستان القلعة، ترافقها الوصيفات والخادمات. قال الذئب الرمادى للأمير:

ـ فى هذه المرة لن أدعك تقوم بالعمل، بل سوف أذهب بنفسى. أما أنت فاسبقنى إلى طريق العودة، وسوف أدركك فى وقت قريب.

سار الأمير إيفان فى طريق العودة، ومضى الذئب نحو القلعة؛ فقفز فوق سورها إلى البستان، واختبأ خلف الأشجار متربصًا يتحين الفرصة المناسبة، ومرت الحسناء إيلينا بالقرب منه تتبعها الوصيفات والخادمات، وما إن ابتعدت الأميرة عن رفيقاتها بضع خطوات، حتى هجم عليها الذئب، ووضعها فوق ظهره، وانطلق يركض بها كالبرق.

كان الأمير إيفان يسير فى طريقه، وفجأة ظهر أمامه الذئب الرمادى، حاملاً على ظهره الحسناء إيلينا. فرح الأمير واغتبط لدى رؤية الفتاة، وصاح الذئب يقول له:

ــ هيا اركب سريعًا فوق ظهرى، ولنرحل من هنا قبل أن يدركنا الحراس.

وانطلق الذئب الرمادى كالسهم فى طريق العودة، حاملاً على ظهره الأمير إيفان والحسناء إيلينا، وطال الطريق بهم حتى وصلوا إلى مملكة كوسمان. عندئذ قال الذئب الرمادى للأمير:

ــ ما لى أراك حزينًا واجمًا أيها الأمير إيفان.

رد إيفان:

ــ وكيف لا أحزن أيها الذئب، وقد حان موعد فراقى مع هذه الأميرة الحسناء؟ إن قلبى لا يطاوعنى على مبادلتها بالفرس ذى العرف الذهبى؛ فما العمل؟

رد الذئب الرمادى قائلاً:

ــ لن أدعك تفترق عن هذه الحسناء، وسوف نقوم بإخفائها فى مكان ما. ثم أتخذ أنا صورة إيلينا الحسناء، وتذهب بى بعد ذلك إلى الملك بدلاً منها.

قام الاثنان بإخفاء إيلينا الحسناء داخل أحد الأكواخ بالغابة، وتحول الذئب الرمادى إلى نسخة طبق الأصل من الأميرة الجميلة، وذهب به الأمير إيفان إلى الملك كوسمان. فرح الملك فرحًا كبيرًا، وصار يُثنى على الأمير إيفان ويشكره:

ــ لك جزيل الشكر والعرفان أيها الأمير إيفان، فقد نجحت فى إحضار عروسًا لى، ويمكنك الآن أن تأخذ لنفسك الفرس ذا العرف الذهبى، ومعه اللجام الذهبى أيضًا.

امتطى الأمير إيفان صهوة الفرس ذى العرف الذهبى، وانطلق بها نحو مخبأ الحسناء إيلينا حتى وصل إليها، ثم وضعها أمامه على ظهر الفرس، ومضى فى طريقه.

أما الملك كوسمان، فأقام الولائم والاحتفالات بمناسبة زفافه، وظل فى لهو ومرح حتى حلول الليل، وتأهب للذهاب إلى فراشه مع عروسه الحسناء، فذهب يرافقها إلى مخدعه بالقصر، وبعد أن رقد بجوارها فى الفراش، نظر إليها فرأى بوز الذئب يطل عليه بدلاً من رأس الأميرة، فتملك الرعب منه، وفر هاربًا من المكان، وانتهز الذئب الفرصة، وهرب هو الآخر من القصر.

ركض الذئب فى الطريق حتى أدرك الأمير إيفان، وقال له:

ــ ما لى أرى الحزن فى عينيك أيها الأمير إيفان؟

ــ وكيف لى لا أحزن، وسوف أفترق قريبًا عن هذا الفرس الجميل ذا العرف الذهبى؟

ــ لا تحزن، فسوف أساعدك على الاحتفاظ به.

وبعد أن وصلوا إلى مملكة أفرون، قال الذئب:

ــ اذهب بالفرس والحسناء إيلينا إلى حيث لا تراهما العين، وسوف أتخذ أنا هيئة الفرس، وتقدمنى بدلاً منها إلى الملك أفرون.

ذهب الأمير بالحسناء إيلينا، والفرس ذى العرف الذهبى إلى مخبأ بالغابة، وعاد إلى الذئب الذى تحول إلى صورة طبق الأصل من الفرس، ثم ساقه إيفان إلى الملك أفرون، ففرح الملك واغتبط، وأعطى الأمير إيفان الطائر النارى والقفص الذهبى أيضًا.

وعاد الأمير بالطائر والقفص إلى الغابة سيرًا على الأقدام، ووضع الحسناء إيلينا على الفرس ذى العرف الذهبى، وركب على ظهره هو الآخر مع الطائر النارى والقفص، وانطلق سعيدًا فى طريق العودة إلى بيته.

أما الملك أفرون فأمر بإحضار الفرس إليه، وما إن همّ بركوبه، حتى عاد الفرس إلى صورته الحقيقية، وتحول إلى الذئب الرمادى. فسقط الملك مغشيًا عليه من هول الصدمة، وفر الذئب الرمادى من أمامه، وانطلق مسرعًا فى الطريق، حتى أدرك الأمير إيفان، وقال له:

ــ والآن أودعك أيها الأمير إيفان، فلن أستطيع السير معك بعد ذلك.

ترجل الأمير إيفان من على الفرس، وركع على الأرض ثلاث مرات تحية للذئب، شاكرًا له ما فعله. عندئذٍ قال له الذئب:

ــ لا تظن أنك لن ترانى مجددًا، فسوف تحتاج إلىَّ ثانية فى المستقبل.

وفكر الأمير إيفان فى نفسه قائلاً:

"لقد حققت لى كل رغباتى؛ ففيما أحتاج إليك ثانية؟".

وبعد ذلك امتطى فرسه ذا العرف الذهبى، ومضى صوب بيته بصحبة الحسناء إيلينا والطائر النارى، فوصل إلى مشارف المدينة، وأراد أن يأخذ قسطًا من الراحة، فتوقف عند جانب الطريق، وأخرج من خرجه خبزًا يحمله، وصار يأكل منه مع الحسناء إيلينا، ثم شربا بعض الماء، ورقدا على العشب يستريحان.

وما إن راح الأمير إيفان فى النوم، حتى وصل شقيقاه إلى المكان، بعد أن بحثا بلا جدوى عن الطائر فى بلاد مختلفة، وعاد الاثنان بأيدٍ خاوية، وشاهدا أن الأمير إيفان قد نجح فى الحصول على كل شىء؛ فتأجج الحقد فى نفوسهما وقالا:

ــ هيا نقتل شقيقنا، ونأخذ كل ما حصل عليه لأنفسنا.

ونفذ الشقيقان ما اتفقا عليه، فقتلا الأمير إيفان، وركبا الفرس ذا العرف الذهبى، وحملا معهما الطائر النارى والحسناء إيلينا، وهدداها ألا تفشى ما جرى قائلين لها:

ــ إياك أن تتطقى حرفًا لأحد فى البيت عما جرى.

رقد الأمير إيفان على الأرض ميتًا وحلقت من فوقه الغربان.

وفجأة، ظهر الذئب الرمادى من حيث لا ندرى، وانقضَّ على الغربان، فأمسك بغراب وابنه الصغير، وقال:

ــ طر أيها الغراب، واجلب لى قليلاً من ماء الحياة وماء الموت، وعندئذ سوف أطلق سراح ابنك الصغير.

لم يعد بوسع الغراب أن يفعل شيئًا والذئب يقبض على ابنه، فطار محلقًا فى الفضاء، وظل يطير طويلاً طويلاً، حتى أحضر ماء الحياة وماء الموت، ورشَّ الذئب من ماء الموت على جروح الأمير إيفان، فالتئمت الجروح، وشفت على الفور، ثم رشَّ على جسم الفتى من ماء الحياة، فسرت فيه الحياة مرة أخرى، ونهض الأمير إيفان يقول:

ــ يبدو أننى قد استغرقت فى نوم طويل.

رد الذئب قائلاً:

ــ نعم، لقد نمت نومًا عميقًا بالفعل، ولولاى لما استيقظت منه أبدًا، فقد قتلك شقيقاك، واستوليا لأنفسهما على كل ما حصلت عليه، فهيا اركب بسرعة فوق ظهرى.

وانطلق الذئب يركض كالسهم بالأمير، حتى أدرك شقيقيه فى الطريق، فانقضَّ الذئب عليهما ومزقهما إربًا، ثم نثر أشلاءهما فى أرجاء الغابة.

ركع الأمير إيفان للذئب الرمادى تحية إجلال وتقدير له، وقام بوداعه الوداع الأخير.

وعاد الأمير إيفان إلى بيته ممتطيًا الفرس ذا العرف الذهبى، وحمل لوالده الطائر النارى، وأخذ إيلينا الحسناء عروسًا له.

فرح الملك بريندى بعودة الابن وبالطائر، وصار يسأل الأمير إيفان عما جرى له فى رحلته، فحكى له الأمير عن الذئب الرمادى، وعن مساعدته فى الحصول على كل هذه الأشياء، ثم قصَّ عليه ما جرى له من شقيقيه، وعن غدرهما به وقتلهما له أثناء نومه، ثم أخبره عن إنقاذ الذئب له، وتمزيقه للشقيقين عقابًا لهما على ما فعلاه.

تملك الحزن من الملك بريندى على مصير ابنيه، لكنه سرعان ما تغلب على حزنه. أما الأمير إيفان فتزوج من إيلينا الحسناء، وعاش معها فى رغد وسعادة، ولم يعرف الكرب إليه طريقًا بعد ذلك.

ريشة الصقر

كان ياما كان، رجل فلاح ماتت زوجته، وتركت له ثلاث بنات حسان، وفى أحد الأيام أراد الفلاح أن يأتى بخادمة إلى البيت، وذلك كى تقوم بشئون المنزل ونظافته، لكن الابنة الصغرى ماروشكا قالت لأبيها:

ــ لا داعى لإحضار خادمة يا أبى؛ فسوف أقوم أنا بشئون البيت وتنظيفه.

وافق الأب، وأخذت الابنة ماروشكا تقوم بكل أعمال البيت بمهارة ونشاط، ولم يكن هناك شىء تعجز الفتاة عن القيام به، وأحب الأب ماروشكا حبًا كبيرًا، وفرح بذكائها وفطنتها، وحبها للعمل، وكبرت الفتاة حتى صار جمالها لا يُبارى. أما شقيقتاها فلم يصبهما حظٌّ من الجمال، وأصبحتا تضمران لها مشاعر الحسد والغيرة، وكانتا تقضيان كل أوقاتهما فى التزين والتبرج أمام المرآة، فتجربان ثوبًا بعد الآخر، ومنديلاً بعد منديل، وحذاءً بعد حذاء.

فى أحد الأيام، تأهب الأب للخروج إلى السوق، وسأل بناته:

ــ ماذا تردْن أن أشترى لكُنَّ من السوق، كى أدخل البهجة إلى قلوبكن؟

ردت الابنة الكبرى والوسطى:

ــ اشترِ لنا قماشًا من الحرير، على أن يكون منقوشًا بالورود الكبيرة الذهبية.

أما ماروشكا، فظلت واقفة فى صمت بمكانها.

ــ وأنتِ يا ابنتى الصغيرة، ماذا تريدين أن أحضر لكِ؟

ــ أريدك أيها الوالد العزيز أن تشترى لى ريشة للصقر الساطع.

خرج الأب إلى السوق، ثم عاد إلى البيت يحمل القماش لابنتيه الكبرى والوسطى، أما الريشة فلم يعثر عليها بالسوق.

وبعد فترة من الوقت، تأهب الوالد للخرج إلى السوق ثانية؛ فسأل بناته قائلاً:

ــ هيا أيتها الفتيات، أخبرننى ماذا تُردْنَ من هدايا هذه المرة؟

فرحت الابنة الكبرة والوسطى وصاحتا:

ــ اشتر لكل منا حذاءً له نعل فضى.

أما ماروشكا فطلبت نفس طلبها السابق قائلة:

ــ أريدك، أيها الوالد العزيز، أن تشترى لى ريشة للصقر الساطع.

خرج الوالد إلى السوق، وظل طوال اليوم يطوف بأركانه، واشترى الحذاءين بالنعل الفضى، لكنه لم يعثر على الريشة التى طلبتها ماروشكا.

وفى المرة الثالثة التى استعد فيها الأب للخروج إلى السوق، طلبت منه الابنة الكبرى والصغرى قائلتين:

ــ اشتر لكل منا ثوبًا جديدًا.

أما ماروشكا فسألته نفس طلبها من جديد:

ــ أريدك، أيها الوالد العزيز، أن تشترى لى ريشة للصقر الساطع.

أخذ الأب يطوف بالسوق طوال اليوم باحثًا عن الريشة بلا جدوى؛ فمضى يسير خارج المدينة صوب قريته، وصادفه رجل عجوز فى الطريق فقال له:

ــ مرحبًا أيها الجد.

ــ مرحبًا بك أيها الصديق، إلى أين تسير؟

ــ أسير نحو قريتى إلى البيت، لكننى فى غاية الحزن والأسى؛ لأن ابنتى الصغرى طلبت منى أن أشترى لها ريشة للصقر الساطع، وبحثت عنها مرارًا فى السوق، ولم أستطع العثور عليها.

ــ لدى الريشة التى تريدها ابنتك، وهى ريشة عزيزة علىَّ، لكنى لن أبخل بها على رجل طيب مثلك.

وأخرج العجوز الريشة من طيات ملابسه، وأعطاها للفلاح، وكانت الريشة تبدو عادية تمامًا مثل بقية الريش. نظر الفلاح إليها بدهشة مفكرًا: "ترى ما الذى أعجب ماروشكا فى هذه الريشة؟".

عاد الفلاح إلى بيته حاملاً هداياه إلى بناته؛ فصارت الابنة الكبرى والوسطى تتباهيان بالثياب الجديدة، وتسخران من ماروشكا:

ــ يبدو أن الحماقة لن تفارقك أبدًا مهما كبرتى. ارشقى الريشة فى شعرك وتزينى بها.

صمتت ماروشكا عن الكلام، وجلست ساكنة فى ركنها، وعندما راح الجميع فى النوم، حملت ريشتها، وألقت بها على الأرض قائلة:

ــ يا صقرى الساطع المحبوب، اظهر واخرج لى أيها الحبيب المنتظر.

وفى لمح البصر، ظهر أمامها فتى رائع الجمال والهيئة، وظل الفتى مع الابنة الصغرى طوال الليل، وفى الصباح خبط الفتى الأرض بقدميه، فتحول إلى صقر؛ ففتحت له ماروشكا النافذة، وطار منها إلى الفضاء الرحيب.

أخذت ماروشكا تستقبل الفتى لديها لثلاثة أيام متتالية؛ فكان بالنهار يصبح صقرًا يحلق فى الفضاء، وفى الليل يحطُّ فوق نافذتها، وتتبدل هيئته، فيتحول إلى فتى جميل الطلعة.

فى اليوم الرابع، عرفت الأختان الشريرتان عن أمر الصقر، فأخبرتا والدهما بما عرفتاه، لكن الوالد قال لهما:

ــ فلتبق كل منكما فى حالها، وليس لكما شأن بأختكما الصغرى.

فكرت الأختان بغيظ: "حسنًا، فلننتظر ما سوف يحدث لاحقًا".

وقامت الأختان بغرس سكاكين حادة فى إطار النافذة، واختبأت الاثنتان فى ركن يراقبان سير الأمور.

وعندما هبط المساء، حلّق الصقر الساطع وحطَّ على النافذة، إلا أنه لم يستطع الدخول إلى حجرة ماروشكا، وحاول جاهدًا الفكاك من النصال الحادة المغروسة فى الإطار، وأثخن جسمه بالجروح بلا جدوى، فقد كانت ماروشكا غائبة فى سباتها، لا تسمع ولا ترى شيئًا. حينئذ صاح الصقر قائلاً:

ــ من يريدنى سوف ينجح فى العثور علىَّ، إلا أن هذا الأمر ليس باليسير، فمن يسعى إلى العثور علىَّ ينبغى عليه أن يضع فى قدميه ثلاثة أزواج من الأحذية الحديدية حتى تتآكل كلها، وأن يسير متكئًا على ثلاثة عكاكيز حديدية حتى تبرى جميعها، ويضع فوق رأسه ثلاثة طواق من الحديد حتى تبلى.

سمعت ماروشكا حديث الصقر فقفزت مسرعة من فراشها، وركضت نحو النافذة تتطلع إليها، فلم تر أثرًا لصقرها، بل شاهدت فقط دماء متناثرة على الإطار. فبكت ماروشكا بدموع حارة، ومسحت بدموعها آثار الدماء الباقية.

بعد ذلك، ذهبت الفتاة إلى والدها، وقالت له:

ــ أرجو منك يا والدى أن تدعنى أرحل فى طريقى البعيد، ولا تعترض سبيلى من أجل البحث عن السعادة، وإذا كتبت لى الحياة فسوف نلتقى مجددًا، ولو مت فهذا قدرى المحتوم، وليس بوسعى تغييره.

لم يرغب الوالد فى فراق ابنته الأثيرة، إلا أنه رضخ لرغبتها، وسمح لها بالرحيل.

طلبت ماروشكا من الحداد أن يصنع لها ثلاثة أزواج من الأحذية الحديدية، وثلاثة أزواج من العكاكيز الحديدية، وثلاثة أزواج من الطواقى الحديدية، وانطلقت فى طريقها المجهول للبحث عن محبوبها الصقر الساطع.

ومضت تقطع الحقول المترامية، والغابات المظلمة، والجبال العاتية، وكانت الطيور تطرب آذانها وتبهج قلبها بشدوها العذب، وأخذت الأغادير تغسل وجهها بمائها الصافى الرقراق، وصارت الغابات تفسح لها طريقًا بين أشجارها. ولم يمس أحد من الحيوانات ماروشكا بسوء، فكانت تتودد إليها الذئاب الرمادية، والدببة الكبيرة، والثعالب، وكل الحيوانات الأخرى، وكانت ماروشكا تسير فى دروب الغابة وهى تضع الأحذية الحديدية فى أقدامها، وتتكئ على العكاكيز الحديدية، وفوق رأسها ترتدى الطواقى الحديدية، وظلت تسير حتى بلى عكاز وحذاء وطاقية.

وخرجت ماروشكا من الغابة، فشاهدت كوخًا يدور حول نفسه على قوائمه، فصاحت ماروشكا تقول:

ــ استدر أيها الكوخ بظهرك إلى الغابة، واجعل واجهتك أمامى، حتى يمكننى الدخول إليك، وتناول بعض الخبز الموجود لديك.

استدار الكوخ بظهره للغابة، وجعل واجهته تقف أمام ماروشكا، ودلفت الفتاة إلى الكوخ، ونظرت فشاهدت الساحرة الشريرة ملكة الرعب تجلس فيه. كانت قدماها طويلتين نحيلتين، تقطعان الحجرة فى خطوة واحدة، ولها شفتان ضخمتان، وأنف طويل يصل إلى السقف.

وما إن رأت الساحرة الشريرة ماروشكا، حتى صاحت قائلة:

ــ أشم رائحة آدمية لمخلوق من الروس، ماذا أتى بكِ إلى هنا أيتها الفتاة الحسناء؟

ــ إننى أبحث عن الصقر الساطع أيتها الجدة.

ــ أووه، إن مهمتك عسيرة للغاية أيتها الحسناء، فإن صقرك الساطع حبيس خلف تاسع أرض، فى تاسع بلد، وقد سقته الملكة الساحرة من شراب مسحور، وسلبته إرادته، وجعلت منه زوجًا لها، لكننى سوف أساعدك لإنجاز مهمتك، فخذى معك هذا الصحن الفضى والبيضة الذهبية، وعندما تصلين إلى تاسع البلدان، اذهبى إلى الملكة للعمل خادمة فى قصرها، وعندما تنتهين من العمل، احملى الصحن الفضى والبيضة الذهبية واخرجى بهما، سوف تتدحرج البيضة وتدور بنفسها فى الصحن أمام الجميع، وعندما يعلنون عن رغبتهم فى شرائها لا تبيعيها، بل اطلبى منهم رؤية الصقر الساطع.

شكرت ماروشكا ملكة الرعب، وانطلقت تسير فى طريقها، وعندما أظلمت الغابة تمامًا انتابها الفزع، وخافت من مواصلة السير، وفجأة ظهر قط أمام ماروشكا، وصار يركض حولها ويموء قائلاً:

ــ لا تخشى شيئًا يا ماروشكا، وسيرى للأمام، وسوف تصبح الغابة أكثر وحشة وظلمة، فلا تكترثى بما حولك، وواصلى طريقك دون الالتفات إلى شىء.

ثم قوّس القط ظهره، وركض حتى اختفى من المكان، ومضت ماروشكا تواصل سيرها، وصار الظلام أشد حلكة فى الغابة، لكن ماروشكا لم تتوقف، وانطلقت تقطع الطرق والدروب، حتى بلى عكاز وحذاء وطاقية، وأخيرًا شاهدت كوخًا تحيط به جماجم تخرج منها النار، وكان الكوخ يدور حول نفسه على قوائمه. فهتفت ماروشكا تقول له:

ـ أيها الكوخ، استدر بظهرك إلى الغابة، واجعل واجهتك أمامى، حتى يمكننى الدخول إليك، وتناول بعض الخبز الموجود لديك.

استدار الكوخ بظهره للغابة، وجعل واجهته تقف أمام ماروشكا، فدلفت الفتاة إلى الكوخ، ونظرت فشاهدت شقيقة الساحرة الشريرة ملكة الرعب تجلس فيه. كانت قدماها طويلتين نحيلتين، تقطعان الحجرة فى خطوة واحدة، ولها شفتان ضخمتان، وأنف طويل يصل إلى السقف.

وما إن رأت شقيقة الساحرة الشريرة ماروشكا، حتى صاحت:

ـ إنى أشم فى الهواء رائحة آدمية لمخلوق من الروس، ماذا أتى بكِ إلى هنا أيتها الفتاة الحسناء؟

ـ إننى أبحث عن الصقر الساطع أيتها الجدة.

ـ وهل عرجت على شقيقتى من قبل؟

ـ نعم، عرجت عليها.

ـ حسنًا أيتها الحسناء، سوف أساعدك فى مهمتك. خذى الخيط الفضى، والإبرة الذهبية، وسوف تغزل الإبرة بنفسها قماشًا من الذهب والفضة، وعندما يعلنون لك عن رغبتهم فى شرائها لا تبيعيها، بل اطلبى منهم رؤية الصقر الساطع.

شكرت ماروشكا شقيقة الساحرة الشريرة، وخرجت إلى الطريق. كانت الريح تصفر فى أرجاء الغابة، والنار المشتعلة داخل الجماجم تلقى بضوئها على الدروب، فانتاب الهلع ماروشكا، ونظرت فرأت كلبًا يركض أمامها. نبح الكلب وقال:

ــ هوهوهو، لا تخشى شيئًا يا ماروشكا العزيزة، بل سيرى للأمام، وسوف تصبح الغابة أشد وحشة؛ فلا تكترثى بما حولك، وواصلى طريقك دون الالتفات إلى شيء.

قال الكلب ما قاله، واختفى من المكان، ومضت ماروشكا فى الغابة التى صارت أكثر إظلامًا ووحشة من ذى قبل، وشعرت أن هناك من يجذبها من يديها، ومن يمسك بقدميها، لكنها واصلت السير، ولم تلتفت إلى شيء.

طال سير ماروشكا فى طريقها، حتى بلى عكاز وحذاء وطاقية، ثم شاهدت كوخًا تحيط به جماجم الجياد، وكل منها تشتعل فيها النار، وكان الكوخ يدور حول نفسه على قوائمه. فهتفت ماروشكا تقول له:

ــ أيها الكوخ، استدر بظهرك إلى الغابة، واجعل واجهتك أمامى، حتى يمكننى الدخول إليك، وتناول بعض الخبز الموجود لديك.

استدار الكوخ بظهره للغابة، وجعل واجهته تقف أمام ماروشكا، فدلفت الفتاة إلى الكوخ، ونظرت فشاهدت الشقيقة الثانية للساحرة الشريرة ملكة الرعب تجلس فيه. كانت سوداء البشرة، ولها قدمان طويلتان نحيلتان، تقطعان الحجرة فى خطوة واحدة، وعلى وجهها شفتان ضخمتان تطبقان على ناب يتيم، وأنف طويل يصل إلى السقف.

ما إن رأت شقيقة الساحرة الشريرة ماروشكا حتى صاحت:

ــ إنى أشم فى الهواء رائحة آدمية لمخلوق من الروس، ماذا أتى بكِ إلى هنا أيتها الفتاة الحسناء؟

ــ إننى أبحث عن الصقر الساطع أيتها الجدة.

ــ إن مهمتك صعبة للغاية أيتها الحسناء، لكننى سوف أساعدك. فخذى هذا المغزل الذهبى، وسوف يغزل من تلقاء نفسه خيوطًا ذهبية، وعندما يبدون لك رغبتهم فى شرائه لا تبيعيه لأحد، بل اطلبى منهم رؤية الصقر الساطع.

ــ شكرًا لك أيتها الجدة.

ــ لا تشكرينى الآن، بل اشكرينى عندما تنتهى مهمتك.

خرجت ماروشكا إلى الطريق. تردد صوت نعيق البوم فى أرجاء الغابة، وحلقوا فوق ماروشكا، وخرجت الفئران من جحورها، والتفت حولها، وركض الذئب الرمادى نحوها، وصاح:

ــ لا تخشى شيئًا، بل اركبى فوق ظهرى، ولا تلتفتى إلى الخلف.

قفزت ماروشكا فوق ظهر الذئب الرمادى، فركض الذئب بها كالسهم، واختفى عن الأنظار، وظل الذئب منطلقًا بالفتاة، يعبر البحيرات والأنهار، ويقطع السهول الواسعة والوديان، ويسابق السحب فى السماء، وأخيرًا لاح فى الأفق أمام ماروشكا، قصر من البللور، كانت أسقفه منقوشة بالرسومات البديعة، ونوافذه تغطيها الزخارف، ومن خلفهم تتطلع الملكة الساحرة.

قال الذئب: لقد وصلنا يا ماروشكا، فاذهبى إلى القصر، واطلبى العمل خادمة لديهم.

هبطت ماروشكا من على ظهر الذئب، وحملت أغراضها وشكرته على عمله الطيب، ثم ذهبت إلى القصر البللورى، وركعت أمام الملكة باحترام قائلة:

ــ لا أعرف لقب مولاتى الملكة، لكننى جئت أسألك العمل فى القصر خادمة لك.

ردت الملكة قائلة:

ــ إننى أبحث عن خادمة منذ وقت طويل، لكننى أريد فتاة يمكنها الحياكة بالإبرة والغزل.

ــ إننى أستطيع القيام بما تطلبين يا مولاتى.

ــ إذن، ادخلى القصر، واشرعى فى العمل، فقد قبلت بكِ خادمة عندى.

صارت ماروشكا تعمل فى قصر الملكة، وظلت تعمل طوال النهار، وعندما جاء الليل، حملت صحنها الفضى وبيضتها الذهبية، وصاحت تقول:

ــ تدحرجى أيتها البيضة الذهبية، تدحرجى فى الطبق الفضى، ودعينى أشاهد مهارتك، تدحرجت البيضة الذهبية فى الصحن الفضى، وظهرت صورة الصقر الساطع فى الصحن، فنظرت إليه ماروشكا وهى تبكى بالدموع، وقالت:

ــ يا صقرى الساطع الحبيب، لماذا تركتنى وحيدة؟ سوف أبكيك دائمًا بأحر الدموع.

سمعت الملكة كلمات ماروشكا، وقالت لها:

ــ ماروشكا، بيعى لى هذه البيضة الذهبية والصحن الفضى.

ردت ماروشكا قائلة:

ــ لا، لن أبيعهما، بل يمكننى أن أعطيهما لكِ، لو أذنتِ لى بالنظر إلى الصقر.

فكرت الملكة وفكرت، ثم أجابت: حسنًا، سوف أدعك تنظرين إليه فى المساء، عندما يخلد إلى النوم.

جاء الليل، وذهبت ماروشكا إلى مخدع الصقر الساطع، ونظرت إليه، فرأته نائمًا بعمق لا يسمع شيئًا. تطلعت ماروشكا إلى وجهه وهو لا يراها، ولثمت شفتيه

وهو لا يشعر بها، وضمته إلى صدرها، والحبيب مستغرق فى نومه لا يستيقظ من سباته.

هلّت تباشير الصباح، وماروشكا لم تفلح فى إيقاظ الصقر.

وظلت الفتاة تعمل فى القصر طوال النهار، وعندما حلّ المساء، حملت الإبرة الفضية والخيط الذهبى، وشرعت فى الحياكة، وهى تقول:

ــ هيا أيتها الإبرة، ارسمى بالخيط الزخرف على القماش، حتى نصنع ثوبًا للصقر الساطع يرتديه عندما يستيقظ.

سمعت الملكة ما قالته الفتاة، فدخلت إليها، وقالت;

ــ ماروشكا، بيعى لى هذه الإبرة الفضية، والخيط الذهبى.

ردت ماروشكا: لا، لن أبيعهما، بل يمكننى أن أعطيهما لكِ، لو أذنتِ لى بالجلوس ثانية مع الصقر الساطع.

فكرت الملكة طويلاً، ثم قالت:

ــ حسنًا، تعالى فى الليل كى تجلسى معه.

وفى المساء، ذهبت ماروشكا إلى مخدع الصقر الساطع، وكان نائمًا نوم أهل الكهف؛ فقالت له الفتاة:

ــ استيقظ يا صقرى العزيز المحبوب، استيقظ كى أملى عينى من وجهك الجميل.

غير أن الصقر الساطع ظل فى سباته لا يصحو من نومه، ومهما حاولت ماروشكا أن توقظه، لم تفلح محاولاتها.

ولما طلع النهار، بدأت ماروشكا فى عملها بالقصر، وعندما انتهت منه، حملت مغزلها الذهبى، وجلست تغزل به، ولما رأتها الملكة سألتها قائلة:

ـــ بيعى لى مغزلك الذهبى.

ـــ لا لن أبيعه، بل أعطيه لكِ نظير قضاء ساعة واحدة مع الصقر الساطع.

ردت الملكة: حسنًا.

وافقت الملكة على طلب الفتاة، وهى تفكر فى نفسها: "لن تنجح فى إيقاظه أبدًا مهما فعلت".

وعندما هبط الليل، ذهبت ماروشكا إلى مخدع الصقر الساطع النائم بعمق، وأخذت تردد:

ـــ استيقظ يا صقرى الحبيب، أتوسل إليك أن تستيقظ وترحم دموعى.

لكن الصقر ظل نائمًا لا يجيب النداء.

ولم تيأس ماروشكا من محاولاتها، وظلت تنادى على الصقر حتى لاحت تباشير الفجر.

عندئذ، انهمرت الدموع من عينى ماروشكا، وأخذت فى البكاء وهى تقول:

ـــ يا صقرى المحبوب الغالى، استيقظ من نومك وانظر إلىَّ. أنا حبيبتك ماروشكا، فضمنى إلى قلبك.

وسقطت قطرة من دموع ماروشكا فوق كتف الصقر الساطع وأحرقته. فصحا الصقر من سباته ونظر حوله، فرأى ماروشكا جالسة بجواره؛ فأخذ يعانقها بحرارة ويقبلها، ثم هتف يقول:

ـــ إن عينىَّ لا تصدقان رؤيتكِ يا ماروشكا. لقد وضعت فى قدميك ثلاثة أزواج من الأحذية الحديدية حتى تآكلت، وحملت ثلاثة عكاكيز حديدية حتى بريت، ووضعت فوق رأسك ثلاث طواق من الحديد حتى بلت، ونجحتِ فى العثور علىَّ. فلنذهب معًا إلى البيت.

وتأهب الاثنان للرحيل، وعندما شاهدتهما الملكة أمسكت بهما، وأعلنت للجميع عن خيانة زوجها لها.

اجتمع الأمراء والتجار فى القصر، وصاروا يتناقشون ويتحاورون فى الوسيلة التى يعاقبون بها الصقر الساطع.

عندئذٍ قال الصقر للحضور:

ــ فى رأيكم من منهما تصلح أن تكون زوجة حقيقية لى؟ أهى الفتاة المحبة المخلصة؟ أم المرأة المخادعة الماكرة؟

أجمع الحاضرون على أن ماروشكا هى الزوجة المخلصة الجديرة بالصقر الساطع.

وعاد الاثنان إلى بلادهما، وأقاما الولائم والأفراح بالزفاف، وصارا يعيشان معًا فى سعادة وهناء.

شجرة الجوز

كان ياما كان، رجل عجوز يعيش مع زوجته العجوز، وكان الاثنان يعيشان فى عوز وفقر مدقع؛ فلم يكن لديهما كسرة خبز فى الكوخ الذى يقيمان به.

فخرجا إلى الغابة، وجمعا بعضًا من ثمار الجوز، ثم عادا إلى بيتهما، وأخذا يأكلان منها، طال الوقت أم قصر وهما يأكلان، المهم فى الأمر أن ثمرة من الثمار، سقطت سهوًا على الأرض من يد الزوجة العجـوز، وتدحرجت الثمرة حتى استقرت فى قبو البيت، ولم تمر سوى فترة وجيزة، حتى نمت من ثمرة الجوز شجرة، وارتفعت فوق أرض الكوخ. فرحت المرأة لما رأت الشجرة، وصاحت تقول:

ــ أيها العجوز، أفسح مكانًا للشجرة فى الأرض، ودعها تنمو وترتفع لأعلى، وعندما تكبر وتنضج ثمارها، سوف نقطف منها، ولن نضطر للخروج إلى الغابة ثانية بعد ذلك.

نزع العجوز خشب الأرض، وأفسح مكانًا للشجرة كى تنمو، وسرعان ما صارت الشجرة تكبر وترتفع إلى أعلى، حتى طالت سقف الكوخ، واضطر العجوز أن يزيل سقف الكوخ ومن بعده المدخنة، وأخذت الشجرة تنمو وتعلو فى الفضاء، حتى طالت بأغصانها السماء.

وعندما نفدت ثمار الجوز من البيت، حمل العجوز جوالاً، وصعد به يتسلق الشجرة فى أعالى السماء، وظل العجوز يرتفع ويرتفع حتى وصل إلى قمتها، ونظر فرأى ديكًا ذا عرف ذهبى يقف أمام مطحنة من الحجر. لم يفكر الرجل طويلاً، بل حمل الديك والمطحنة، ثم هبط بهما إلى بيته، وقال لزوجته:

ــ لم أجد هناك ثمارًا، فماذا نأكل؟

أجابت الزوجة:

ــ سوف أجرب هذه المطحنة.

وأخذت العجوز تدير حجر المطحنة، وإذا بالفطائر الشهية تخرج منها واحدة بعد الأخرى، فأكلت المرأة مع زوجها حتى شبعا.

ومرَّ فلاح بالقرب من بيت العجوز وزوجته، ودلف إلى الكوخ يلتمس بعض الطعام. قال الفلاح:

ــ ألا يوجد لديكما بعض الطعام كى أسد به جوعى؟

ردت الزوجة:

ــ لا يوجد لدينا سوى الفطائر، وسوف أقدم لك بعضًا منها.

ثم أخذت العجوز تدير حجر المطحنة، واندفعت الفطائر بكل الأنواع تخرج منها.

أكل الفلاح حتى امتلأت معدته، وبعد ذلك سأل العجوز قائلا:

ــ ألا تبيعينى هذه المطحنة أيتها الجدة؟

ردت العجوز: لا أيها الفلاح، لا أستطيع أن أبيعها لك.

لكن الفلاح أساء إلى من أكرموه بالضيافة، وسرق المطحنة فى غفلة منهما. وعندما عرف الرجل العجوز وزوجته بسرقتها، أصابهما الحزن وأخذا يبكيان. فهتف الديك ذو العرف الذهبى قائلا:

ــ لا تحزنا ولا تغتمّا، فسوف أطير وألحق بالسارق.

وطار الديك إلى بيت الفلاح، ثم وقف عند العتبة، وأخذ يصيح:

ــ كوكاريكو، أيها الفلاح الشرير، أعد إلينا المطحنة التى سرقتها.

وما إن سمع الفلاح حديث الديك، حتى صرخ آمرًا:

ــ أيها الخادم، ألق بهذا الديك فى الماء.

أمسك الخادم بالديك، ورمى به فى البئر؛ فصار الديك يقول:

ــ اشرب الماء أيها المنقار، اشرب الماء أيها الفم.

وشرب بمنقاره كل ماء البئر، ثم طار محلقا، وحطّ فوق شرفة البيت وأخذ يصيح:

ــ كوكاريكو، أيها الفلاح الشرير، أعد إلينا المطحنة التى سرقتها.

كوكاريكو، أيها الفلاح الشرير، أعد إلينا المطحنة التى سرقتها.

أمر الفلاح خادمه أن يضع الديك فى الفرن المشتعل، فقبض الخادم على الديك، وألقاه داخل الفرن المشتعل بالنار، فصار الديك يصيح قائلا:

ــ صبَّ الماء أيها المنقار، صب الماء أيها الفم الممتلئ.

واندفع الماء من فم الديك حتى أطفأ اللهب المشتعل، وخبت النار فى الفرن. عندئذ نفش الديك ريشه، وطار من داخله، ثم حطَّ على أرض حجرة الفلاح، ومضى يصيح:

ــ كوكاريكو، أيها الفلاح الشرير، أعد إلينا المطحنة التى سرقتها. كوكاريكو، أيها الفلاح الشرير، أعد إلينا المطحنة التى سرقتها. وفى هذا الوقت، كان هناك بعض الضيوف يجلسون مع الفلاح، وعندما سمعوا صياح الديك وحديثه، فروا جميعًا من الخوف هاربين من البيت، وعندما خرج الفلاح فى أثرهم، انتهز الديك الفرصة، والتقط المطحنة بمنقاره، ثم طار بها عائدًا إلى بيت العجوز وزوجته.

عقلة الإصبع

كان ياما كان، رجل عجوز يعيش مع زوجته العجوز. وفى أحد الأيام كانت الزوجة تقطع كرنبة بالسكين، فبترت السكين دون قصد عقلة من إصبعها أثناء تقطيعها لأوراق الكرنبة، فوضعت المرأة العقلة المبتورة داخل خرقة وطوتها عليها، ثم تركتها فوق رف من رفوف المطبخ.

وفجأة سمعت المرأة صوت بكاء صادر من على الرف، فأمسكت الزوجة بالخرقة ونظرت بداخلها، وإذا بها طفل بحجم عقلة الإصبع.

خافت المرأة، وأصابها الذهول، وقالت:

ـ من أنت؟

ـ أنا ابنك، وقد ولدت من سبابتك.

حملته العجوز، ونظرت إليه تتفحصه بدهشة شديدة. كان الولد ضئيلاً للغاية. تكاد العين لا تراه من فوق الأرض، وأطلقوا عليه اسم عقلة الإصبع.

عاش الولد فى البيت دون أن يعلم زوج المرأة العجوز شيئًا عنه، ومرت الأيام دون أن يكبر حجمه، لكن عقله نما وأصبح أكثر ذكاء وفطنة.

وذات مرة قال الولد للزوجة:

ـ أين والدى يا أمى؟

ـ لقد ذهب يحرث الحقل.

ـ أريد الذهاب إليه كى أساعده.

ـ اذهب يا ولدى.

وذهب عقلة الإصبع إلى الحقل.

ـ مرحبًا يا أبى.

تلفت العجوز حوله فى دهشة، وصاح:

ـ ما هذه المعجزة؟ إننى أسمع صوتًا ولا أرى أحدًا، فمن الذى يحدثنى؟

ـ أنا ابنك الذى يتكلم، وقد حضرت كى أساعدك فى حرث الحقل، فارتح، وكُلْ شيئًا من الطعام، وسوف أقوم أنا بالعمل بدلاً منك.

فرح العجوز وجلس يتناول طعام الغداء، أما عقلة الإصبع فقفز داخل أذن الحصان، ومضى يسوقه، ويحرث الأرض، وقال لوالده:

ــ لو أن أحدًا عرض عليك شرائى، فبعنى له ولا تخشَ شيئًا؛ فسوف أعود مرة أخرى إلى البيت.

وسار رجل بالقرب منهم، ونظر فرأى الحصان يسير بمفرده يحرث الأرض فى كل الاتجاهات، بلا أحد يقوده، فاعترته الدهشة، وصاح:

ــ إن هذا حقًا عجب العجاب؛ فلم أر من قبل، ولم أسمع فى حياتى سابقًا، عن حصان يسير ويحرث الأرض طوعًا بمفرده.

عندئذٍ قال العجوز معترضًا:

ــ ما هذا الذى تقول؟ هل أصابك العمى؟ ألم تر ابنى يسوق الحصان للحرث؟

ــ إذن، بعنى إياه أيها العجوز.

ــ لا، لن أبيعك ابنى، فإن عقلة الإصبع هو فرحتنا وسعادتنا أنا والعجوز أمه.

ــ بعنى إياه واسعد بالمال بدلاً منه.

ــ حسنًا، أعطنى ألف روبل[1] ثمنًا له.

ــ إنك تطلب ثمنًا باهظًا للغاية.

ــ لا، فقد رأيت بنفسك. إنه صغير الحجم، خفيف الحركة، ينجز الأعمال بسرعة البرق.

---

(١) الروبل : هو العملة المستخدمة فى المقاطعات الروسية ــ المترجم.

وفى النهاية دفع الرجل للعجوز ألف روبل، ثم حمل الولد الصغير، ووضعه داخل جيب معطفه، ورحل نحو منزله.

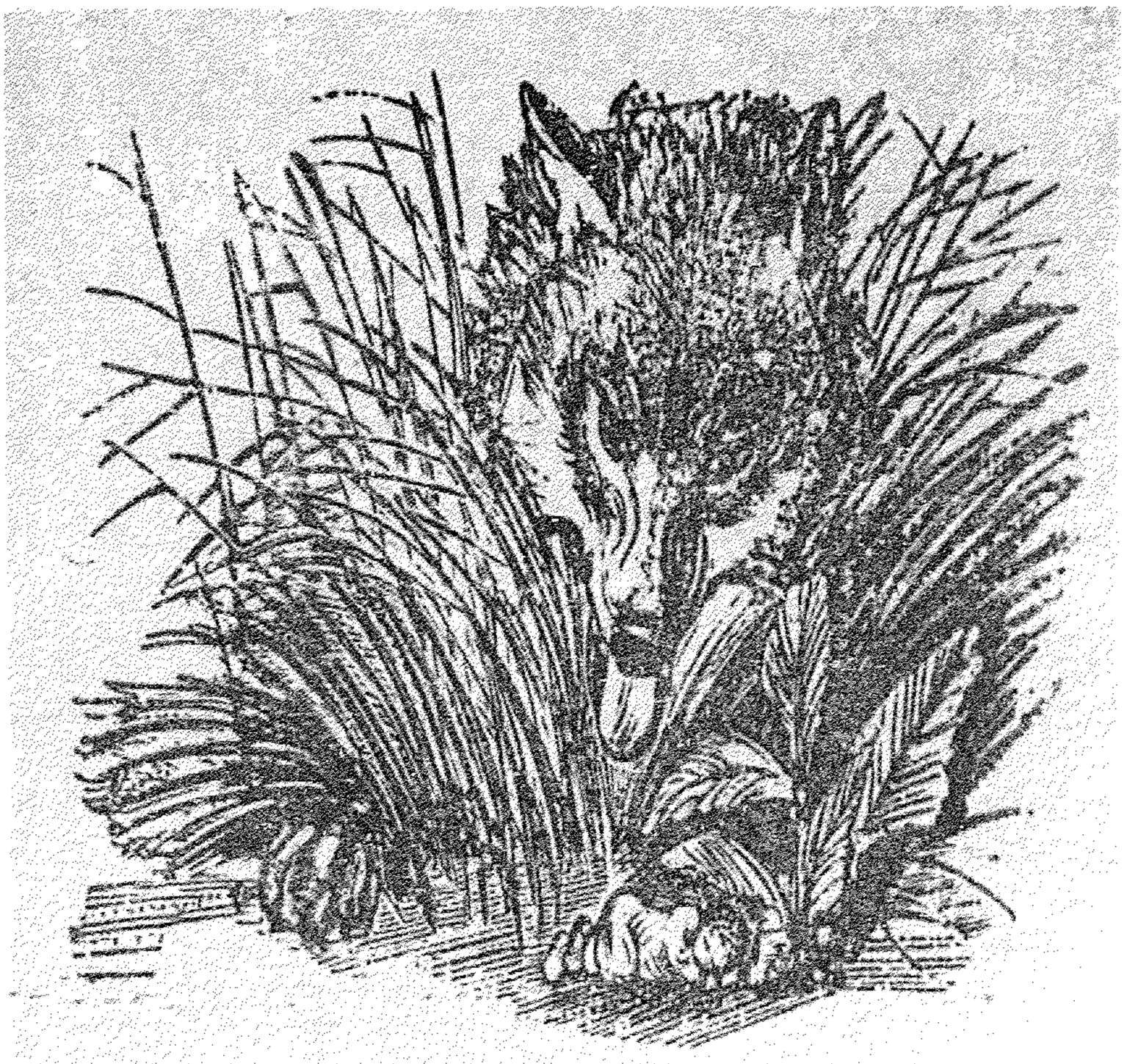

فى أثناء سير الرجل فى الطريق، قضم عقلة الإصبع جيب المعطف، وصنع فيه ثقبًا، وتسلل منه إلى الخارج.

مضى عقلة الإصبع طويلاً طويلاً يسير فى الطريق، وهبط عليه الليل حالك الظلمة.

واختبأ عقلة الإصبع بين الأعشاب عند طرف أحد الحقول، ثم راح فى النوم.

وفجأة، هجم عليه أثناء نومه ذئب جائع وابتلعه.

جلس عقلة الإصبع فى أمعاء الذئب سليمًا، لكن الحزن تملك منه، وأخذ يفكر فى وسيلة للخروج من جوف الذئب.

اشتد الجوع بالذئب الرمادى. وسار حتى رأى قطيعًا من الغنم يرعى بالقرب منه، وكان الراعى يغط فى النوم، فهجم الذئب على القطيع، وهمّ باختطاف إحدى الأغنام، وفى هذه اللحظة صاح عقلة الإصبع بأعلى صوته مناديًا:

ــ يا راعى الغنم يا أب الأغنام، الذئب يسرقهم وأنت تنام.

استيقظ الراعى من نومه، وأسرع خلف الذئب يطارده بالعصا، ونادى على كلابه فلحقت بالذئب، وأشبعته عضًا وتمزيقًا بأسنانها، وهرب الذئب منهم بالكاد، واستطاع أن يفر ناجيًا بعمره.

وعندما أشرف الذئب على الهلاك من شدة الجوع، هتف مخاطبًا عقلة الإصبع:

ــ أرجوك أن تتركنى وتخرج من جوفى.

ــ احملنى إلى بيت أهلى، وأنا أخرج من جوفك.

استسلم الذئب مضطرًا لأوامر عقلة الإصبع؛ فركض به مسرعًا نحو القرية، حتى وصل إلى بيت العجوز وزوجته.

وهنا قفزعقلة الإصبع من أمعاء الذئب إلى الخارج، وأخذ يزعق صارخًا:

ــ الذئب هنا فاضربوه، الذئب الرمادى هنا فاضربوه.

حمل العجوز بلطته، وركضت زوجته بالعصا، وانهالا على الذئب ضربًا وتمزيقًا حتى قتلوه، ثم سلخا فروته وصنعا منها معطفًا دافئًا لعقلة الإصبع.

فأر الحقل

كان رجل عجوز يعيش مع ابنته الجميلة، ومضت أيامهما فى سلام وسعادة، حتى تزوج العجوز بامرأة أخرى لها ابنة أيضًا، وكانت المرأة ساحرة بغيضة شمطاء، أضمرت الشر والكراهية لابنة الزوج، فصارت تلح على زوجها وتقول له:

ــ أريدك أن تطردها من البيت، حتى لا تقع عيناى عليها بعد الآن.

رضخ العجوز لطلب المرأة؛ فزوّج ابنته من أحد الرجال، وعاشت الفتاة فى هناء وسرور مع زوجها، وأنجبت منه ولدًا رائع الجمال.

وأخذ الحسد ينهش قلب الساحرة الشمطاء، وتملكت الغيرة من نفسها. فتحينت الفرصة المواتية، وسحرت الفتاة، وحولتها إلى فأر من فئران الحقل، ثم أطلقتها فى قلب الغابة الموحشة، وبعد ذلك ألبست ابنتها ثياب الفتاة، وجعلتها تشبهها تمامًا وتحل محلها.

وهكذا، لم يفطن أحد من الناس ــ بمن فيهم زوج الفتاة ــ إلى حيلة الساحرة الماكرة، وكانت الجدة العجوز هى الوحيدة التى عرفت حقيقة الأمر، غير أنها لم تخبر أحدًا بالحقيقة خشية من الساحرة ومن شرها.

ومنذ ذلك الوقت، وكلما أصاب الجوع الطفل الرضيع، صارت الجدة تحمله إلى الغابة وتردد شادية:

ــ يا فأر الحقل الطفل ينادى فلبىّ النداء

يصرخ من العطش والجوع ينهش الأحشاء

وما إن يسمع الفأر النداء، حتى يأتى مسرعًا؛ فينزع فروته، ويحمل الطفل ويرضعه حتى يشبع، ثم يضع فروته ثانية على جسمه، ويعود أدراجه فى قلب الغابة.

فكر الأب فى نفسه قائلاً:

"إلى أين تذهب الجدة بالصغير كل يوم؟".

وذات مرة خرج الأب يتبعها فى الغابة، فرأى فأر الحقل يخرج إليهم، ثم ينزع فروته، ويبدأ فى إرضاع الطفل.

تسلل الأب من مكمنه خلف الأشجار، وأخذ فروة الفأر، وقام بإحراقها.

قال الفأر:

ــ إننى أشم رائحة شىء يحترق، وأظن أنها فروتى.

ردت الجدة:

ــ لا، إنها رائحة بعض الحطب المشتعل فى الغابة.

وما إن احترق الفراء كله، حتى عاد فأر الحقل مرة أخرى إلى هيئته الحقيقية، واستعادت الفتاة صورتها السابقة؛ فقصت على زوجها الحكاية من أولها إلى آخرها.

على الفور تجمع الناس وقبضوا على الساحرة وابنتها، وقاموا بطردهما إلى حيث لا تراهم العين.

ماشا السوداء

كان ياما كان، رجل يعيش مع زوجته الطيبة، وكانت له ابنة جميلة تُدعى ماشا.

وشاءت الأقدار أن تموت زوجته؛ فتزوج الرجل بعد موتها من امرأة أخرى، وكانت للزوجة الجديدة ابنتان من ذوات الأخلاق السيئة، والطباع الخبيثة. فكانتا تُكرهان ماشا على القيام بخدمتهما، وبكل الأعمال الأخرى فى البيت، وعندما تنتهى الفتاة المسكينة من الأشغال، كانوا يطلبون منها جرف الرماد من داخل الفرن وتنظيفه، ومن جراء ذلك، كانت ماشا دائمًا متسخة بالهباب، سوداء اللون من الرماد؛ لذلك كانوا يسمونها بالسوداء.

وفى أحد الأيام مضى الناس يتناقلون الأخبار، ويتكلمون عن رغبة الأمير فى الزواج من إحدى الفتيات، وعلم الجميع أن الأمير سوف يقيم حفلاً كبيرًا، يدعو إليه الجميع، وذلك كى يختار من بينهم عروسًا لنفسه.

وجرت الأمور على هذا النحو؛ فدعا الأمير الجميع إلى حضور حفله. وأخذت زوجة الأب وابنتاها يستعددن لحضور الحفل، ورفضن أن يصطحبن ماشا معهن، رغم توسلاتها ورجائها لمرافقتهن إلى الحفل.

أحضرت زوجة الأب جوالاً من حبوب الشعير، وجوالاً من القمح، وخلطتهما معًا، ثم أمرت ماشا السوداء أن تفصل الحبوب عن بعضها، وتضع كل منهم فى جوال مستقل قبل عودتهن، وخرجت بعد ذلك مع ابنتيها إلى الحفل.

سارت ماشا إلى سقيفة البيت، وجلست تبكى وتندب حظها فى حزن ومرارة، وفجأة هبطت من السماء حمامتان، وقامتا بفصل الحبوب وجمع كل منها فى جوال، ثم حطتا على كتفى ماشا، وفى لمح البصر، تحولت الأسمال التى ترتديها ماشا إلى ثوب جديد رائع الجمال، وصاحت الحمامتان:

ــ هيا أيتها الفتاة، اذهبى إلى حفل الأمير، ولا تتأخرى هناك عن منتصف الليل بأى حال من الأحوال.

وما إن دخلت ماشا إلى قاعة الاحتفال بالقصر، حتى صار الحاضرون ينظرون إليها بإعجاب شديد، وانبهر الأمير بجمالها وحسنها. أما زوجة الأب وابنتاها، فلم يتعرفن عليها وهى فى هيئتها الرائعة.

مضى الوقت وماشا تمرح وتضحك مع الفتيات، ثم قرب الليل من منتصفه، وتذكرت ماشا تحذير الحمامتين لها؛ فأسرعت تغادر القصر إلى بيتها، وركض الأمير خلفها، كى يلحق بها ويعرف هويتها، لكنه لم يعثر لها على أثر.

وفى اليوم التالى، أقام الأمير حفلاً ثانيًا، وأخذت ابنتا الزوجة تعدان نفسيهما للخروج إليها، وصارت كل منهما تصدر أوامرها إلى ماشا:

ــ أيتها الفتاة السوداء، هيا ألبسينا ثيابنا بعد أن تنظفيها جيدًا، وأعدى لنا طعام الغداء.

قامت ماشا بكل الأعمال المطلوبة، وفى المساء ذهبت إلى الحفل فى قصر الأمير، وقضت وقتها فى السمر والمرح، ثم غادرت المكان قبل منتصف الليل.

وحاول الأمير أن يلحق بها، لكنه لم يدركها، ولم يجد لها أثرًا كما فى المرة السابقة.

وفى اليوم الثالث أقام الأمير حفله من جديد، وفى المساء حطَّت الحمامتان وألبستا ماشا أروع الثياب، فبدت أجمل من ذى قبل، وذهبت ماشا إلى القصر، ومر عليها الوقت فى ضحك ومرح، حتى إنها نسيت الزمن فى غمرة فرحها، وفجأة أدركها منتصف الليل؛ فركضت مسرعة من القصر، وكان الأمير قد أخذ حذره، وأمر من قبل بتغطية السلالم بالصمغ، فالتزقت فردة من حذائها بالسُّلَّم أثناء ركضها، وعثر الأمير على فردة الحذاء، وفى اليوم التالى أمر الأمير بالبحث عن صاحبة الحذاء فى كل المنازل والبيوت بالمدينة.

قام أتباع الأمير بالمرور على جميع الدور والبيوت يبحثون عن صاحبة الحذاء، لكنهم لم يعثروا عليها، ولم يبق سوى بيت زوجة الأب، وعندما دخلوا إليه بالحذاء، حاولت الزوجة أن تضع قدم ابنتها الكبرى به، لكنه كان صغيرًا على قدميها.

قال أتباع الأمير:

ــ لا، إنه صغير على قدميها.

حاولت الزوجة بعد ذلك أن تضع قدم ابنتها الصغرى فى الحذاء، لكن قدمها أيضًا لم تدخل فيه.

ورأى أتباع الأمير ماشا قابعة فى ركن بالبيت؛ فنادوا عليها وطلبوا منها أن تجرب الحذاء، وما إن وضعت قدمها بداخله، حتى تبدلت هيئتها، وتحولت أسمالها إلى ثوب رائع الجمال؛ فأطلقت زوجة الأب وابنتاها صيحات التعجب، وآهات الدهشة وهن ينظرن إليها.

خرجت ماشا بصحبة رجال الأمير إلى قصره، وفى اليوم التالى أقيم الزفاف، وانطلقت الأفراح فى كل مكان.

كان الاحتفال بالزفاف رائعًا بهيجًا، وأقيمت الولائم فى أرجاء المدينة، وقد كنت من بين المدعوين إليها؛ فأكلت العسل هناك، وشربت العصائر المسكرة مع الضيوف الآخرين.

هافروشكا

يوجد فى العالم أناس أخيار، كما يوجد غيرهم من الأشرار، وبالإضافة إلى ذلك، يوجد أيضًا أناس آخرون لا يخجلون من أفعالهم البغيضة.

كان قدر هافروشكا الوقوع لدى النوع الأخير من الناس، فقد نشأت يتيمة الأب والأم، وأخذها هؤلاء الناس لتقيم معهم؛ فكانوا يطعمونها بالكاد، ويجعلونها

تقوم بكل الأعمال؛ فهى تحيك وتغزل، وتنظف وتغسل، وتقوم بكل الأعمال وكافة الأشغال.

وكان لربة البيت ثلاث بنات، أكبرهن تدعى عوراء العين، والوسطى ذات العينين، وأصغرهن ذات العيون الثلاث.

لم تفعل الفتيات شيئًا سوى الجلوس عند عتبة المنزل، أو التسكع فى الطرق، أما هافروشكا فكانت تقوم بالعمل كله بدلاً منهن، فتغزل الخيط وتنسجه، وتنظف البيت، وتطهى الطعام، وفى المقابل لم تسمع مرة واحدة كلمة ثناء أو مديح من أحد.

وفى أحد الأيام، خرجت هافروشكا إلى الحقل مع بقرتها الرقطاء، وجوال مملوء بالخيط، وهناك وضعت الفتاة ذراعيها حول رقبة البقرة تعانقها، وأخذت تشكو لها حالها، وتحكى عن حياتها الشاقة القاسية:

ــ آه يا بقرتى العزيزة، إنهم يضربوننى، ويسيئون معاملتى، ولا يعطوننى سوى الفتات من الخبز، حتى الدموع لا يسمحون لها أن تنساب من عينى، وقد أمرونى أن أقوم حتى الغد بغزل جوال كامل من الخيط، ونسجه وتبييضه، ولفه حول البكرات.

ردت البقرة قائلة:

ــ أيتها الفتاة الجميلة، ادخلى من أذنى اليمنى، واخرجى من اليسرى، وسوف تجدين عملك جاهزًا.

فعلت الفتاة مثلما قالت لها البقرة؛ فدخلت من إحدى أذنيها، وخرجت من الأخرى، ونظرت حولها، وإذا بالعمل كله قد أنجز، وتم غزل كل الخيط ونسجه، وتبييضه ولفه حول البكرات.

حملت الفتاة النسيج إلى ربة البيت، فتفحصته بنظرها وطوته، ثم دسته فى الصندوق، وصارت تعطى هافروشكا كمية أكبر من الخيط لتغزلها.

وصارت هافروشكا تخرج من جديد مع البقرة، وتحيط رقبتها بذراعيها وتداعبها، ثم تدخل فى إحدى أذنيها وتخرج من الأخرى، لتجد كل الخيط مغزولاً ومنسوجًا، فتحمله إلى ربة البيت.

وفى أحد الأيام نادت المرأة على ابنتها العوراء، وقالت لها:

ــ ابنتى العزيزة الغالية، أريدك أن ترافقى اليتيمة عندما تخرج إلى الحقل، وإياكِ أن تغفل عينيك عنها، وذلك كى نعرف من يساعدها فى غزل الخيط ونسجه، ولفه حول البكرات.

وخرجت الفتاة العوراء مع هافروشكا إلى الحقل، ونسيت أوامر أمها باليقظة؛ فرقدت فوق العشب تحت أشعة الشمس، ومالت هافروشكا عليها تردد قائلة:

ــ نامى أيتها العين وأغلقى جفنيك. نامى أيتها العين وأغلقى جفنيك.

نامت عين الفتاة العوراء، وأثناء نومها كانت هافروشكا قد انتهت من غزل الخيط ونسجه ولفه حول البكرات.

وهكذا، لم تخبر العوراء أمها بشىء عما جرى؛ فأرسلت الأم ابنتها ذات العينين قائلة لها:

ــ ابنتى العزيزة الغالية، اذهبى مع اليتيمة إلى الحقل، واعرفى من يساعدها فى الغزل.

خرجت الفتاة ذات العينين مع هافروشكا إلى الحقل، ونسيت أوامر أمها باليقظة والانتباه، فرقدت فوق العشب تحت أشعة الشمس، ومالت هافروشكا عليها تهدهدها قائلة:

ــ نامى أيتها العينان وأغلقى جفنيك. نامى أيتها العينان وأغلقى جفنيك.

وراحت الفتاة ذات العينين فى سبات عميق، وأثناء نومها كانت هافروشكا قد انتهت من غزل الخيط ونسجه وتبييضه ولفه حول البكرات.

ثارت المرأة العجوز من الغضب، وفى اليوم الثالث أعطت لهافروشكا كمية أكبر من الخيط، وأرسلت معها ابنتها ذات العيون الثلاث.

أخذت الفتاة ذات العيون الثلاث تلهو وتقفز من مكان إلى آخر، ثم رقدت ترتاح فوق العشب تحت أشعة الشمس.

مضت هافروشكا تردد بصوت ناعم:

ــ نامى أيتها العينان وأغلقى جفنيك. نامى أيتها العينان وأغلقى جفنيك.

ونسيت هافروشكا العين الثالثة فلم تغنى لها.

نامت اثنتان من أعين الفتاة، وظلت العين الثالثة صاحية تراقب ما يجرى، فرأت هافروشكا تدخل من إحدى أذنى البقرة وتخرج من الأخرى، ثم تجمع النسيج الجاهز الملفوف على البكرات.

عادت الفتاة ذات العيون الثلاث إلى البيت، وقصَّت على أمها كل ما شاهدته.

فرحت الأم فرحًا كبيرًا، وفى اليوم التالى قالت لزوجها:

ــ أريدك أن تذبح البقرة الرقطاء.

رد العجوز فى دهشة معترضًا:

ــ هل فقدت عقلك أيتها المرأة؟ إن البقرة ما زالت صغيرة فى العمر، كما أنها بقرة جيدة ومفيدة لنا؛ فلماذا أذبحها؟

ــ اذبحها بلا جدال أو نقاش، أو اترك البيت واغرب عن وجهى.

فى النهاية رضخ العجوز لطلب زوجته، وصار يشحذ السكين ليذبح به البقرة، ولما عرفت هافروشكا بالأمر أسرعت إلى الحقل، واحتضنت بقرتها الرقطاء قائلة لها:

ــ إنهم يريدون ذبحك يا بقرتى الحبيبة.

فردت البقرة على الفتاة:

ـ لا تحزنى أيتها الفتاة الجميلة، لكن لا تأكلى من لحمى بعد ذبحى، واجمعى عظامى فى منديل، ثم ادفنيه فى أرض البستان، ولا تنسينى أبدًا، بل اسقى عظامى فى كل صباح بالماء.

بعد ذلك قام العجوز بذبح البقرة، وقامت هافروشكا بكل ما نصحتها به قبل ذبحها؛ فكانت تتضور من الجوع ولا تأكل من لحمها، ودفنت عظامها فى البستان كما أوصتها البقرة، وصارت تسقيها بالماء فى كل صباح.

ونمت فى مكان العظام شجرة تفاح رائعة الجمال، ولم تكن شجرة عادية على الإطلاق، فكانت ثمارها غضة طرية، وأوراقها الذهبية تصدر حفيفًا رقيقًا فى الهواء، وأغصانها الفضية تتمايل مع نسيم الرياح، وكان كل العابرين بها يتوقفون بأبصارهم عندها، وينظرون إليها فى دهشة وإعجاب.

ومضى زمن لا هو بالقصير ولا بالطويل، حتى جاء يوم خرجت فيه الفتيات الثلاث، العوراء وذات العينين وذات العيون الثلاث، وصرن يتريضن بالبستان، وفى هذا الوقت نفسه كان هناك شاب قوى ثرى حلو الطلعة يسير بالقرب منهن، وعندما شاهد ثمار التفاح اليانعة الغضة هتف قائلاً للفتيات:

ـ أيتها الحسناوات، من منكن تستطيع أن تقطف لى تفاحة من هذه الشجرة، تصبح زوجة لى.

أسرعت الفتيات الثلاث نحو شجرة التفاح يحاولن قطف الثمار منها.

كانت الثمار قريبة من الأرض يسهل قطافها، وعندما اقتربت الفتيات منها ارتفعت أغصانها بعيدًا إلى أعلى، ولم تطلها أياديهن مهما حاولوا واجتهدوا فى ذلك.

حاولت الفتيات أن تسقط الثمار، لكن أوراقها أعمت عيونهن ببريقها الفضى، ثم جاهدن ليقطعن أغصانها، غير أنها عصت عليهن كالفولاذ، وامتلأت أياديهن بالجروح والرضوض دون أن ينجحن فى قطف تفاحة واحدة.

وجاءت هافروشكا تسير أمام الشجرة، فانحنت لها الفروع، ومالت نحوها ثمار التفاح، وقطفت هافروشكا منها، ثم دعت الفتى الثرى لتناولها، فتزوج بها، وعاشا معًا فى رغد وهناء، ولم تر فى حياتها بعد ذلك بؤسًا ولا شقاء.

ولد من الطين

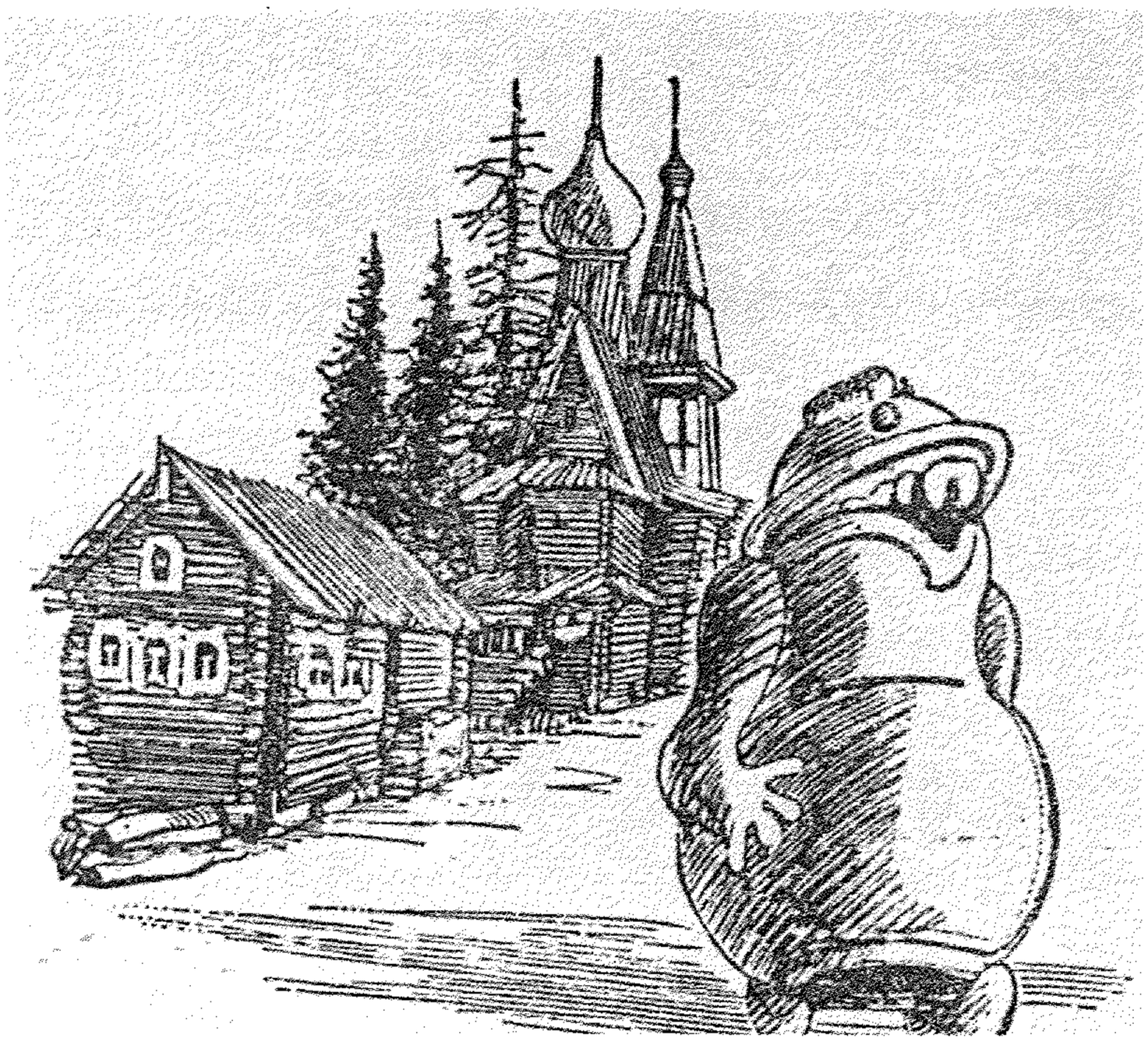

كان ياما كان، رجل عجوز يعيش مع زوجته العجوز، ولم يكن لديهما أولاد ولا بنات، وفى أحد الأيام قالت العجوز لزوجها:

ــ أيها العجوز، اصنع لنا ولدًا من الطين، لنلهو به كما لو كان ولدًا حقيقيًا.

لبى العجوز طلب زوجته، وصنع ولدًا من الطين، ثم وضعه فى الفرن ليجففه، وبعد أن جف الولد الطينى نطق قائلاً:

ـ أعطنى بعض الحليب أشربه، وخبزًا آكله.

أحضرت له الزوجة حليبًا وخبزًا؛ فأكل الولد وشرب، ثم صاح ثانية:

ـ أريد طعامًا، أريد طعامًا.

وظلت المرأة العجوز وزوجها يقدمان له الحليب والطعام، حتى نفد من عندهما، والولد الطينى ما زال يصرخ قائلاً:

ـ أريد طعامًا، أريد طعامًا.

ولم يجد الزوجان شيئًا آخر يقدمانه إليه ليأكله، عندئذ قفز الولد الطينى من داخل الفرن، والتهم المرأة العجوز بمغزلها، ثم هجم على الرجل العجوز، وابتلعه بعصاه، وبعد ذلك خرج إلى الطريق.

سار الولد فى الطريق حتى قابله ثور؛ فقال الولد له:

ـ لقد أكلت خمسة أرغفة من الخبز، وشربت خمسة أقداح من اللبن، ثم أكلت المرأة العجوز بمغزلها، وابتلعت الرجل العجوز بعصاه، والآن سوف آكلك أنت الآخر.

والتهم الولد الطينى الثور.

ومضى يواصل طريقه، حتى قابله جماعة من الحطابين يحملون المعاول. فقال لهم الولد:

ـ لقد أكلت خمسة أرغفة من الخبز، وشربت خمسة أقداح من اللبن، ثم أكلت المرأة العجوز بمغزلها، وابتلعت الرجل العجوز بعصاه، والثور بقرنيه، والآن سوف آكلكم جميعًا.

والتهم الولد الطينى الحطابين بمعاولهم.

وسار الولد الطينى، حتى شاهد بعض الفلاحين يحملون المحاريث، ومعهم النساء على الجرافات؛ فهتف الولد الطينى يقول:

ـ لقد أكلت خمسة أرغفة من الخبز، وشربت خمسة أقداح من اللبن، ثم أكلت المرأة العجوز بمغزلها، وابتلعت الرجل العجوز بعصاه، والثور بقرنيه، والحطابين بمعاولهم، والآن سوف ألتهمكم جميعًا.

التهم الولد الطينى الفلاحين بمحاريثهم، والنساء بجرافاتهن، ومضى يواصل طريقه. ثم قابل تيسًا فقال له:

ـ لقد أكلت خمسة أرغفة من الخبز، وشربت خمسة أقداح من اللبن، ثم أكلت المرأة العجوز بمغزلها، وابتلعت الرجل العجوز بعصاه، والثور بقرنيه، والحطابين بمعاولهم، والفلاحين بمحاريثهم، والنساء بجرافاتهن، والآن سوف ألتهمك أنت الآخر أيها التيس.

لكن التيس رد قائلاً:

ـ لا تجهد نفسك بابتلاعى، بل اذهب وقف أسفل هذا التل، وسوف أصعد فوقه، ثم أركض نحوك لأسقط فى فمك على الفور.

وقف الولد الطينى أسفل التل، وصعد التيس إلى قمة التل، ثم هبط نحوه راكضًا بأقصى سرعته وقرنيه للأمام، ونطحه التيس بقرنيه نطحة هائلة، فحطم الولد الطينى إلى أجزاء متناثرة.

عندئذ، خرجت من جوفه المرأة العجوز بمغزلها، ثم الرجل العجوز بعصاه، والثور بقرنيه، والحطابين بمعاولهم، ومن بعدهم خرج الفلاحون بمحاريثهم، والنساء بجرافاتهن.

وأثنى الجميع على التيس وفطنته.

الجبل الزجاجى

فى بلد من البلدان عاش أحد الملوك، وكان له من الأبناء ثلاثة.

وفى يوم من الأيام قال له الأبناء:

ــ امنحنا بركتك أيها الوالد المبجل، فسوف نخرج إلى الصيد.

بارك الوالد أبناءه، وخرجوا للصيد كل منهم فى طريق مختلف عن الآخر. سار الابن الأصغر فى طريقه طويلاً حتى تاه واختلطت عليه الدروب، ثم وصل إلى مرج فسيح به فرس صريع، ومن حول جثة الفرس اجتمعت شتى أنواع الضوارى والوحوش المفترسة والجوارح المحلقة.

ومن بين الطيور حلق الصقر وحط على كتف الأمير وقال له:

ــ أيها الأمير إيفان، وزع بيننا جثة هذا الفرس بالعدل، فهى ترقد هنا منذ ثلاث وثلاثين عامًا، ونحن منذ هذا الوقت فى شجار ونزاع من أجل تقسيمه بيننا بلا جدوى.

ترجل الأمير من فوق فرسه، وقام بتوزيع جثة الفرس فيما بينهم: فأعطى العظام للطيور، واللحم مع الجلد للحيوانات المفترسة، أما الرأس فأعطاها للنمل.

بعد ذلك هتف الصقر قائلاً:

شكرًا لك أيها الأمير إيفان على صنيعك الطيب، ونظير عملك هذا فقد منحناك القدرة على التحول إلى صقر ساطع، أو نملة زاحفة، كلما شئت ذلك.

ضرب الأمير الأرض بقدميه، فتحول على الفور إلى صقر ساطع، ثم طار محلقًا فى السماء حتى وصل إلى مملكة ما وراء البلاد، وكان نصف هذه المملكة مقامًا فى أحضان الجبل الزجاجى.

وطار الأمير الصقر نحو القصر، وهناك عاد مرة أخرى إلى هيئته السابقة، وسار إلى حراس القصر وسألهم قائلاً:

ــ ألا يقبل ملككم أن أعمل لديه فى القصر؟

ــ وهل هناك من يرفض فارسًا مثلك؟

وعمل الأمير لدى الملك، ومر عليه أسبوع، فثان، فثالث، وهو فى العمل.

وطلبت الأميرة ابنة الملك تقول له:

ــ اسمح لى يا أبى العزيز بالخروج مع الأمير إيفان إلى الجبل الزجاجى.

أذن لها الملك بالخروج، فسرجت جوادها، وانطلقت مع إيفان إلى الجبل الزجاجى.

وما إن وصلا إلى الجبل، حتى ركضت أمامهما من حيث لا ندرى عنزة ذهبية.

انطلق الأمير إيفان يطارد العنزة تاركًا الأميرة. وأخذ يسعى خلفها، فلم يستطع اللحاق بها، وعاد محبطا إلى المكان الذى ترك الأميرة به، فلم يجد لها أثرًا. فكر الأمير فى نفسه:

"ماذا أفعل الآن؟ وكيف يمكننى المثول أمام الملك بدون ابنته؟".

ثم تنكر الأمير فى هيئة عجوز قروى، ولم يعد أحد قادرعلى التعرف إليه. وذهب إلى قصر الملك قائلاً له:

ــ مولاى الملك المعظم، أعطنى قطيعًا أرعاه لك فى أرض الوادى.

ــ حسنًا أيها العجوز، ولو طار إليك التنين ذو الرءوس الثلاثة، فأعطه ثلاث بقرات، وإذا طار نحوك ذو الرءوس الستة ، فاترك له ست بقرات، أما لو هجم عليك التنين ذو الاثنى عشر رأسًا، فلا تبخل عليه باثنتى عشرة بقرة.

ساق الأمير إيفان القطيع للرعى فى الجبال والوديان الخضراء، وفجأة حلق من فوق البحيرة التنين ذو الرءوس الثلاثة، وصاح مزمجرًا:

ــ ما هذا العمل الذى تقوم به أيها الأمير إيفان؟ إن مكانك فى ساحة الحرب مع الفرسان، وليس الرعى مع البقر والخراف. على أيه حال، هيا أعطنى سريعًا ثلاث بقرات من قطيعك.

رد الأمير:

ــ أليس هذا بكثير عليك؟ ألا تخشى أن تصاب بالتخمة؟ إننى لا آكل فى اليوم سوى بطة واحدة على الأكثر. وأنت تريد ثلاث بقرات سمان. لا، لن أعطيك شيئًا.

ثار التنين غاضبًا، وهجم على القطيع، وأمسك بست بقرات بدلاً من الثلاث، عندئذ، تحول الأمير إلى الصقر الساطع، وانقض على التنين فقطع له رءوسه الثلاثة، وساق القطيع إلى البيت.

سأل الملك قائلاً:

ــ كيف الحال أيها العجوز؟ هل قابلت التنين ذا الرءوس الثلاثة ؟ وهل أعطيته ثلاث بقرات؟

ــ لا يا مولاى الملك، لم أعطه شيئًا من القطيع.

وفى اليوم التالى، ساق الأمير القطيع للرعى فى الجبال والوديان الخضراء، ونظر فرأى التنين ذا الرءوس الستة يحلق نحوه طائرًا من البحيرة. وطلب التنين منه ست بقرات. فرد الأمير:

ــ يا لك من وحش نهم كبير البطن. أنا لا آكل طوال اليوم سوى بطة واحدة، وأنت تريد كل هذا اللحم. لن أعطيك شيئًا مما تطلبه.

هاج التنين من الغضب، وهجم على القطيع واختطف اثنتى عشرة بقرة منه بدلاً من الستة، فتحول الأمير إلى الصقر الساطع، واندفع نحو التنين، وقطع له رءوسه الستة.

ثم عاد الأمير بالقطيع إلى البيت. وسأله الملك ثانية:

ـــ هل صادفك التنين ذو الرءوس الثلاثة أيها العجوز؟ وهل أكل الكثير من أبقار القطيع؟

ـــ لقد صادفنى بالفعل يا مولاى، لكننى لم أدعه يأكل شيئًا.

وفى وقت متأخر من الليل، تحول الأمير إيفان إلى نملة زاحفة، وتسلل عبر شق ضيق إلى الجبل الزجاجى، ورأى الأميرة تجلس فى بطن الجبل، فقال لها إيفان:

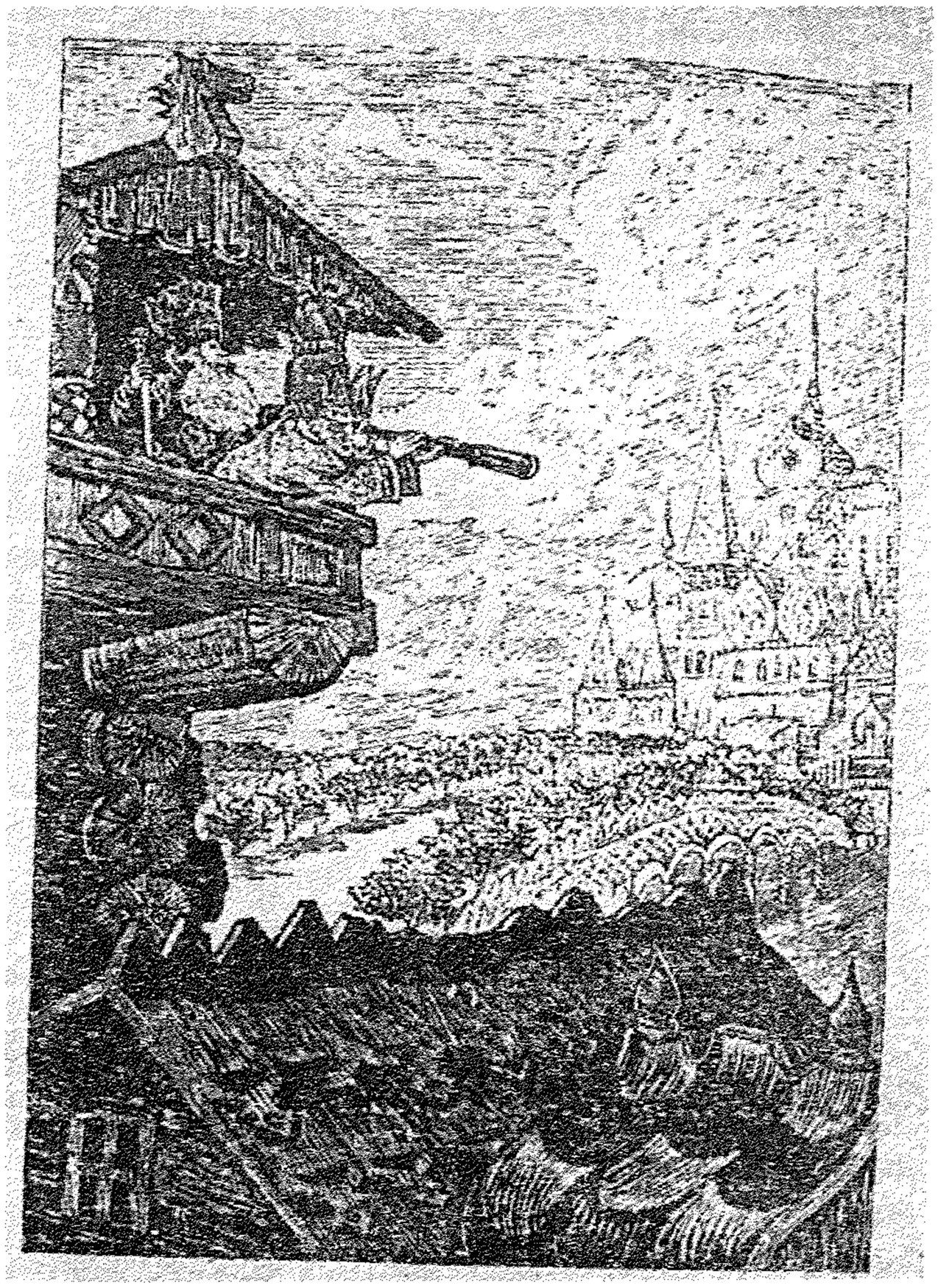

ــ مرحبًا أيتها الأميرة، كيف جئت إلى هنا؟

ــ لقد خطفنى التنين ذو الاثنى عشر رأسًا، وأحضرنى إلى هذا المكان، وهو يعيش فى البحيرة، وفى بطن التنين يوجد صندوق، وفى الصندوق يختبئ أرنب، وفى جوف الأرنب بطة، وداخل البطة بيضة، والبيضة بها بذرة، ولن تستطيع قتل التنين ما لم تحصل على هذه البذرة، وعندئذ يمكنك تحريرى من الجبل الزجاجى.

خرج الأمير من داخل الجبل، وتنكر فى هيئة الراعى العجوز ثانية، وساق القطيع يرعاه فى الوادى.

وفجأة، حلق فوقه التنين ذو الاثنى عشر رأسًا وصاح بصوت مخيف:

ــ ما هذا العمل الذى تقوم به أيها الأمير إيفان؟ إن مكانك فى ساحة الحرب مع الفرسان، وليس الرعى مع البقر والخراف. على أيه حال، هيا أحص سريعًا اثنتى عشرة بقرة من قطيعك، وأعطنى إياهم.

أجاب الأمير:

ــ ألا تخشَ أن تُصاب بالتخمة أيها الوحش النهم؟ إننى لا آكل فى اليوم سوى بطة واحدة على الأكثر، وأنت تطلب كل هذا اللحم.

ودخل الاثنان فى صراع شديد، وطال القتال بينهما، حتى انتصر الأمير فى نهاية الأمر على التنين، وقطع له رءوسه كلها، ثم شق بطنه، فوجد بالجانب الأيمن صندوقًا، وأخرج من الصندوق أرنبًا، ومن الأرنب خرجت بطة، وفى البطة وجد البيضة، ومن البيضة نزع البذرة، وأحرق البذرة، ثم حملها إلى الجبل الزجاجى الذى ذاب على الفور.

بعد ذلك أخرج الأمير إيفان الأميرة من الداخل، وذهب بها إلى قصر الملك، ففرح الملك كثيرًا وقال للأمير:

ـــ أرجو أن تصبح صهرًا لى أيها الفتى الشجاع.

وسرعان ما تم عقد قران الأميرة على الأمير إيفان، وقامت الأفراح ولياالى الملاح فى أرجاء المملكة ابتهاجًا بالزفاف السعيد.

الخاتم السحرى

كان ياما كان، رجل عجوز يعيش مع زوجته العجوز. وكان لهم ابن يدعى مارتينكا. عاش العجوز طول حياته يعمل بالصيد، فكان يصيد الوحوش والطيور على أنواعها، واستطاع من هذا العمل أن يطعم نفسه وأسرته، حتى جاء وقت مرض فيه العجوز ومات، وترك مارتينكا وأمه فى الدنيا بمفردهما، وبكى الاثنان الأب الراحل، لكن بكاءهما لم يعده إلى الحياة ثانية، ومر عليهما أسبوع أكلا فيه كل الخبز الموجود بالبيت.

رأت الزوجة العجوز أن البيت صار خاويًا من الطعام، ولا مفر من شرائه بالمال. وكان العجوز قد ترك لها قبل وفاته مائتى روبل. وكانت الزوجة ترغب فى الاحتفاظ بالنقود، لكن الجوع ألم بهما، ولم يعد هناك مخرج آخر، فأحصت مائة روبل، وأعطتهم لابنها قائلة له:

ــ خذ يا مارتينكا هذه النقود، واعرج إلى منزل جارنا الطيب ليعرك حصانًا، ثم اذهب إلى المدينة واشتر لنا خبزًا ليصبح لدينا زاد فى الشتاء. وفى الخريف سوف نخرج للبحث عن عمل نتعيش منه.

سأل مارتينكا جاره ليعيره عربة يجرها الحصان، وذهب بها إلى المدينة، ثم سار بالقرب من بعض محال الجزارة. فشاهد جمعًا من الناس يحتشدون عندها، وسمع أصواتًا وضوضاء عالية. واخترق مارتينكا الجموع، فرأى جزارًا يقبض

على كلب من كلاب الصيد، وقد ربطه إلى عامود من الخشب. وكان الجزارون الآخرون يوسعونه ضربًا بالعصى، وأخذ الكلب ينبح ويعوى صارخًا من الألم. فأسرع مارتينكا إلى الجزارين وسألهم قائلاً:

ــ أيها الإخوة، لماذا تضربون هذا الكلب المسكين بهذه القسوة؟

رد الجزارون:

ــ لقد سرق هذا الحقير فخذة كاملة من اللحم.

ــ كفاكم ضربًا له أيها الإخوة. بعونى هذا الكلب أفضل لكم من قتله.

رد أحد الرجال مازحًا:

ــ ادفع لنا إذن مائة روبل ثمنًا له.

أخرج مارتينكا من ثيابه المائة روبل، وأعطاهم للجزارين. ففكوا وثاق الكلب، وأعطوه للفتى، وأخذ الكلب يهز ذيله لمارتينكا ويدور حوله ممتنًا له، وقد أدرك أنه منقذه من الموت.

عاد مارتينكا إلى البيت فسألته أمه:

ــ ما الذى اشتريته بالنقود يا بنى؟

ــ اشتريت لنفسى السعادة الأولى.

ــ ما الذى تخرف به؟ أية سعادة اشتريت؟

ــ ها هى أمامك، إنه الكلب جوركا.

ــ ألم تشترِ شيئًا آخر؟

ــ لم يبقَ شىء من النقود، بعد أن دفعتها كلها ثمنًا للكلب.

تملك الحزن من العجوز، وقالت:

ـــ أتشترى كلبًا بالنقود وليس لدينا ما نأكله؟ لقد جمعت فتات الخبز من كل ركن بالبيت لنأكلها اليوم. وفى الغد لن نجد حتى الفتات لنقتات به.

وفى اليوم التالى أعطت العجوز المائة روبل الأخيرة لابنها مارتينكا، وقالت له بصرامة:

ـــ هيا اذهب إلى المدينة يا ولدى، واشترِ لنا خبزًا، وإياك أن تضيع النقود هباء.

ذهب مارتينكا إلى المدينة، ومضى يتجول فى شوارعها، فصادفه صبى شرير سيئ الخلق. كان الصبى يجر قطًا من رقبته بحبل ربطه حوله، ويدفع به نحو النهر؛ فصاح مارتينكا فى الصبى قائلاً:

ـــ انتظر أيها الصبى، إلى أين تدفع بالقط؟

ـــ إلى النهر لأغرقه فى مائه.

ـــ وما ذنب هذا القط؟

ـــ لقد سرق شطيرة من على الطاولة.

ـــ حسنًا، لا تغرقه فى الماء، بل بعنى إياه.

ـــ لك ما تريد، ادفع لى مائة روبل ثمنًا له.

لم يساوم مارتينكا الصبى، بل أخرج من ملابسه المائة روبل وأعطاهم له.

ثم وضع القط فى جواله، وذهب به إلى البيت، فسألته الأم قائلة:

ـــ ما الذى اشتريته يا بنى؟

ـــ القط فاسكا.

ـــ ألم تشترِ شيئًا آخر؟

ـــ لم يبقَ شىء من النقود، بعد أن دفعتها ثمنًا للقط.

صرخت العجوز فيه بغضب:

ــ يا لك من أحمق أخرق العقل. هيا اخرج من البيت، وابحث لنفسك عن طعامك لدى الغرباء من الناس.

خرج مارتينكا إلى القرية المجاورة للبحث عن عمل فيها. وسار فى الطريق ومن خلفه يركض جوركا وفاسكا، وصادفه عجوز أثناء سيره، فقال له يسأله:

ــ إلى أين مقصدك أيها الفتى؟

ــ أسير للبحث عن عمل أقوم به.

ــ يمكن الذهاب معى لو أردت، لكن من يعمل عندى يقضى فى العمل ثلاث سنوات. وبعد ذلك أجزل له العطاء وأكافئه بسخاء.

وافق مارتينكا على شرط العجوز، وقضى لديه ثلاث سنوات، ومر عليه ثلاثة فصول من الشتاء، وهو يعمل بلا كلل ولا تكاسل. وجاء موعد قبض الأجر عن عمله. فنادى عليه صاحب العمل، وقال له:

ــ هيا يا مارتينكا، اذهب معى لتحصل على أجرك.

ثم خرج معه إلى فناء بيته. وأشار إلى جوالين مملوءين قائلا:

ــ اختر ما شئت من الجوالين، وخذه لنفسك.

نظر مارتينكا إلى الجوالين. فرأى أحدهما مملوءًا بالفضة، والآخر بالرمل. ففكر فى نفسه قائلاً:

"هذا لغز قد أعده الرجل لى. فلأجرب حظى وآخذ الجوال المملوء بالرمل، حتى لو ضاع جهد السنوات الثلاث هباء".

ثم صاح قائلاً للعجوز:

ـ لقد قررت أيها الأب أن آخذ الجوال المملوء بالرمل.

ـ الأمر لك يا ولدى، خذه ما دمت تفضل الرمل عن الفضة.

حمل مارتينكا الجوال فوق ظهره. ومضى يجرب حظه فى مكان آخر. وظل يسير طويلاً حتى وصل إلى قلب الغابة المظلمة. ودخل إلى مرج بالغابة، فشاهد نارًا تشتعل فى المرج. وفى وسط النار تجلس فتاة باهرة الحسن والجمال، تعجز الأساطير والحكايات عن وصف فتنتها، وهتفت الفتاة تقول:

ـ مارتينكا أيها الفتى الهمام، لو أنك تسعى إلى السعادة المنشودة فأنقذنى من الهلاك، وانثر على النار الرمل الذى حصلت عليه نظير عملك طوال السنوات الثلاث.

فكر مارتينكا:

"حقًا، بدلاً من أن أجهد نفسى بحمل هذا الجوال الثقيل، فالأفضل لى أن أستخدمه لإنقاذ حياة هذه الفتاة، كما أن الرمل ليس بثروة أحتفظ بها، فهو موجود حولى فى كل مكان".

وأخذ مارتينكا ينثر الرمل من الجوال على النار حتى أطفأها. وضربت الفتاة الجميلة الأرض بقدميها، فانقلبت إلى حية كبيرة، ثم قفزت على مارتينكا، والتفت بجسمها حول عنقه، وتملك الرعب من الفتى فوقف متسمرًا. عندئذ صاحت الحية:

ـ لا تخف يا ابن الأرملة. وانطلق الآن إلى ما بلاد وراء البحار، حيث توجد المملكة السفلية التى يحكمها والدى تحت الأرض. فاذهب إليه فى قصره. وسوف يعرض عليك الكثير من الذهب والفضة والأحجار الثمينة. فلا تأخذ منها شيئًا، بل اطلب منه أن يمنحك الخاتم السحرى الذى يضعه فى إصبعه الخنصر.

فهذا الخاتم يتسم بقدرة فريدة. عندما تقذفه من يد إلى أخرى، يظهر أمامك على الفور اثنا عشر من الفتيان، ويلبون لك كل ما تطلب فى ليلة واحدة.

انطلق الفتى فى طريقه إلى المملكة، وأخذ يسير ويقطع الجبال والدروب، ويعبر الأنهار والبحيرات، حتى وصل إلى بلاد ما وراء البحار. وهناك رأى حجرًا كبيرًا مثل الجبل. فقفزت الحية من على رقبته. وضربت بذيلها الأرض. وفى لمح البصر تحولت إلى فتاة رائعة الجمال فى هيئتها السابقة. وقالت لمارتينكا:

ــ اتبعنى أيها الفتى.

وقادت الفتاة مارتينكا إلى ممر أسفل الحجر. وظلا يسيران طويلاً عبر أنفاق ودروب تحت الأرض، حتى ظهرت حزمة شحيحة من النور. وأخذ النور والضياء يزداد شيئًا فشيئًا، حتى خرجا إلى أرض فسيحة يربض عليها قصر منيف بديع المعمار. كان هذا القصر الرائع مسكنًا لحاكم المملكة السفلية والد الفتاة الحسناء.

دخل مارتينكا مع الفتاة إلى القصر المبنى بالأحجار البيضاء. فقابلهما الملك بالترحاب والسرور قائلاً:

ــ مرحبًا بك يا ابنتى العزيزة. أين كنت طوال هذه السنين الماضية؟

ردت الفتاة:

ــ آه لو تعلم ما ألمَّ بى يا والدى الحبيب. لقد أوشكت على الهلاك والموت المحتوم فى الغابة، ولولا هذا الفتى الشجاع الذى أنقذنى ورافقنى إلى هنا، لما رأيت وجهى ثانية.

قال الملك:

ـــ لك منى جزيل الشكر والعرفان أيها الفتى الطيب. ولا بد من مكافأتك على صنيعك الكبير. فخذ من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ما بوسعك حمله.

رد مارتينكا ابن الأرملة قائلاً:

ـــ مولاى الملك الكريم، ليس بى حاجة إلى ذهب أو فضة أو أحجار ثمينة، إنما أريد منك أن تعطينى الخاتم الذى تضعه فى إصبعك الخنصر، وذلك حتى أنظر إليه وأفكر فى عروس المستقبل، فيسرى عنى ويخفف شعورى بالوحدة والضجر، فإننى أعزب بلا زوجة.

على الفور خلع الملك الخاتم من خنصره، وأعطاه لمارتينكا قائلاً له:

ـــ خذه لك على الرحب والسعة، لكن إياك أن تحدث أحدًا بأمر هذا الخاتم. وإلا فالعاقبة وخيمة.

شكر مارتينكا ابن الأرملة الملك، وأخذ الخاتم وبعض المال للطريق، ثم مضى يسير فى طريق العودة الذى جاء منه، وظل يسير طويلاً بلا راحة ولا كسل، حتى وصل أخيرًا إلى قريته، وبحث عن أمه العجوز. ولما وجدها صار يعيش معها بلا عوز أو فقر، ومضت أيامهما فى سلام وسعادة.

وأراد مارتينكا الزواج. فطلب من أمه أن تذهب للملك، وتخطب له ابنته الأميرة الحسناء. فأجابته العجوز فى دهشة قائلة:

ـــ ما الذى تقوله يا ولدى؟ هل ارتطم رأسك فى شجرة ففقدت العقل؟ ألا تدرى أن الملك سوف يغضب من هذا الطلب، ويسوقنى معك إلى الإعدام؟

ـــ لا تخشى شيئًا يا أمى. ما دمت أطلب منك ذلك فاذهبى إليه بكل شجاعة. ولا تعودى إلى بدون رد على طلبك من الملك، وأخبرينى به أيًا كان هذا الرد.

أعدت العجوز نفسها، وخرجت على الفور إلى قصر الملك. وما إن وصلت هناك حتى ارتقت السلالم الرخامية صاعدة نحو البهو الملكى. فأمسك بها الحراس وصرخوا فيها:

ــ قفى مكانك أيتها الساحرة الشمطاء. إلى أين تتوين الذهاب أيتها المختلة؟ ألا تدرين أن القادة والأمراء أنفسهم لا يسيرون فى القصر بلا إذن مسبق؟

ردت العجوز بغضب:

ــ يا لكم من حمقى. لقد جئت إلى الملك لأخطب منه ابنته وأطلبها زوجة لابنى، وأنتم تمسكون بى كاللصة المذنبة.

ورفعت العجوز عقيرتها بالصراخ والزعيق فى وجه الحراس. وسمع الملك الضوضاء فى مجلسه. فنظر عبر نافذة القصر، وأمر بالسماح للعجوز أن تدخل إليه، ثم سألها قائلاً:

ــ ماذا تريدين أيتها المرأة العجوز؟

ــ لم أحضر إليك يا مولاى لأشكو من أمر أو أطلب رفع ظلم وقع علىَّ، وإنما لدى تاجر يريد الشراء، ولديك السلعة التى يريدها. هذا التاجر هو ابنى مارتينكا الفتى الرائع. أما السلعة المطلوبة فهى ابنتك الأميرة الحسناء التى حان الوقت لزواجها؛ لذلك فأنا أطلبها منك للزواج من ابنى مارتينكا.

صرخ الملك وهو فى سورة من الغضب:

ــ هل فقدتى عقلك أيتها المرأة العجوز؟

ــ على الإطلاق يا مولاى الملك، فإننى فى كامل قواى العقلية، وأرجو منك أن تعطينى الإجابة على طلبى.

أسرع الملك بجمع كل الوزراء والحاشية والأمراء، وأخذ يناقش معهم طلب المرأة العجوز المختلة العقل. وانتهى النقاش بينهم إلى الآتى: على مارتينكا أن يشيد قصرًا منيفًا لا نظير له فى العالم، وأن يقيم جسرًا من البللور يصل به إلى قصر الملك، وأن تظلل جانبى الجسر أشجار تثمر تفاحًا من الذهب والفضة، وتغرد البلابل والطيور فوقها، كما عليه أيضًا أن يشيد كنيسة ذات خمس قباب، حتى يتم بها عقد القران ومراسم الزفاف. وكل ذلك فى غضون ليلة واحدة. وإذا نجح ابن العجوز فى القيام بهذا العمل، يصبح جديرًا بالزواج من الأميرة. أما لو فشل فى تنفيذ الطلب، فتقطع رأسه على الفور مع أمه العجوز.

وخرجت العجوز من القصر بهذا الطلب، ومضت تسير نحو البيت وهى تبكى بالدموع الحارة، وتندب حظها العاثر. ولما رأت مارتينكا صرخت فى وجهه:

ــ ألم أقل لك من قبل ألا تطلب المستحيل؟ فلم تصغ إلى كلامى، والآن قد طارت رقابنا، وصار الموت وشيكًا لكلينا.

ــ لا تخشى شيئًا يا أمى، فسوف نظل أحياء. اذهبى إلى فراشك، وحكمة الصباح تنير العقل أفضل من الليل.

وعندما انتصف الليل تمامًا، نهض مارتينكا من فراشه. وخرج إلى فناء بيته، ثم قذف خاتمه من يده إلى الأخرى. وفى لمح البصر ظهر أمامه اثنا عشر من الفتيان لهم نفس الوجه والشعر والصوت. وهتفوا قائلين:

ــ بماذا تأمرنا يا مارتينكا يا ابن الأرملة؟

ــ أريد منكم أن تشيدوا لى قصرًا عظيمًا لا مثيل له فى العالم، وتقيموا له جسرًا من البللور الخالص يصل به إلى قصر الملك، وأن تظلل جانبى الجسر أشجار مثمرة بتفاح من الذهب والفضة، وتغرد البلابل ومختلف الطيور فوق

أغصانها، كما عليكم أيضًا أن تشيدوا كنيسة ذات خمس قباب، كى يتم بها عقد القران ومراسم الزفاف. على أن تنتهوا من ذلك العمل قبل طلوع الفجر.

أجاب الفتيان:

ــ أوامرك مطاعة. وقبل الفجر سوف يكون كل شيء جاهزًا.

وتفرق الفتيان فى مختلف الأرجاء يجمعون حشود الصناع والنجارين. وشرعوا جميعًا بسرعة كبيرة فى العمل، وأخذوا يشيدون ما طلبه مارتينكا فى همة ونشاط.

وفى الصباح الباكر استيقظ مارتينكا من نومه. فرأى نفسه فى قصر رائع الجمال بديع الصنع بدلا من بيته القديم. وخرج إلى الشرفة العالية، فشاهد أمامه كل ما طلبه الملك. فقد كان هناك الكنيسة ذات القباب الخمس، والجسر البللورى تحيط به أشجار التفاح الذهبى والفضى. وفى هذا الوقت نفسه، خرج الملك إلى شرفته. ونظر وهو لايصدق عينيه؛ فقد رأى كل ما طلبه قد قام أمام ناظريه. فنادى على ابنته الحسناء، وطلب منها الاستعداد للزفاف، وقال لها:

ــ لم أرغب فى السابق أن أزوجك لابن العجوز. أما الآن فلا يمكننى أن أرفض عريسًا مثله.

خرجت الأميرة تغتسل وتتزين بالحلى والأحجار الكريمة استعدادًا للزفاف. وفى هذه الأثناء خرج مارتينكا ابن الأرملة إلى فناء القصر. ورمى بالخاتم من يد إلى أخرى. فظهر له فى الحال الفتيان الاثنا عشر، كما لو أن الأرض انشقت عنهم. وقالوا فى صوت واحد:

ــ بماذا تأمرنا يا مارتينكا يا ابن الأرملة؟

ــ أريد منكم أن تلبسونى أفخر الثياب، وتحضروا لى عند مدخل القصر عربة فاخرة مزدانة بالأعلام يجرها ستة من الجياد.

ــ أمرك مطاع فى الحال.

لم يكد مارتينكا أن يطرف بعينيه حتى رأى الفتيان يحملون إليه ثياب أجمل من ثياب الأمراء والملوك. فارتدى الثياب وخرج إلى مدخل القصر. ورأى عربة مطعمة بالذهب والفضة تقف عند المدخل. وقد ربطت إليها ستة من الجياد الأصيلة. فركب مارتينكا العربة منطلقا بها نحو الكنيسة. وكانت الأجراس قد قرعت منذ وقت، واجتمعت حشود كبيرة من الناس ليشاهدوا الزفاف. وبعد وصول العريس مارتينكا، جاءت الأميرة تصاحبها الأقارب والوصيفات. ومن بعدها الملك مع الوزراء والحاشية، وأمسك مارتينكا ابن الأرملة بيد الأميرة الحسناء. وتم عقد القران بينهما. ومنح الملك ابنته الكثير من الذهب والمنح النفيسة. وأعطى لصهره الهدايا الثمينة. وأقيمت الأفراح والاحتفالات فى أرجاء البلاد ابتهاجا بالزفاف.

عاش الزوجان فى سعادة وهناء. ومر عليهم شهر، فاثنين، فثلاثة. وكان مارتينكا فى كل يوم يبنى قصرًا جديدًا، أو يقيم حديقة بعد الأخرى.

غير أن الأميرة لم تكن راضية فى قرارة نفسها، بالزواج من رجل عادى بسيط. بعد ان كانت تحلم بأمير أو ملك من الملوك. وصارت تفكر فى وسيلة للتخلص منه. فأخذت تتملقه وتدلله، وتتظاهر بحبها له، كى يعترف لها عن سر قوته وثرائه. لكن مارتينكا كتم بعناد سره عنها، ولم يحك لها شيئا.

وفى إحدى المرات، كان مارتينكا فى ضيافة الملك. وعاد متأخرا إلى بيته. فرقد متعبا فى فراشه يريد النوم. وتحينت الأميرة الفرصة. فظلت تداعبه

وتقبله وتحدثه بمعسول الكلام. واستسلم مارتينكا فى آخر الأمر، وحكى لها عن الخاتم السحرى وسره الحقيقى. قالت الأمير فى نفسها:

"أخيرا عرفت سرك، وسوف أدبر أمرك بعد ذلك".

ظلت الأميرة ساهرة حتى راح مارتينكا فى النوم. فنزعت الخاتم السحرى من إصبعه، وخرجت إلى الفناء، ثم رمت الخاتم من يد لأخرى. وفى لمح البصر ظهر أمامها الفتيان الاثنا عشر وهتفوا فى صوت واحد قائلين:

ــ بماذا تأمرينا أيتها الأميرة الحسناء؟

ــ أريد منكم أن تزيلوا هذا القصر والجسر والكنيسة من على الأرض. ليعود كل شئ إلى حاله السابق، وحتى يعيش زوجى فى فقر وعوز. وأن تحملونى بعد ذلك إلى ما وراء البلاد والبحار حيث مملكة الفئران. لأعيش فيها وأتوارى عن الناس من الخجل والعار الذى لحق بى.

ــ أمرك مطاع فى الحال.

وفى الحال، حملت الرياح الأميرة إلى ما وراء البلاد والبحار، حتى وصلوا بها إلى مملكة الفئران.

استيقظ الملك فى الصباح. وخرج إلى شرفته ينظر عبر منظاره المقرب. فلم ير أثرًا للقصر والجسر ولا للكنيسة، بل شاهد بيتا عتيقا فقيرا يقف مكانهم. قال الملك فى نفسه:

"ما هذا الذى أراه؟ وأين ذهب القصر وبقية الأشياء؟".

وقام الملك على وجه السرعة بإرسال تابع له ليعرف حقيقة الأمر، فانطلق الرسول على الفور وعاد بعد فترة يقول للملك:

ــ لم يعد هناك سوى بيت فقير مكان القصر الفخيم. وفى هذا البيت يعيش صهرك مارتينكا مع أمه العجوزة ولا يوجد أى أثر للأميرة الحسناء، ولا يعرف أحد مكانها حتى الآن.

اجتمع الملك مع حاشيته ومستشاريه، وأمر بعقد محاكمة لصهره، وذلك لما قام به من سحر شرير، وقتله للأميرة الحسناء. فحكموا على مارتينكا بالحبس فى برج عال من الحجر بلا طعام ولا ماء، حتى يموت من الجوع والعطش عقابًا له على ما فعله، وشيد البناؤون البرج الحجرى، ووضعوا مارتينكا فى حجرة صغيرة أعلاه. وتركوا له كوة صغيرة يدخل منها الضوء. وجلس المسكين فى محبسه بلا طعام ولا شراب. ومر عليه يوم، فثان، فثلاثة أيام. وغرق جسمه فى الدموع من الحزن واليأس.

عرف الكلب جوركا بهذا الأمر، فركض مسرعًا إلى البيت، ورأى القط فاسكا راقدًا على الفرن يموء ويلعق مخالبه بلسانه، فقال له جوركا بغضب:

ــ يا لك من وغد ذميم يا فاسكا. ألا تعرف شيئًا فى الحياة سوى الكسل والرقاد على الفرن ولعق مخالبك؟ ألم تر صاحبنا حبيسًا فى البرج الصخرى؟ يبدو أنك قد نسيت صنيعه الطيب معك. لقد دفع مئة روبل لإنقاذك من الموت، وأنت لا تستحق أيها الحقير. هيا انهض سريعا لتساعدنى فى إنقاذه من محنته.

قفز القط فاسكا من على الفرن، وانطلق مسرعًا مع الكلب جوركا ليساعدوا مارتينكا. وبعد أن وصلا إلى البرج، أخذ القط يتسلق أحجاره حتى وصل إلى الكوة، فدخل منها إلى الحجرة الصغيرة قائلاً:

ــ مرحبًا أيها السيد الفاضل. هل مازلت على قيد الحياة بعد؟

رد مارتينكا:

– إننى على وشك الموت من الجوع والعطش.

قال فاسكا:

– تجلد أيها السيد. فسوف نأتى لك بالطعام والشراب.

وهبط فاسكا ثانية إلى الأرض وصاح قائلاً للكلب:

– إن السيد يكاد أن يموت من الجوع والعطش. فكيف لنا أن نساعده؟

– إنه لأمر بسيط أيها الغبى. سوف نذهب معا إلى المدينة، ونسير هناك حتى نقابل خبازًا يحمل الخبز والفطائر. حينئذ سوف أهجم على قدميه وأعضهم. وعندما يقع الخبز منه على الأرض، عليك أن تخطف منه ما تقدر على حمله، ثم تذهب به إلى السيد مارتينكا.

وسار الاثنان فى أحد شوارع المدينة حتى صادفهم خبازًا يحمل الخبز والفطائر على لوح خشبى فوق رأسه. وهجم جوركا على قدمى الخباز يعضهم بأسنانه. فخاف الخباز واختل توازنه. وسقط الخبز والفطائر على الأرض. فأسرع فاسكا يحمل منهم ما استطاع. وركض بهم إلى مارتينكا فى محبسه بالبرج. وكرر الكلب والقط ما فعلاه. وظل فاسكا يحمل الطعام والشراب بأنواعه إلى مارتينكا، حتى صار لديه مخزون كبير منهم.

بعد ذلك تأهب فاسكا والكلب جوركا للذهب إلى ما وراء البلاد والبحار. والوصول إلى مملكة الفئران، لاستعادة الخاتم السحرى. وقالا لمارتينكا:

– لقد جمعنا لك مخزونًا كبيرًا من الطعام والشراب أيها السيد، وذلك الطعام سوف يكفيك حتى نعود من رحلتنا البعيدة لاستعادة خاتمك السحرى.

قام مارتينكا بوداع الكلب والقط، ورحل الاثنان فى طريقهم البعيد.

سار فاسكا وجوركا طويلاً، وأخذا يقطعان الدروب والجبال والوديان الفسيحة، حتى وصلا إلى البحر الأزرق. فقال جوركا للقط فاسكا:

ـــ أعتقد أن بإمكانى السباحة إلى الشاطئ الآخر. أما أنت فكيف ترى الأمر؟

ـــ أنا لا أجيد السباحة، ولو نزلت إلى الماء فسوف أغرق على الفور، ولن أطفو ثانية.

ـــ إذن، لا مفر من أن تركب فوق ظهرى.

جلس القط فاسكا على ظهر الكلب. وتشبث بمخالبه فى فروته حتى لا يسقط فى الماء، ثم سبح الكلب به فى البحر، وعبرا إلى الشاطئ الآخر، ووصلا إلى ما وراء البلاد حيث تقع مملكة الفئران.

كانت هذه المملكة خالية من أى أثر للبشر. ولم يكن بها سوى أعداد هائلة من الفئران فى كل مكان لاتعد ولا تحصى. فتجدهم حيثما ذهبت، وتراهم أينما نظرت. فقال جوركا لفاسكا:

ـــ هيا اشرع فى الصيد أيها الأخ، واقتل ما شئت من جحافل هذه الفئران، وسوف أكوم جثثها بعد ذلك فوق بعضها البعض.

وانقض فاسكا المتمرس فى الصيد على الفئران يحصدها بمخالبه وأنيابه. وكان جوركا يلاحقه بالكاد ويرص ما قتلهم فى أكوام، حتى ارتفعت جثثهم كالجبل. وفى خلال أسبوع كانت أعداد هائلة من الفئران قد لقيت مصرعها.

ساد الذعر فى أرجاء المملكة. وعرف ملك الفئران عن الكارثة التى حلت بالمملكة، وأن هناك أعدادًا كبيرة من ساكنى البلاد قد أصابهم الهلاك. فخرج من جحره، وذهب إلى جوركا وفاسكا يتوسل راجيًا:

ــ ارحمونا أيها الجبابرة الأبطال، وارأفوا بحال سكان المملكة. ولا تقتلوا منهم أكثر من ذلك؛ فمن الأفضل أن تخبرانى بمطالبكم، وسوف ألبى لكم ما بوسعى منها.

رد جوركا بحسم قائلاً:

ــ يوجد قصر منيف فى مملكتكم، تعيش به ملكة حسناء. وقد سرقت هذه الملكة من سيدنا خاتمًا ثمينًا. فعليك الحصول على الخاتم، وإحضاره لنا بأية وسيلة. وإلا فسوف نمحو مملكتك وقزانك كلها من الوجود. وبالطبع سوف تصبح أنت أول الهالكين منهم.

رد ملك القزان قائلا:

ــ أرجو أن تسمحوا لى بالتشاور مع أعوانى فى ذلك الأمر.

وجمع الملك مستشاريه وأعوانه من كبيرهم إلى أصغرهم، وأخذ يناقش معهم المهمة التى وقعت على عاتقه. ثم سألهم قائلاً:

ــ ألا يوجد بينكم من لديه الشجاعة، ليتسلل إلى قصر الملكة، ويحضر لنا الخاتم الثمين؟

وقف فأر جسور من بين الحضور وهتف قائلاً:

ــ أنا أستطيع القيام بهذه المهمة؛ فقد تواجدت فى هذا القصر كثيرًا من المرات، وأعرف أن الملكة تضع الخاتم الثمين فى خنصرها دائما، ولا تخلعه إلا عند النوم. وعند الليل تضعه فى داخل فمها قبل أن ترقد بفراشها للنوم.

ــ اذهب إذن على الفور إلى هناك. وإذا نجحت فى إحضار الخاتم، فسوف أجزل لك العطاء، وأكافئك على خير وجه.

انتظر الفأر الجسور حتى هبط الليل، ثم تسلل تحت جنح الليل إلى القصر. ودخل حجرة نوم الملكة. ونظر فرآها تغط فى نوم عميق. فوثب فوق فراشها، وأدخل ذيله فى فتحة أنفها يدغدغها به. وعطست الملكة من أثر الدغدغة. وسقط الخاتم من فمها على بساط الحجرة. فهبط الفأر مسرعًا من على الفراش إلى الأرض، وحمل الخاتم بأسنانه، وذهب به إلى ملكه فى جحره، وأعطى ملك الفئران الخاتم إلى الجبارين القط فاسكا والكلب جوركا. فشكر الاثنان الملك، وصارا يتجادلان حول من يحمل الخاتم السحرى.

صاح القط فاسكا:

ــ دعنى أقوم بحمله؛ فلن يضيع منى مهما جرى.

رد جوركا:

ــ حسنًا، لكن عليك الحفاظ عليه مثل عينيك.

وحمل القط الخاتم فى فمه، وانطلق الاثنان فى طريق العودة.

صارا يركضان بسرعة وهما يسابقان الريح، حتى وصلا إلى البحر الأزرق. فركب فاسكا فوق ظهر جوركا، وأمسك فروته بمخالبه، ثم سبح به جوركا فى مياه البحر.

ومرت ساعة فأخرى على الكلب وهو يسبح. وفجأة، حلق فى السماء من حيث لا ندرى غراب أسود. وانقض على رأس فاسكا يضربه بمنقاره. وأصبح فاسكا المسكين بلا حول ولا قوة. ولم يدر كيف يمكنه أن يحتمى من العدو الشرس. فلو أنه رفع يده ليضربه، لوقع من فوق ظهر الكلب، وسقط غارقا إلى قاع الماء. ولو كشر عن أنيابه ليخيفه، لسقط الخاتم الثمين من فمه. فما العمل فى هذه المحنة؟ ظل فاسكا طويلاً يتحمل الضرب والألم. وفى نهاية الأمر لم يستطع أن يتحمل

الضربات. فقد نزفت الدماء من رأسه جراء نقر الغراب له. فثار فاسكا من الغضب، وكشر للغراب عن أنيابه. وعلى الفور، سقط الخاتم من فمه، وابتلعته مياه البحر الأزرق، وحلق الغراب مبتعدًا فى الفضاء حتى اختفى عن الأنظار.

وما إن وصل جوركا إلى الشاطئ، حتى سأل فاسكا عن الخاتم. فوقف فاسكا حزينًا منكس الرأس، وقال:

ــ سامحنى أيها الأخ، فقد أوقعت الخاتم فى مياه البحر.

صاح جوركا وهو فى سورة من الغضب:

ــ يا لك من أحمق بليد العقل. ليتنى عرفت بذلك الأمر ونحن نسبح فى الماء، كى أرميك من فوق ظهرى لتغرق فى البحر وتهلك إلى الأبد. كيف يمكننا الذهاب بأيد خاوية إلى سيدنا؟ هيا اقفز إلى الماء، وابحث عن الخاتم حتى تعثر عليه أو تغرق دونه وأرتاح من وجهك.

قال القط فاسكا:

ــ وما الفائدة من غرقى؟ أليس من الأفضل أن نهتدى لوسيلة نحصل بها على الخاتم؟

ــ وما هذه الوسيلة؟

ــ نفعل كما فعلنا فى مملكة الفئران. فنقوم بصيد السرطانات البحرية حتى يساعدوننا فى الحصول على الخاتم.

وافق جوركا على اقتراح القط. وسارا الاثنان على الشاطئ. وأخذا يصيدان ويقتلان أعدادًا كبيرة من السرطانات، ويكومانها على الشاطئ. حتى ارتفعت الكومة عاليًا كالجبل. وفى هذا الوقت خرج سرطان كبير الحجم من البحر.

وسار يتجول ويتنسم الهواء العليل. فأسرع إليه جوركا وفاسكا يحاصرانه، ولم يدعاه يتحرك من مكانه. فصاح السرطان فى خوف راجيًا:

ــ لا تقتلانى أيها البطلان. فأنا ملك السرطانات فى البحر. ويمكننى تلبية مطالبكما.

ــ ما دمت تطلب الرحمة منا، فاعثر لنا على الخاتم الذى وقع فى البحر. وإلا فسوف نبيد مملكتك عن آخرها من الوجود.

جمع الملك أعوانه وحاشيته من السرطانات، وسألهم جميعًا عن الخاتم المفقود، فقال أحد الصغار منهم:

ــ إننى أعرف مكان الخاتم الضائع؛ فقد رأيت بعينى السمكة البيضاء تبتلعه فى جوفها ما إن وقع فى الماء الأزرق.

وفى لمح البصر اندفعت السرطانات كلها إلى الماء يبحثون عن السمكة البضاء. وسرعان ما عثروا عليها، فانقضوا بمخالبهم يقرصونها فى جسمها. وصارت السمكة تحاول الفكاك منهم بلا جدوى، وأخذوا يدفعونها حتى خرجت إلى الشاطئ.

سار ملك السرطانات من خلفها قائلاً لفاسكا وجوركا:

ــ ها هى السمكة التى ابتلعت خاتمكم أيها الأبطال. فتدبرا أمركما معها بلا رحمة حتى تحصلوا عليه من جوفها.

وانقض فاسكا على السمكة وهو يفكر فى نفسه فرحًا:

"والآن سوف آكل منها حتى أشبع جوعى".

وبدأ يلتهمها من ذيلها حتى وصل إلى معدتها، ووقع الخاتم فى فمه. فحمله بين أسنانه، وركض بكل قوته فى الطريق تاركًا جوركا يواصل أكل بقية السمكة. وفكر فاسكا أثناء ركضه:

"سوف أسرع بإعطاء الخاتم لسيدى وأقول له إننى قد حصلت عليه بمفردى ومجهودى. عندئذ سوف يفخر بى ويحبنى أكثر من جوركا".

كان جوركا قد أكل حتى الشبع من السمكة، ثم نظر حوله فلم ير أثرًا لفاسكا، وأدرك أن رفيقه يريد أن يلفق الأمر لسيده، ويستأثر لنفسه بالثناء والفخر. فصاح فى غيظ:

ــ أيها المخادع فاسكا، سوف ألحق بك وأمزقك إربًا حتى لا تحاول خداعى ثانية.

ركض جوركا كالسهم فى أثر فاسكا، وظل يركض طويلاً بلا راحة حتى أدرك القط. فصاح يتوعده بالهلاك المحتوم. ونظر فاسكا حوله، ورأى شجرة بريوزا بالقرب منه. فأسرع إليها يتسلقها حتى وصل إلى قمتها. ولبث قابعًا فوقها خوفًا من الكلب، وصاح جوركا مناديًا:

ــ حسنًا، لن يمكنك البقاء فوق هذه الشجرة لأبد العمر، وأنا لن أتحرك من هنا حتى تهبط من عليها.

وظل القط فاسكا جالسًا فوق الشجرة لثلاثة أيام. وجوركا لا يبارح مكانه أسفل الشجرة، ولا يرفع عينيه من على فاسكا. وأصاب الاثنين الجوع والتعب، فاتفقا على عقد السلام. وهبط فاسكا من فوق الشجرة. وانطلقا معًا إلى مارتينكا حتى وصلا إلى البرج الحجرى. فتسلقه فاسكا وقفز عبر الكوة إلى محبس مارتينكا، ثم صاح قائلاً:

ـــ هل ما زال السيد حيًا؟

ـــ نعم يا فاسكا. لقد بدأ الشك يساورنى فى نجاحك بالمهمة. وقد نفد الخبز والطعام لدى منذ ثلاثة أيام.

وأعطى القط الخاتم السحرى لمارتينكا، فانتظر جالسًا حتى منتصف الليل، ثم رمى بالخاتم من يد لأخرى. وفى لمح البصر ظهر أمامه الفتيان الاثنا عشر، وصاحوا فى صوت واحد:

ـــ بماذا تأمرنا يا مارتينكا يا ابن الأرملة؟

ـــ أريد منكم أن تعيدوا بناء قصرى السابق بجسره البللورى، والكنيسة ذات القباب الخمس، وأن تحضروا زوجتى الغادرة إلى هنا، وأن تنتهوا من العمل كله قبل الصباح.

فى الصباح التالى، صحا الملك من نومه وخرج إلى شرفته، ثم نظر عبر منظاره المقرب. فشاهد قصرًا فخيمًا يقف مكان البيت القديم، ويمتد منه حتى قصره جسر من البللور. تحيط به من كل جانب أشجار التفاح الذهبى والفضى. فأمر الملك بإعداد العربة الملكية، وخرج يستطلع الأمر بنفسه، وعندما رأى الملك كل شىء على حاله السابق، لم يصدق عينيه، وظن أن ما يراه هو حلم يراوده وليس حقيقة على الأرض، لكن مارتينكا خرج من قصره يستقبله عن البوابة، وحكى للملك ما جرى من زوجته.

فأمر الملك بسجن الزوجة الغادرة، وعاش مارتينكا فى سلام يأكل الخبز والملح.

القميص السحرى

كان ياما كان، تاجر ذو صيت وثراء، يعيش فى أحد البلدان، ومات التاجر تاركًا ثلاثة من الأبناء فى أعمار متباينة، وكان الابنان الأكبر والأوسط يخرجان فى كل يوم للصيد.

وفى أحد الأيام، اصطحب الشقيقان أخاهم الأصغر إيفان فى رحلة الصيد. وذهبا به إلى الغابة حيث تركاه بين الأحراش المظلمة، وذلك كى يتخلصا منه، ويستحوذان لنفسيهما على أملاك الأب، ويحرمانه من الميراث.

ظل إيفان ابن التاجر هائمًا على وجهه بين الأحراش لفترة طويلة، وصار يأكل الجذور وثمار الأشجار، وسار فى دروب الغابة حتى وصل إلى أطلال متهدمة، وشاهد بين الطلال بيتًا فذهب إليه.

دخل إيفان إلى حجرات البيت، فلم يجد بها أحد. وكان البيت فارغًا من السكان. وفى إحدى الحجرات، رأى إيفان طاولة الطعام وعليها ثلاثة أطباق. وفى كل طبق قطعة من الخبز. وبجانب الطبق زجاجة من النبيذ. قضم إيفان قليلاً من قطع الخبز الثلاث، وشرب جرعة من الزجاجات الثلاث، ثم جلس مختبأ خلف الباب.

وفجأة، حط الصقر وارتطم بالأرض، فتحول إلى شاب وسيم. ومن خلفه حط النسر، واصطدم بالأرض، فانقلب إلى فتى ممشوق القوام، وبعدهم جاء

الغراب وتحول هو الآخر إلى شاّب رائع الهيئة، وجلس ثلاثتهم إلى طاولة الطعام، وصاح النسر قائلاً:

ـــ إن خبزنا ونبيذنا منقوصان.

قال الصقر:

ـــ حقا ما تقول، يبدو أن هناك زائر جاء إلينا.

وبدأ الثلاثة فى البحث عن الزائر المجهول، والنداء عليه.

فهتف النسر:

ـــ اظهر لنا وبان، وعليك الأمان. فلو كنت عجوزًا مسنًا، جعلنا منك أبًا لنا. ولو كنت شابًا يافعًا، جعلنا منك أخًا لنا. وإذا كنت امرأة عجوزة، جعلنا منك أما لنا. واذا كنت فتاة حسناء، جعلنا منك أختا لنا.

عندئذ، خرج إيفان ابن التاجر من خلف الباب. فرحبوا به جميعًا، واتخذوه أخًا لهم.

وفى اليوم التالى، طلب النسر من إيفان ابن التاجر قائلاً له:

ـــ نريد منك القيام بخدمة لنا.

ـــ وأنا طوع إشارتكم.

ـــ نريدك أن تقيم هنا لمدة عام، وبعد أن ينقضى العام، وفى مثل هذا اليوم، نرجو منك أن تعد لنا مائدة الطعام.

رد إيفان ابن التاجر:

ـــ حسنًا، سوف ألبى طلبكم.

ترك النسر مفاتيح البيت لابن التاجر، وسمح له بالتجول فى أرجاء البيت، والدخول إلى كل الحجرات، ما عدا مفتاحًا واحدًا معلقًا على الحائط، لم يعطه له. وحظر عليه أن يأخذه.

بعد ذلك، تحول الفتيان إلى نسر وصقر وغراب، وطاروا محلقين فى الفضاء حتى اختفوا عن الأنظار.

وفى يوم من الأيام، خرج إيفان ابن التاجر يتجول فى فناء البيت. فشاهد سردابا تحت الأرض له باب موصد بإحكام وعليه مزلاج كبير. فحاول إيفان فتح الباب، وجرب كل المفاتيح معه، لكنها لم تفتح المزلاج الضخم. وأراد الفتى أن يعرف ما بداخل السرداب. فأسرع إلى الحجرة التى بها المفتاح المحظور، وأخذ المفتاح المعلق على الحائط، ووضعه فى المزلاج، وفتح باب السرداب.

كان هناك فرس أصيل رائع الجمال يقف فى السرداب. وعلى جانبى سرجه الذهبى، علقت حقيبتان من الجلد: إحداهما مملوءة بالذهب، والأخرى بالأحجار الكريمة الثمينة.

صار إيفان يمسد بيديه على جسم الفرس الجميل. فرفسه الفرس بحوافره رفسة هائلة فى صدره، وأطاح به من السرداب ، على مسافة عشرة أمتار من المكان. ورقد إيفان ابن التاجر على الأرض فاقدا للوعى، وظل فى غيبوبته حتى اليوم الموعود لوصول الفتيان.

وما إن أفاق من رقاده الطويل، حتى أسرع إلى إغلاق باب السرداب. وأعاد مفتاحه إلى مكانه السابق على الحائط، وقام مسرعًا بإعداد مائدة الطعام.

وبعد هنيهة، حلّق النسر والصقر والغراب فوق البيت، وهبطوا مرتطمين بالأرض. فتحولوا إلى فتيان حسان، وألقوا بالتحية على إيفان، ثم جلسوا إلى المائدة، وتناولوا أطباق الطعام.

وفى اليوم التالى، طلب الصقر من إيفان ابن التاجر قائلاً:

ــ نريدك أن تقيم هنا لعام آخر. وفى مثل هذا اليوم، نرجو منك أن تعد لنا مائدة الطعام.

وافق إيفان على طلب الصقر، وطار الأصدقاء مرة أخرى محلقين فى الفضاء حتى اختفوا عن الأعين. ومضى إيفان ثانية يتجول بالفناء، فرأى سردابًا آخر موصدًا بمزلاج كبير. فوضع المفتاح المحظور فى المزلاج وفتح باب السرداب.

رأى إيفان فرسًا رائع الهيئة يقف بالسرداب. وعلى جانبيه، علقت حقيبتان من الجلد: إحداهما مملوءة بالذهب، والأخرى بالأحجار الكريمة الثمينة. فصار إيفان يمسد بيديه على جسم الفرس. فرفسه الفرس بحوافره رفسة قوية فى صدره، وأطاح به من السرداب ، على مسافة عشرة أمتار من المكان، ورقد إيفان فاقدًا للوعى حتى اليوم الموعود لوصول الفتيان.

وأفاق من رقاده الطويل فى يوم وصول الفتيان. فأسرع بإغلاق باب السرداب، وأعاد مفتاحه إلى مكانه السابق على الحائط، وقام بإعداد مائدة الطعام.

وسرعان ما هبط النسر والصقر والغراب فى فناء البيت، وتحولوا إلى صورة الفتيان؛ فألقوا بالتحية على إيفان، وجلسوا إلى المائدة يأكلون الطعام.

وفى الصباح التالى، سأل الغراب إيفان قائلاً:

ــ أسدِ لنا صنيعًا مرة أخرى، وابق هنا لعام ثالث.

وافق إيفان على طلب الغراب. وظل مقيما فى البيت بمفرده لعام آخر. وعندما أزف اليوم الموعود. أعد إيفان ابن التاجر مائدة الطعام، وجلس فى انتظار عودة الإخوة.

وهبط الأصدقاء فى نفس اليوم، وألقوا بالتحية على إيفان، ثم جلسوا إلى مائدة الطعام يأكلون.

بعد تناول الغداء، قال الأخ الأكبر النسر:

ــ إننا شاكرون وممتنين لك يا ابن التاجر، من أجل خدمتك لنا طوال السنوات الثلاث، لذلك سوف أهديك فرسا أصيلة، ومعها حقيبتان مملوءتان بالذهب والأحجار الكريمة.

ثم نهض الأخ الأوسط الصقر، ومنح إيفان الفرس الآخر. ومن بعده قام الأخ الأصغر الغراب، وأعطى إيفان قميصًا، وقال له:

ــ عندما ترتدى هذا القميص السحرى، فلا أحد يستطيع أن يقهرك أو يهزمك مهما بلغت قوته وحكمته.

ارتدى إيفان القميص السحرى، وامتطى صهوة الفرس الأصيل، ومضى فى طريقه ليخطب إيلينا الحسناء، وكان صيت الحسناء قد ذاع فى أرجاء العالم، وأعلن أنها سوف تتزوج بمن يقدر على قتل الثعبان جورنيتشا.

خرج إيفان ابن التاجر إلى الثعبان جورنيتشا، واستطاع أن ينتصر عليه، وتأهب لقطع رأسه وتعليقها فوق شجرة البلوط. عندئذ صاح الثعبان متوسلاً:

ــ لا تقتلنى أيها الفارس الشجاع، بل خذنى إليك فى خدمتك، وسوف أصبح صديقا مخلصًا لك دائمًا.

رأف إيفان بحال الثعبان. فأخذه معه إلى إيلينا الحسناء. وبعد مرور وقت قليل تزوج بالحسناء، وجعل من الثعبان طاهيًا لهم.

وفى أحد الأيام خرج إيفان فى رحلة للصيد؛ فأخذ الثعبان جورنيتشا يغوى إيليلنا ويثير فضولها، كى تعرف من إيفان سر قوته وحكمته.

وأعد الثعبان عقارًا قويًا أعطاه لإيلينا؛ فدسته إيلينا لزوجها إيفان فى الطعام، وصارت تسأله:

ــ أخبرنى يا إيفان؛ يا ابن التاجر عن سر قوتك؟

ــ إن سر قوتى فى المكنسة التى بالمطبخ.

أسرعت إيليلنا الحسناء إلى المكنسة، وقامت بطلائها بألوان زاهية، ثم وضعتها فى مكان مرئى لإيفان، وعندما عاد ابن التاجر من الصيد ورآى المكنسة، سأل زوجته قائلا:

ــ لماذا قمتى بطلاء المكنسة بالألوان؟

ردت إيلينا الحسناء:

ــ لأن بها سر قوتك وحكمتك.

ــ يا لك من حمقاء أيتها الزوجة. أيعقل أن تكون قوتى فى هذه المكنسة؟

عندئذ، دست له إيلينا الحسناء العقار فى الحساء، وسألته قائلة:

ــ أخبرنى إذن أيها العزيز، أين سر قوتك؟

ــ إن السر فى قرون الثور.

أمرت إيليلنا بقطع قرنى الثور.

وفى اليوم التالى خرج إيفان للصيد، وشاهد الثور بلا قرون فسأل زوجته:

ــ لماذا قطعت قرون الثور؟

ردت إيلينا: لأن سر قوتك فيهم.

ــ يا لك من حمقاء أيتها الزوجة. أيعقل أن تكون قوتى فى هذين القرنين؟

عندئذ، دست إيلينا عقارا قويا لإيفان فى الطعام، وصارت تسأله من جديد:

ــ هيا أخبرنى يا زوجى الحبيب عن السر فى قوتك وحكمتك.

وفى هذه المرة، أطلعها إيفان ابن التاجر على سر قوته، وقال:

ــ إن سر قوتى وحكمتى يكمنان فى هذا القميص الذى أرتديه.

وبعد أن اعترف إيفان لزوجته إيلينا عن السر، راح فى سبات عميق.

فقامت إيلينا على الفور بخلع القميص السحرى من على جسمه، ومزقت جسده إلى أشلاء صغيرة، ثم أمرت بإلقاء أشلاءه فى أرض الوادى. وصارت تعيش مع الثعبان جورنيتشا.

ظلت أشلاء جسم إيفان ابن التاجر متناثرة فوق ارض الوادى لثلاثة أيام، وبدأت الغربان تحلق فوقها لتنهشها.

فى هذا الوقت حلق فوق المكان كل من النسر والصقر والغراب، وشاهدوا أشلاء أخيهم المقتول. فانطلق الصقر لأسفل، وقتل الغربان المتجمعة فوق الأشلاء. ثم قال للغراب:

ــ هيا سريعا طر وأحضر الماء الميت والماء الحى.

وطار الغراب مسرعًا، وجلب الماء الحى والماء الميت.

وعلى الفور جمع النسر والصقر والغراب أشلاء إيفان، ثم رشوا فوقها الماء الميت، ومن بعده الماء الحى.

وعاد إيفان ابن التاجر إلى الحياة ثانية، فشكر إخوته الذين أعطوه خاتمًا ذهبيًا.

وما إن وضع إيفان الخاتم فى إصبع يده، حتى تحول إلى فرس رهوان، وانطلق ينهب الأرض بحوافره إلى فناء قصر إيلينا الحسناء.

وشاهده الثعبان جورنيتشا، فتعرف على حقيقته، وأمر بالإمساك به ووضعه بالإسطبل، كما أمر بقطع رقبته فى الصباح.

كانت هناك خادمة تعمل لدى إيلينا الحكيمة. وأشفقت الخادمة على الفرس الجميل. فذهبت إلى الإسطبل، وأخذت تبكى وهى تحدث الفرس قائلة:

ــ أيها الفرس البائس المسكين. فى الغد سوف يقطعون رقبتك.

فصاح الفرس بصوت آدمى يقول:

ــ تعالى فى الغد إلى مكان إعدامى أيتها الفتاة الجميلة، وعندما يقتلوننى اجمعى الدم الذى يسيل من جسمى، وانثريه حول القصر.

وفى الصباح، ساقوا الفرس إلى المذبح وقطعوا رقبته؛ فسال الدم منه بغزارة، وقامت الخادمة بجمع الدم ونثرته حول القصر. وفى نفس هذا اليوم، نمت أشجار باسقة حول القصر.

فأمر الثعبان جورنيتشا بقطع هذه الأشجار وحرقها حتى تصبح رمادا.

بكت الخادمة لما علمت بأمر الثعبان. فسارت فى البستان تتجول بين الأشجار للمرة الأخيرة قبل قطعها، وهمست لها إحدى الأشجار بصوت آدمى وقالت:

ــ أيتها الفتاة الجميلة، غدًا عندما يبدأون فى قطع الأشجار، خذى غصنًا منى وارميه فى ماء البحيرة.

فعلت الخادمة مثلما قالت لها الشجرة. ورمت بغصن منها فى ماء البحيرة. وفى لمح البصر تحول الغصن إلى بجعة ذهبية تسبح فى الماء.

وفى أحد الأيام خرج الثعبان جورنيتشا للصيد عند البحيرة، وشاهد البجعة الذهبية تسبح فيها، ففكر فى نفسه قائلاً:

"فلأمسك هذه البجعة حية".

وخلع الثعبان القميص السحرى، ونزل إلى البحيرة يطارد البجعة، لكنها سبحت بسرعة إلى أعماق البحيرة ومن خلفها الثعبان. ثم دارت عائدة إلى الشاطئ. وتحولت مرة أخرى إلى إيفان فى صورته السابقة، وارتدى الفتى القميص السحرى، وقتل الثعبان شر قتلة.

بعد ذلك ذهب إيفان إلى القصر، وطرد إيلينا الحسناء منه، ثم تزوج من الخادمة الجميلة، وعاش الاثنان معًا فى سعادة وهناء.

إيفانوشكا ابن الفلاح

كان ياما كان، رجل فلاح عجوز يعيش مع زوجته، وكان لهم من الأبناء ثلاثة. كان أصغرهم يُدعى إيفانوشكا، وكانوا يعملون باجتهاد وصبر، ويكدحون من الصباح حتى المساء فى زراعة القمح والشعير.

ولم تمض الحياة فى سلام، بل انتشرت الأنباء فى البلاد عن هجوم التتين المرعب الذى يجلب الخراب والدمار للمدن، ويحرق القرى. فأصاب الحزن والخوف العجوز وزوجته. وقال الأخان الأكبر والأوسط لوالديهما:

ــ لا تجزعا يا أبى ويا أمى؛ فسوف نخرج لقتال التتين، وندافع عن أرضنا حتى الموت. وليبق معكم شقيقنا إيفانوشكا، حتى لا تعيشا بمفردكما؛ فهو مازال صغيرًا على القتال وخوض الحرب، لكن إيفانوشكا صاح قائلاً:

ــ لا، لا أريد البقاء بالبيت فى انتظار عودتكما من الحرب، بل سأخرج معكما لقتال التتين.

لم يجادل العجوز وزوجته ابنهم الصغير فى قراره، بل جهزوا أبناءهم الثلاثة للرحيل. وحمل الأشقاء العصى الغليظة، والحقائب المليئة بالزاد والملح فوق ظهورهم، وامتطوا أفراسهم، ثم خرجوا إلى الطريق تصاحبهم دعوات الوالدين.

وظلوا يسيرون ويقطعون الدروب والوديان حتى صادفهم رجل عجوز، فقال لهم:

ــ مرحبًا أيها الفتيان الأخيار.

ـــ مرحبًا أيها الجد.

ـــ إلى أين الطريق؟

ـــ نحن نسير لقتال التنين المرعب، كى ندافع عن أرضنا وبيوتنا.

ـــ إنه لعمل طيب أيها الفتيان، لكن الحرب ضد هذه الوحوش تتطلب سيوفا فولاذية، وليس عصى كالتى تحملونها.

ـــ ومن أين يمكننا الحصول عليها أيها الجد؟

ـــ سوف أرشدكم إلى الوسيلة للحصول إليها. عليكم السير فى الطريق إلى الأمام، حتى تصلون إلى جبل عال. فى بطن هذا الجبل توجد مغارة عميقة. غير أنها مسدودة بالأحجار الكبيرة، ويجب عليكم أن تزيلوا تلك الأحجار. وعندما ينكشف لكم مدخل المغارة ادخلوا إليها، وسوف تجدون فيها سيوفًا من الفولاذ تصلح لقتال التنين.

شكر الأشقاء العجوز، ومضوا إلى الأمام فى طريقهم كما وصف لهم الرجل. ووصلوا إلى جبلٍ عالٍ على أحد جوانبه تقف صخرة رمادية كبيرة. فأزاح الأشقاء الصخرة، ودخلوا إلى المغارة. وهناك وجدوا من الأسلحة والذخائر على كل الأشكال والأنواع. فاختار كل منهم سيفًا من الفولاذ لنفسه، وخرجوا يواصلون طريقهم وهم يصيحون:

ـــ شكرًا للعجوز عابر السبيل؛ فبهذه السيوف الفولاذية يمكننا قتال أى وحش مهما كان.

وسار الأشقاء طويلاً حتى وصلوا إلى إحدى القرى، ودخلوا إليها فلم يروا بها أحدًا من الأحياء. كانت القرية أطلالاً خربة، وشاهدوا منزلاً بين الأطلال المتهدمة فدخلوا إليه، ورأوا عجوزًا ترقد فوق الفرن وهى تتأوه. فقالوا لها:

ـــ مرحبا أيتها الجدة.

ـ مرحبًا أيها الفتيان، إلى أين الطريق؟

ـ إننا نسير نحو نهر سمارودينكا، حتى نعبر الجسر ونقاتل التتين، كى نمنعه من الوصول لأرضنا.

ـ إنكم فتيان شجعان حقا لتقوموا بمثل هذا العمل. فقد دمرت الوحوش الشريرة بيوتنا وأحرقها. ولم يبق سواى هنا من السكان.

قضى الأشقاء الثلاثة ليلتهم لدى العجوز، ونهضوا فى الصباح الباكر، ثم خرجوا يواصلون طريقهم البعيد.

ووصلوا أخيرًا إلى نهر سمارودينكا حيث يقع الجسر، وشاهدوا كمية هائلة من السيوف والأقواس المحطمة، وبجوارها ترقد عظام البشر فى كل مكان.

ثم عثروا على بيت خال؛ فقرروا قضاء ليلتهم به، وقال لهم إيفانوشكا:

ـ لقد وصلنا إلى أرض بعيدة مجهولة، وينبغى علينا توخى الحذر فى كل خطوة نقوم بها. فهيا نتناوب على الحراسة والرصد، حتى لا نسمح للتتين بعبور الجسر إلينا.

فى الليلة الأولى قام الأخ الكبر بالحراسة، ومضى يسير على الشاطئ يراقب الجسر، فلم ير شيئًا ولم يسمع شيئًا. وكان الهدوء يسود المكان. فرقد الأخ الكبر فوق حزمة من الأعشاب، وراح فى نوم عميق حتى علا صوت شخيره فى المكان.

أما إيفانوشكا فلم يغلبه النعاس، وظل متيقظًا، وعندما انتصف الليل، حمل إيفانوشكا سيفه الفولاذى، وخرج إلى نهر سمارودينكا.

ونظر الفتى فرأى شقيقه يغط فى سبات عميق؛ فلم يوقظه إيفانوشكا، بل جلس كامنًا يراقب الجسر فى تحفز وحذر.

وفجأة، ارتفع صوت هدير أمواج النهر، وعلا صراخ الصقور من فوق أشجار البلوط، وظهر التنين المرعب قادمًا برءوسه الستة. وسار الوحش فوق الجسر يتهادى. وعندما وصل إلى منتصفه أخذ الفرس من تحته يتعثر فى مشيته. وقفز الغراب الأسود من على كتفه يخفق بجناحيه، ونبح الكلب السائر خلفه وصار يعوى.

عندئذ صاح التنين ذو الستة رءوس:

ــ لماذا تتعثر فى مشيتك أيها الفرس؟ ولماذا تخفق بجناحيك أيها الغراب؟ وما الذى يجعلك تنبح أيها الكلب؟ أم أنكم تشعرون بوجود إيفانوشكا ابن الفلاح هنا؟ إنه لم يولد بعد أيها الحمقى. وإن كان قد ولد فهو لا يقدر على قتالى؛ فإننى أستطيع وضعه فى راحة يدى هذه، وإطباق اليد الأخرى عليه حتى أهرسه هرسا.

وفى هذه اللحظة خرج إيفانوشكا ابن الفلاح من مخبئه أسفل الجسر، وهتف قائلاً:

ــ لا تزهو كثيرًا بنفسك أيها التنين الأحمق، ولا تقلل من شأن من لا تعرفه. ومن الأفضل لك أن تجرب قوتك معى، كى نعرف من فينا الأقوى من الآخر.

وبدأ النزال الرهيب بين الاثنين، وانقض كل منهما على الآخر يهاجمه. فاهتزت الأرض تحت أقدامهم من شدة الضربات.

لم يصمد التنين طويلاً أمام هجوم إيفانوشكا، واستطاع الفتى الجسور أن يطيح بثلاثة رءوس من رءوسه بضربة واحدة من سيفه. فصرخ التنين قائلاً:

ــ تريث يا إيفانوشكا ابن الفلاح، وامنحنى الفرصة للراحة ولالتقاط الأنفاس.

ـ كيف يكون لديك ثلاثة رءوس أيها التنين وتطلب الراحة، بينما لدى رأس واحد؟ سوف أعطيك فرصة للراحة عندما يصبح لديك رأس واحد مثلى.

ومرة أخرى بدأ القتال العنيف بينهما، واشتد الضرب وطال النزال.

وأخيرًا نجح إيفانوشكا ابن الفلاح بقطع الرءوس الثلاثة الباقية للتنين، ثم انقض على جسمه يمزقه إربًا إربًا بسيفه، وألقى بها فى ماء النهر. أما الرءوس الستة المقطوعة، فوضعها إيفانوشكا على الشاطئ أسفل الجسر، وعاد بعد ذلك إلى البيت، ورقد فى فراشه للنوم.

وفى الصباح جاء الأخ الأكبر، فسأله إيفانوشكا:

ـ ألم تر شيئًا أثناء حراستك؟

ـ لا أيها الأخوة، فلم تحلق ذبابة حتى من فوقى.

ولم ينطق إيفانوشكا بكلمة واحدة عما جرى مع الوحش.

وفى الليل التالى جاء الدور على الأخ الأوسط للحراسة. فخرج إلى شاطئ النهر يسير به، وتطلع إلى الجسر ولما رأى الهدوء سائدًا، جلس على العشب حتى راح فى النوم.

لم يعتمد إيفانوشكا على شقيقه فى الحراسة. فظل ساهرًا حتى انتصف الليل، ثم امتشق سيفه البتار وخرج إلى نهر سمارودينكا، واختبأ أسفل الجسر يراقب الأمور فى حذر.

وفجأة، ارتفع صوت هدير الماء فى النهر. وعلا صوت صراخ الصقور فوق أشجار البلوط، وظهر التنين ذو التسعة رءوس يتهادى على الجسر. ولما وصل إلى منتصف الجسر، أخذ الفرس من تحته يتعثر فى مشيته، وقفز الغراب الأسود من على كتفه يخفق بجناحيه، ونبح الكلب خلفه وصار يعوى.

حينئذ صاح التنين ذو التسعة رءوس:

ـ لماذا تتعثر فى مشيتك أيها الفرس؟ ولماذا تخفق بجناحيك أيها الغراب؟ وما الذى يجعلك تنبح أيها الكلب؟ أم أنكم تشعرون بوجود إيفانوشكا ابن الفلاح هنا؟ إنه لم يولد بعد أيها الحمقى، وإن كان قد ولد فى الدنيا فهو غير قادر على مواجهتى، فإننى أستطيع قتله بإصبع واحد.

خرج إيفانوشكا ابن الفلاح من أسفل الجسر، وهتف قائلاً:

ـ لا تزهو كثيرًا بنفسك أيها التنين الأحمق، ولا تقلل من شأن من لا تعرفه، وجرب قوتك معى، كى نعرف من فينا الأقوى.

وهجم إيفانوشكا على التنين بشجاعة لا مثيل لها، وهوى عليه بسيفه الفولاذى مرتين أطاح فيهم بستة من رءوسه، فضربه التنين ضربة قوية أوقعته على الأرض. فقبض إيفانوشكا على حفنة من الرمال ورمى بها التنين فى عيونه. وبينما أخذ التنين يمسح الرمال من على أعينه، قطع إيفانوشكا بسيفه الرءوس الثلاثة الباقية له، ثم مزق جسم الوحش إلى قطع صغيرة، وألقى بها فى ماء النهر. أما الرءوس التسعة المقطوعة، فقام برصها أسفل الجسر، وعاد بعد ذلك إلى البيت. ثم رقد فى فراشه ينام كما لو أن شيئًا لم يحدث.

وفى الصباح عاد الأخ الأوسط فسأله إيفانوشكا:

ـ ألم تر شيئًا أثناء حراستك فى الليل؟

ـ لا أيها الأخوة، فلم تحلق ذبابة حتى من فوقى، ولم تمر بعوضة بجانبى.

ـ ما دام الأمر هكذا، فلتمضوا معى أيها الإخوة الأعزاء، لأريكم الذباب والبعوض.

وخرج إيفانوشكا مع شقيقه إلى الجسر عند النهر، وأشار إلي رءوس التنينين المقطوعة، وقال:

ـــ هذا هو الذباب والبعوض الذى حلق فى الليل؛ فأنتم أيها الشقيقان لا تصلحان للقتال، بل للرقاد فقط فوق الفرن بالبيت.

أصاب الخجل من الشقيقين فقالا:

ـــ لقد غالبنا النعاس ورحنا فى النوم.

وفى اليوم التالى، تأهب إيفانوشكا إلى الخروج للحراسة، وقال:

ـــ سوف أخرج اليوم أيها الإخوة إلى قتال رهيب، فأرجو ألا تناما. وعندما تسمعان صفيرى، عليكم أن تطلقا فرسى، وتسرعا إلى نجدتى.

وخرج إيفانوشكا ابن الفلاح إلى نهر سمارودينكا، وكمن أسفل الجسر يترقب ما يجرى.

وما إن انتصف الليل، حتى اهتزت الأرض تحت أقدامه. وهبت على المكان رياح عاصفة، وارتفعت الأمواج فى مياه النهر تهدر، وصاحت الصقور زاعقة على أشجار البلوط. وظهر التنين ذو الاثنى عشر رأسًا. وكانت رءوسه كلها تصفر فى صوت مخيف، وتقذف أفواهها بالنار الحامية. وكان يركب فرسًا ذاتى عشر جناحًا، له جلد من النحاس وعرف من الحديد، وسار حتى وصل إلى منتصف الجسر، فأخذ الفرس من تحته يتعثر فى مشيته، وقفز الغراب الأسود من على كتفه يخفق بجناحيه، ونبح الكلب خلفه وصار يعوى. فضرب الوحش فرسه بالسوط على جنبه، وجذب الغراب من ريشه، ورفع الكلب من أذنيه، وصاح قائلاً:

ـــ لماذا تتعثر فى مشيتك أيها الفرس؟ ولماذا تخفق بجناحيك أيها الغراب؟ وما الذى يجعلك تنبح أيها الكلب؟ أم أنكم تشعرون بوجود إيفانوشكا ابن الفلاح هنا؟ إنه لم يولد بعد أيها الحمقى، وإن كان قد ولد فى الدنيا فهو لا يقدر على مواجهتى؛ فإننى أستطيع قتله بنفخة واحدة.

عندئذ، خرج إليه إيفانوشكا ابن الفلاح، وهتف قائلاً:

ـ لا تتعجل بالزهو والفخر أيها الوحش.

ـ ما الذى جاء بك إلى هنا يا إيفانوشكا يا ابن الفلاح؟

ـ جئت كى أمتحن قوتك أيها البغيض، وأرى مدى شجاعتك فى القتال.

ـ إنك مجرد ذبابة تحوم من حولى، فكيف لك أن تمتحن قوتى؟

رد إيفانوشكا ابن الفلاح قائلاً:

ـ لم أحضر لأحكى لك أساطير من الخيال، ولا لأسمع منك الحكايات. وإنما أتيت لأقاتلك حتى الموت، وأريح الناس الطيبين من شرك أيها اللعين.

واندفع الفتى الجسور بسيفه نحو التنين. وقطع له فى الحال ثلاثة من رءوسه؛ فأمسك التنين رءوسه المقطوعة بمخالبه، ونفخ فيها من اللهب. فعادت الرءوس إلى أماكنها ثانية كما لو أنها لم تقطع.

وساءت أحوال إيفان فى المعركة الحامية. فصمّ صفير التنين آذانه. وأحرق اللهب المنبثق بدنه، وتتطاير الشرر من فوقه كالمطر المنهمر. وتراجع أمام التنين حتى انغرس فى الطين إلى ركبتيه، وصار التنين يضحك ساخرًا:

ـ ألا تريد قسطًا من الراحة يا إيفانوشكا يا ابن الفلاح؟

أجاب إيفان: إن الراحة لمن مثلى هى فى الطعن والنزال.

وأخذ إيفان يصفر بفمه مستنجدًا بشقيقيه، ثم قذف بقفاز يده اليمنى نحو البيت. فكسر القفاز زجاج النافذة، لكن الشقيقين كانا نائمين نومًا عميقًا ولا يسمعانه.

استجمع إيفان كل قواه، وانقض ثانية فى شجاعة على التنين. وقطع بسيفه ستة من رءوسه. فأمسك التنين بمخالبه الرءوس المقطوعة، ونفخ اللهب فيها، وعادت من جديد إلى أماكنها تنفث اللهب والنار، وهجم الوحش على إيفان بشراسة، حتى غرزه فى الطين من قدميه إلى خصره.

وأدرك إيفان سوء حاله؛ فقذف بالقفاز من يده اليسرى نحو البيت، وكسر القفاز سقف البيت. غير أن الشقيقين ظلا فى سباتهم لا يسمعان شيئًا مما يجرى حولهم.

وللمرة الثالثة، اندفع إيفان بسيفه نحو التنين فى عزم راسخ، فقطه له تسعة من رءوسه. غير أن التنين أمسك الرءوس بمخالبه، ونفخ النار فيهم، فعادوا إلى أماكنهم كما كانوا من قبل، وانقضّ على إيفان يهاجمه حتى غرسه فى الوحل والطين من قدميه إلى كتفيه.

خلع إيفان غطاء رأسه، ورمى به فى قوة هائلة نحو البيت. فاهتزت أرجاء البيت من الضربة، واستيقظ الشقيقان أخيرًا من نومهما، وسمعا صوت صراخ إيفان يستنجد بهم.

أسرع الشقيقان إلى الإسطبل، وأطلقا فرس إيفان. ثم ركبا فرسيهما وانطلقا خلفه.

وصل فرس إيفان إلى ساحة المعركة. وصار يضرب التنين فى صدره بحوافره. فزأر الوحش وأخذ يمطر الفرس باللهب والشرار.

أما إيفانوشكا ابن الفلاح، فقد انتهز فرصة انشغال التنين بالفرس، واستطاع الخروج من الطين. وهجم فى جسارة على الوحش، فقطع له مخالبه بضربة واحدة من سيفه. وبعد ذلك، هوى بسيفه على رءوسه يقطعها واحدًا بعد الآخر حتى أجهز عليهم جميعا، ثم مزق جسمه بسيفه إلى إرب صغيرة، وألقى بها فى ماء نهر سمارودينكا.

وهنا وصل شقيقاه. فقال لهم بصوت منهك:

ــ لقد أوشكت على الهلاك بسبب نومكما العميق.

حمل الشقيقان إيفان، وذهبا به إلى البيت، وقاما بصب الماء له ليغتسل، ثم وضعا له الطعام، وبعد ذلك وضعاه بالفراش.

وفى الصباح الباكر نهض إيفان من نومه، وأخذ يرتدى ملابسه ويستعد للخروج؛ فقالا له شقيقاه:

ــ إلى أين أنت ذاهب فى هذا الوقت المبكر؟ أليس من الواجب عليك الراحة بعد معركتك العنيفة بالأمس؟

رد إيفان: لا وقت لدى للراحة، فقد أسقطت زنارى فى نهر سمارودينكا أثناء القتال، وسوف أخرج للبحث عنه.

فقال الشقيقان: يمكننا الذهاب إلى المدينة، وشراء زنار جديد لك بدلا من أن ترهق نفسك بالبحث عن القديم.

ــ لا، فإننى أريد زنارى القديم.

ومضى إيفان إلى نهر سمارودينكا ليس بغرض البحث عن زناره، بل عبر الجسر إلى الضفة الأخرى من النهر، وتسلل إلى وكر التنين بين الصخور، ثم قفز إلى الكوة المفتوحة فى الوكر يتصنت بأذنيه ويتلصص بنظره، ليرى أن هناك المزيد من هذه الوحوش بالوكر.

نظر إيفان فشاهد فى الوكر ثلاثة من الوحوش الإناث زوجات الوحوش القتلى، ومعهم الأم العجوز يتحدثون فيما بينهم، وقالت الأولى منهم:

ــ لا بد أن أنتقم شر انتقام من إيفانوشكا ابن الفلاح لقتله زوجى التنين. وعندما يخرج إلى الطريق مع شقيقيه، أطلق عليهم ريحا ساخنة وقيظا لا يطاق. وأتحول أنا إلى بئر للماء. ولما يشتد عليهم العطش ويشربون منى، سوف يسقطون صرعى من أول رشفة يتجرعونها.

قالت التنين العجوز:

ـ إنها لفكرة جيدة منك.

ثم صاحت الزوجة الثانية:

ـ أما أنا فسوف أسبقهم على الطريق، وأتحول إلى شجرة تفاح مثمرة. وعندما يقتربون منى لقطف الثمار، سوف أمزقهم إربًا إربًا.

ردت العجوز فى استحسان:

ـ وهذه أيضًا فكرة جيدة.

ثم هتفت الزوجة الثالثة:

ـ وأنا سوف أجعل النعاس يغالبهم ويداعب جفونهم، ثم أسبقهم على الطريق، وأتحول إلى بساط ناعم بوسائد وثيرة، وعندما يستلقون للنوم على سوف أذيبهم فى حمم من اللهب.

أومأت العجوز برأسها قائلة:

ـ إن خدعتك ماكرة أيضا. أما لو فشلتم جميعًا فى قتلهم، فسوف أتحول إلى خنزير برى هائل الحجم، وأطاردهم على الطريق حتى أدركهم، ثم أبتلعهم جميعًا فى جوفى.

سمع إيفانوشكا ابن الفلاح الحديث الدائر، وعاد أدراجه إلى شقيقيه، فسألاه:

ـ هل عثرت على زنارك الضائع؟

ـ نعم وجدته.

ـ وهل كان يستحق منك إضاعة كل هذا الوقت؟

ـ نعم أيها الإخوة.

بعد ذلك، حزم الأشقاء أغراضهم، وخرجوا عائدين إلى قريتهم.

وظلوا يسيرون طويلاً وهم يقطعون السهول والوديان، وهبت رياح ساخنة لفحت وجوههم، واشتد القيظ عليهم. فألم العطش بهم حتى جفت حلوقهم. وأخيرًا شاهدوا بئرا أمامهم. وبجانبه إبريق فضى يتلألأ تحت أشعة الشمس. وصاح الشقيقان قائلين لإيفان:

ــ هيا نتوقف بجانب هذا البئر لنشرب من مائه البارد ونسقى الجياد أيضًا.

رد إيفان:

ــ لكننا لا نعرف نوعية المــاء فى هــذا البئر؛ فربمــا يكون ماؤه قذرًا لا يصلح للشرب.

ثم ترجل إيفان من على فرسه، وامتشق سيفه، وأخذ يضرب به البئر حتى ردمه. وصرخ البئر يعوى بصوت مخيف تردد فى أرجاء المكان. وعلى الفور هبت نسمات باردة من الهواء، وزال القيظ. ولم تعد لدى الأشقاء رغبة فى الشرب. فقال إيفان:

ــ هل رأيتم نوع الماء الذى كان بالبئر أيها الإخوة؟

ركب الأشقاء جيادهم، وانطلقوا يواصلون السير، وطال الطريق بهم حتى شاهدوا أمامهم شجرة مثمرة بالتفاح الناضج الكبير الذى تدلى من فروعها.

أسرع الشقيقان إلى الشجرة لقطف الثمار منها. فسبقهم إليها إيفان، وهوى بسيفه عليها يضربها بقوة من جذورها، حتى أخذت الشجرة تعوى وتصرخ.

ــ هل أدركتم نوع هذه الشجرة أيها الإخوة؟ إن ثمارها لا تصلح للأكل.

ومضى الأشقاء فى طريقهم.

وظلوا يسيرون طويلاً طويلاً حتى أدركهم التعب والإنهاك، وبدأ النعاس يغالبهم، ونظروا فرأوا أمامهم بساطا مرزكشًا ناعمًا، تغطى جوانبه الوسائد الوثيرة. فقال الشقيقان:

ــ فلنرح أجسادنا فوق هذا البساط الناعم، ولنغفُ عليه لبعض الوقت.

لكن إيفان رد قائلاً:

ــ لن يكون النوم سهلا على هذا البساط أيها الأشقاء.

ثار الشقيقان على إيفان، وقالا له:

ــ ما لك تسلك مسلك الآمر الناهى؟ ولا تكف عن إصدار الأوامر.. لا تقربوا هذا وابتعدوا عن هذا.

لم يُجب إيفان بكلمة واحدة، بل خلع زناره ورمى به فوق البساط. وفى لمح البصر احترق الزنار فى شعلة من اللهب، وصاح إيفان قائلاً لشقيقيه:

ــ لو رقدتم فوق البساط لكان هذا مصيركم.

واندفع بسيفه نحو البساط والوسائد يمزقهم قطعا صغيرة، ورمى بهم جانبًا، ثم قال:

ــ لقد كنتم على خطأ فيما قلتوه عنى أيها الشقيقان؛ فلم يكن البئر والشجرة والبساط سوى زوجات الوحوش التى جاءت لقتلنا والانتقام منا، لكنهم لم ينجحوا فى ذلك بعد أن أهلكتهم جميعًا.

مضى الأشقاء يواصلون طريق العودة.

ومر عليهم وقت طويل فى السير بين الدروب والوديان، وفجأة أظلمت السماء من فوقهم، وارتجت الأرض من تحت أقدامهم. ونظروا فرأوا خلفهم خنزيرا هائل الحجم يركض إليهم. وقد فغر فاهه الكبير لابتلاعهم وانتصبت أذناه كالعمدان، فأخرج الأشقاء من حقائبهم أكياس الملح. ورموا بها إلى فم الخنزير.

فرح الخنزير وفكر أن إيفانوشكا ابن الفلاح وشقيقاه قد سقطوا فى فمه. فتوقف عن الركض وصار يلوك الملح. وعندما أدرك مذاقه، انطلق يطاردهم من جديد.

وركض الوحش بأقصى سرعته، حتى اقترب منهم مكشرًا عن أنيابه وهو يهم بابتلاعهم.

وهنا أمر إيفان شقيقه أن يتفرقا فى طرق مختلفة. فسار أحدهما فى الطريق الأيمن والآخر انطلق فى الأيسر، أما إيفان فسار إلى الأمام.

توقف الخنزير يفكر حائرًا فى الطريق الذى يسلكه.

وفى أثناء تفكيره عاد إليه إيفان مسرعًا كالسهم. فحمله بيديه وأطاح به على الأرض بكل قوته. فتمزق جسم الخنزير إلى أشلاء نثرتها الرياح فى مختلف الأرجاء.

ومنذ ذلك الحين لم يظهر للتنين أثرا فى هذه الأنحاء، وعاش الناس فى سلام بعد أن زال الرعب والخوف عنهم.

أما إيفانوشكا ابن الفلاح وشقيقاه، فعادوا إلى قريتهم وأمهم، وصاروا يزرعون الأرض بالقمح والشعير كسابق عهدهم، وعاشوا فى سلام حتى يومنا هذا.

المترجم فى سطور

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

ـ مواليد عام ١٩٧٥.

ـ تخرج فى كلية الآداب جامعة عين شمس.

ـ درس تاريخ الفن بجامعة موسكو فى الاتحاد السوفيتى.

ـ ترجم من اللغة الروسية إلى العربية بعض الأعمال المهمة مثل : كتاب "محاكمة البريسترويكا" ، وكتاب "أساطير شعبية من أوزبكستان" (الجزأين الأول و الثانى)، والعديد من الدراسات السياسية والاقتصادية.

ـ كتب الكثير من المسلسلات الدرامية والأعمال التليفزيونية للأطفال، والتى نالت العديد من الجوائز.

التصحيح اللغوى : **عبد الرحـــمن حجازى**

الإشراف الفـــنى : **حـــســـــن كامـــــــل**

إن الحكايات الشعبية الروسية التى عاشت عبر مئات السنين تعد بمثابة موسوعة اجتماعية شاملة ، فيمكننا من خلالها رؤية أنماط البشر المتنوعة، من الخبيث والكاذب والكسول واللص والأحمق، إلى التاجر والمنافق... إلخ ، كما يمكننا التعرف من خلالها على كثير من مفردات الحياة الروسية، وعلى عادات الشعوب فى تلك المناطق، وأيضًا سوف نطوف فى أرجاء الطبيعة الروسية المتفردة، بين الغابات والثلوج التى تميز تلك المناطق الباردة.

ونلمس كثيرًا فى هذه الحكايات ارتباط الفرد بوطنه الأم، وحنينه الدائم للعودة إليه. فالأبطال كلهم يتوقون للرجوع إلى بيوتهم وقراهم. ومهما نجحوا فى تحقيق أحلامهم، فإن سعادتهم النهائية لاتكتمل إلا بالعودة إلى الديار.

تصميم الغلاف: عبد العزيز السماحى